

# **TIGHT BINDING BOOK**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190427**

UNIVERSAL  
LIBRARY



OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۸۹۲۳۴۳ Accession No. ۱۷۳۱۱  
Author: جعفر زکریا 89273  
Title: منازل فناء غنیمت خیر الہادی 17311

This book should be returned on or before the date last marked below.





# فَتَايَا عَسْبَا

— \* رواية تاريخية غرامية \* —

\* شرح حال الاسلام من أول ظهوره \*  
\* الى فتوح الشام والعراق مع بسط عوائد العرب \*  
\* في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف \*  
\* أخلاقهم وأزبائهم وسائر أحوالهم \*



تأليف

حزقي زيدان

« منشئ. الهلال بمصر »



الجزء الثاني

---

« طبعت بمطبعة ( الهلال ) ببول شارع النجالة بمصر سنة ١٨٩٨ م »

---

# الهلال

✽ مجلة علمية شرقية ادبية تاريخية ✽

لمنشئها

جرجي زيدان

أنشئت بمصر في اول سبتمبر سنة ١٨٩٢

تبحث في كل المواضيع المصرية وفي التواريخ الشرقية وخصوصاً  
الاسلامية مع رسوم مشاهير الناس وتواريخهم ومستحدثات الاختراع ورسوم  
مشاهير العصر وتاريخ الحوادث الجارية في كل اقطار العالم وروايات تاريخية  
اسلامية تبدأ بظهور الاسلام وتدرج فيه دولة دولة وعصرًا وعصرًا على  
اسلوب حديث كثير انشوبق المطالعة تصدر مرتين في الشهر في كراس  
كبير صفحاته اربعون صفحة جيدة الورق جميلة الحروف متقنة الطبع  
بدل اشتراكها في السنة خمسون غرضًا داخل القطر المصري واما خارجه  
فهو ١٢ شلينًا او ١٥ فرنكًا او ٢ روية او ٣ ريالات اميركانية او ٣  
ريالات مجيدية ونصف تدفع سلفًا فمن اراد الاشتراك فيها فليخبر « ادارة  
الهلال بمصر » واذا اراد احده الحصول على مثال منها فليطلبه فيرسل  
اليه مجاناً .

✽ هدايا الاصدقاء ✽

افضل هدية تهديها الى صديقك اذا كان ممن يحبون المطالعة  
« اشتراك سنة في مجلة الهلال » فان قيمته زهيدة ومطالعتُه سهلة ومواضيعه  
لذيذة مفيدة

# فَتَايَا حَسَنًا

— \* رواية تاريخية غرامية \* —

\* نشرح حال الاسلام من أول ظهوره \*  
\* الى فتوح الشام والعراق مع بسط عوائد العرب \*  
\* في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف \*  
\* أخلاقهم وأزبائهم وسائر أحوالهم \*



تأليف

جرجي زيدان

« منشىء الهلال ببصر »



الجزء الثاني

---

« طبعت بمطبعة ( الهلال ) ببول شارع النجالة ببصرة سنة ١٨٩٨ م »

---

# مقدمة

✽ الجزء الثاني من فتاة غسان ✽

هذه هي الرواية السادسة من رواياتنا التاريخية ولكنها تمتاز عنها كلها بأنها الحلقة الأولى من سلسلة روايات متتابعة تضمن تاريخ الاسلام من اول ظهوره الى الآن سننشرها تباعاً في مجلتي « الملال » فهذه الرواية الأولى منها وتضمن الحوادث التي وقعت من ظهور الاسلام الى فتح الشام والعراق وتليها رواية في فتح مصر وهذه سبق اننا نشرناها في السنة الرابعة من الملال وهي « ارمانوسة المصرية » ولم يكن في عزنا تأليف هذه السلسلة اما وقد عزمنا على ذلك فصارت « ارمانوسة المصرية » الحلقة الثانية من تلك السلسلة

واما الحلقة الأولى التي نحن في صدها ( فتاة غسان ) فقد نشرنا الجزء الاول منها في السنة الخامسة من الملال وهذا الجزء الثاني نشر في السنة السادسة وبناءً على إلحاح حضرات اقراء طبعناها على حدة رغبة في نشرها وسننقلها برواية اخرى نشرها في السنة السابعة تتضمن مقتل عثمان وخروج الخلافة من اهل البيت الى بني امية ثم روايات اخرى في اهم حوادث الدولة الاموية في الشام وفي الاندلس وحوادث الدولة العباسية والفاطمية والايوية وهكذا الى آخر تاريخ الاسلام

فعسى ان يلاقى هذا المشروع اقبالاً من حضرات القراء الادباء فنشابر على العمل والاتكال على الله

## الفضل التاسع والاربعون

## ❖ المناجاة ❖

تركنا حماداً وسلمان في مكة وقد غلب عليها اليأس بعد ان تكبدا مشاق الاسفار ولم يظفرا بشيء مما أملاه وخصوصاً حماد فإنه اصبح يشتاق تنفاذه عوامل الحب من جهة وعوامل الشهامة من جهة اخرى وهويين ذلك لا يرجو لقاء والد ولا يأمل الظفر بجيبينو فكان كلما تصور ذلك ثارت الحمية في رأسه وعظم عليه العود الى اللقاء فحدثته نفسه ان يبتعد عن الناس ويأوي الى مكان لا يعرفه فيه احد او ان يقيم في دير او نحو لان الحياة أصبحت لديه شراً من الموت

أما سلمان فإنه ادرك حال سيد وعلم ما هو فيه من اليأس فنارت في نفسه عاطفة الشهامة وعول على ان يبذل نفسه في سبيل تعزيتهم فخرج من الغرفة ذات صباح متظاهراً بحاجة ينتش عنها وترك حماداً وحده فلمه خلا حماد بنفسه خرج من الغرفة وصعد الى سطح الخان وقد ضاق صدره وصغرت نفسه والسطح نظلة خيمة من ورق الشجر فجلس على وسادة واخذ ينظر الى مكة وما يحيط بها فاذا هي عبارة عن ارض منبسطة في واد تحف به الجبال فلم تشغله تلك المناظر الا هنيهة ثم عاد الى هواجسه فتذكر حبيبته والدك وتصور مقدار ما تراكم عليه من الهموم ما ألم به من الفشل وقد قطع البراري والفنار حتى جاء الكعبة للبحث عن قرطي مارية مهراً لحظائينو هند ومرضاة لوالديها فعلم من حرب الخزاعي ان القرطيين لا يمكن العثور عليها هناك وبعد ان كان على أمل من لقاء والدك مع أبي سفيان في مكة تحقق ضياعه ويأس من حياته فتصور نفسه مغلول اليدين مقصوص الجناحين فعظم الامر عليه كثيراً واشتد به اليأس حتى تائثرت الدموع من عينيه ثم تذكر انه في غربة لا يجدر به الاستسلام للعواطف فامسك نفسه ولكن اليأس غلب عليه فانقبضت نفسه واشتد به الهمام فاخذ يناجي هنداً قائلاً

آه منك يا هند بل آه من هذا القلب الذي عصاني واطاعك ونعم ما فعل

فانك والله جدير بحبه ولكن والدك آه من والدك فانه انما اراد مستقبلاً فطلب مني  
مهرًا العشاء اقرب مثلاً منه وكأني به لا يرصاني لؤ صهرًا وعذره مقبول طالما كان  
نسي مجهولاً . . . . . فالفرطان لم يوجد فهند بعيدة المنال مني آه يا هند أعود اليك  
بصفتك المغبون وإذا عدت كذلك ما يكون رأيك . . . . . لا ريب عندي ان  
ذنيك الفرطين لا يهكم امرها ولا رضيت ان اشفي في سبيل التفتيش عنها الا بمجاراة  
لوالدك . . . ولكن ما هذا يا حماد كيف تعود الى هند صفر اليدين وكيف تقابل  
جيلة وماذا تقول له لا لا لا لن اعود الى اللقاء على هذه الحال وقد فقدت والذي  
في بلاد لا اعرف فيها اليقظ ومن يدريني ابن هو وابن النذر ووفاء النذر يا ليتني قص  
شعري قبل ضياعه فقد كنت على موعد معه انه متى وفي النذر وقص الشعر يطعني  
على امور تهمني وقد يكون لها علاقة بأمر زواجي فابن والذي الآن آه يا ابتاه ابن  
انت أهلك لا تزال في قيد الحياة من يعلمني ابن مفرّك فاطير اليك مسرعاً أما اذا  
بئست منك ومن هند فلا يعود لي في الحياة ما رب فاما ان الجا الى دير او صومعة  
أفضي بقية الحياة منفرداً لا ارى انيساً او ان ألقى نفسي في نملكة . . . ولكن لا لا  
ان قتل النفس ضعف ومذلة وكيف افعل ذلك ونفسي رهينة امر هند وهند لا  
تريد قتلها اذن لا أصبر صر الرجال واعيد الكفة في البحث عن الفرطين فاذا  
نيقنت فقد انهما عمدت الى هند وبسطت لها امري وأطلعنها على كنه ضميري فاذا  
دأبتها تؤثر مرضاة والديها وحفظ تقاليد عائلتها على رضاي قلت على الدنيا ومن  
فيها السلام والآن فاني ارضى من الدنيا برضاها فتعاقد وتراضى على امر يكون لنا فيه  
منجاة من والديها . . . . . واما والذي آه ابن انت يا ابتاه ان ضياحك عرقل مساعي  
وغل يدي ولا ريب انك لو شاركني في هذا الامر لسهلت كل صعب وهديتني  
صراطاً مستقيماً . . . . . ولكن الاقدار أبّت الا معاندي فصبراً جليلاً . . . . . «  
مرت كل هذه الخيالات في ذهن حماد وهو متكئ على الوسادة تارة يبكي  
وطوراً يحرق اسنانه وآونة يصبر نفسه وكان لم يبق في الليل الماضي الا قليلاً فغلب  
عليه التعب والملل والنصر فجاءه النعاس فغمضت جفناه



## الفصل الخمسون

### ❖ حسان بن ثابت الانصاري ❖

مضى بعض ذلك النهار وحماد بين ناغم وهاخس فوق السطح لم يذق طعاماً حتى اذا كان العصر أفاق من صوت سلمان خادمه ففتح عينيه فراه واقفاً فوق رأسه يناديه وعلى وجهه امارات البشر كأنه أتى امرأاً جديداً فانسطت نفس حماد فهب من رقاده وجلس وصاح ما وراءك يا سلمان

قال ما ورأيت الا الخبر باذن الله

قال ارى على وجهك امارات البشر فهل اهتديت الى طريق جديد يوصلنا الى ساحة الفرج

قال نعم يا سيدي اظني توفقت الى شيء من هذا القليل

قال قل ما هو

قال خرجت في هذا الصباح على بركة الله وقد عولت في باطن سري ان لا اعود اليك الا ببشرى خير فسرت في اسواق مكة وانا اتوسل الى الله ان يلهمني رشداً وسداداً او يهديني سبيلاً اخف به اليأس عن مولاي فمررت ببعض البيوت فرأيت عند بابي بغلة عليها بردعة ثمينه والى جانبها غلام فحدثني نفسي ان اسأله عن صاحب البغلة فقال هو حسان بن ثابت شاعر الانصار فتذكرت اني اعرف هذا الاسم فأخذت في التفكير لعلني اذكر الرجل فعلت اني كنت اسمع اسمه منذ كنت في العراق وانه كثيراً ما كان يأثم الحيرة فينظم القصائد في مدح الملك النعمان رحمه الله وكثيراً ما كان يقد على ملوك بني غسان فيمدح جيلة والحارث بن ابي شمر وغيرهم فقلت في نفسي اظني اصبت ضالتي ان الرجل يجالس اعظم ملوك العرب فربما كان له المام بامر القرطيين فسألت الغلام عن حسان فقال انه في البيت فاستأذنت في الدخول عليه فاذن فدخلت عليه حتى اقبلت على الرجل فاذا هو جالس على وسادة في بعض زوايا الغرفة فتأملته فاذا به قد تبدلت حاله عما كنت اعرفه فاحناه الكبير وضعف بصره وشاب



شعره واسترسلت لحيته<sup>(١)</sup> فبادرت الى يده فقبلتها وحيثه فرد التحية ورحب بي واجلسني الى جانبه وسألني عن امري فازلت ادخل معه في حديث واخرج من آخر حتى توصلت الى القرطبن فسألته عما يعرفه من امرها ففكر قليلاً ثم قال اظنني سمعت ذكرها في بعض مجالس النعمان بن المنذر في الحيرة فكنت وكيف كان ذلك

فقال يغلب على ظني ان بعض تجار الفرس الذين يحملون الاقمشة الفارسية الى مكة عاد منها ذات عام ومعه قرطاً مارية فعرضها على النعمان واظنه اشتراها منه فاذا صدق ظني كان القرطابن الآن في خزينة الملك النعمان في الحيرة

فلما سمعت ذلك هرولت اليك مسرعاً لنسبر اليه فهل تسير معي

قال نعم ولا بد من المسير اني ارى في كلام الشاعر باباً للفرج هلم بنا فنهض حماد وقد انسطت نفسه وعادت اليه بعض الآمال وإن لم يكن في الخبر ما يدعو الى الامل ولكن المرء اذا كان في ضيق كان سريع التعلق بالامل ولو كان اوهى من خيط العنكبوت . واحسن حماد بفراغ معدته فتناول شيئاً من التمر يسد بها جوعه وخرج مع سلمان ماشيين حتى اتيا بيت حسان فاستأذنا ودخلا فتقدم أولاً سلمان وسلم وذكر اسم حماد امام حسان وقال انه سيك وإنه من امراء العراق ولما سمع بوجود حسان هناك اراد المثلول بين يديه فتقدم حماد وهم بتقبيل يدي الشيخ فمنعه ولكنه رفع نظره اليه وتفرس فيه كأنه يراجع في ذاكرته صور امراء الحيرة لعله يعرف حماداً فتشابه عليه امره فسأله عن اسمه واسم عائلته

فقال حماد اني حماد بن الامير عبد الله

فقال حسان لا اذكر رجلاً بهذا الاسم في بلاط النعمان او لعلني نسيت فقد قتل النعمان رحمه الله قتلوه غدرًا منا . نيف وعشرين عاماً وتفرقت اصداقاه على انني انقطعت عن الحيرة قبل ذلك العهد فلم اعد اقدمها ولا رأيت احداً من امرائها ولكن سقى الله تلك الثربوع واعاد سلطة المناذرة فقد كانوا زينة الدولة الفارسية وبيت قصيد وخصوصاً النعمان بن المنذر رحمه الله وجازى الباغيين عليه شراً

فقال حماد وهل كنت تند عليه كثيراً

قال لم يرض العام قبل ان ازوره مراراً فاركب ناقتي من المدينة حتى آتي البلقاء فادخل على جبلة بن الابهام او الحارث بن ابي شمر الغسانيين ثم اقصد العراق فادخل

جلس النعمان بن المنذر فيخلع علي الخلع ويأمرني بالعطايا وهكذا كان يفعل الغسانيون ايضاً ثم كان ما كان من امر قتله فانقطعت عن العراق الى البلقاء حتى ظهر الاسلام واسلم اهل المدينة فكنت في جملة من تشرف بالاسلام ولازمت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسير معه او الحق به حيثما اقام . وقد عاد الآن يحيشه الى المدينة ولا البت ان اتبعه عاجلاً

فقال سلمان ذكرت بامولاي ان الفرطين يبعاً لملك النعمان فاذا تم لها بعد موتي قال لا ادري وربما كانا في جملة ما استولى عليه قائلوه من الخف فاذا صح هذا الظن كان الفرطان في خزينة ملوك الحيرة الآن

وكان حسان يخاطب سلمان وعيناه لم تعملوا عن وجه حماد وهو يتفرسه ويلاحظ حركاته كأنه يعرف له شيئاً وحماد غافل عن ذلك بما كان غارقاً فيه من الهواجس بعد ان سمع ما سمعه من امر الفرطين وصعوبة الحصول عليها بعد وصولها الى خزينة ملوك الحيرة ولكنة عول على البحث عنها ما استطاع الى البحث سيلاً وبعد قليل هم حماد بالخروج فساء له حسان ابن نقصدون

قال سلمان اتنا نقصد منزلنا لننتهي للخروج في الغد .

قال هل تريدون الذهاب الى المدينة

قال ربما مررنا بها في طريقنا الى البلقاء

قال ارى انكما غريبان ربما عسر عليكما المسير منفردين وقد آتست فيكما عنصراً جيداً فهل تقبلان مرافقتي الى المدينة نقيماً فيها ريفاً تعزمان على البلقاء وربما ارفقتكما بن بوصلكما اليها

فنهض سلمان بهوض الاحترام واثني على حسان ثناء طيباً وقال اتنا نشكر لنفضل الشاعر شكراً جزيلاً ولا نعد ذلك منه الاً كرمًا ومنه عرف بها عرب انحجاز منذ القدم قال غنوا يا اخا تخم اني لا اجود الاً بال المناذرة ولا ارنع الاً في مجبوحة خيرم فاني لا انكر فضل العراق علي وعلى كل من نزل ديارهم من الغرباء وذلك امر مشهور لاجملة احد فكيف باهله فاذا سئنا المسير الى منزلكم الليلة فاعدوا حوائجكم وها اني مرسل معكم من يحملها الينا فنبيت الليلة هنا ونصعب سائرين ان شاء الله



## الفصل الحادي والخمسون

### ❖ اللقاء ❖

فبانوا تلك الليلة في منزل حسان واصبحوا جميعاً قاصدين المدينة وحسان يطرفهم في اثناء الطريق بطائف منظرهم في مدح ملوك الحربة وملوك غسان وحماد يستزيدهم ما نظمه في جيلة بن الابهيم ويضطرب كل بيت يسمعه ولم يكن ذلك الا ليزيد الشجاعة ويذكره بخطيبته هند ثم تذكر ثعلبة واباه الحارث بن ابي شمر فقال

وكيف رأيت الحارث بن ابي شمر  
قال رأيت كرمًا محباً للشعراء ولكنه كان حاسداً لجيلة فكنت اذا مدحت جيلة في حضرته كان الحسد يظهر على وجهه مع ما كان يحاول اخنائه من عواطفه<sup>(١)</sup> فحقق حماد ان ثعلبة انما ورث ذلك الخلف عن والده وزاد عليه اللؤم والخساسة ولما تذكر ذلك غلب عليه الانتباض واوجس خيفة على هند من غدره اثناء غيابه وخصوصاً اذا عاد خالي الخطاب فاستولى عليه السكوت فادرك سلمان منه ذلك فاراد اخنائه الامر عن حسان فقال وكيف رأيت جيلة

قال رأيت شهماً عزيز النفس كرم الخلق كثيراً ما عرضت بحسد الحارث امامه وهو لا يبالي بل كان يلتمس له عذراً ويغالطني متجاهلاً فكنت لا ازداد الا اعجاباً به فقال سلمان واي الملكين اشد بطشاً الآن

قال ان جيلة ارفع مقاماً واعز جانباً ولكن بعض القادمين علينا من البلقاء انبأنا بوفاة الحارث

فبغت سلمان واتيه حماد من هواجس فقال سلمان وهل تحققتم وفاته قال نعم وقد نقله الينا بعض الذين ارسلناهم لتجسس احوال الروم بعد واقعة مؤتة<sup>(٢)</sup> فالتفت سلمان الى حماد فراه ينتم ولكن البغنة ما زالت ظاهرة على وجهه فيخلها

(١) الاغاني

(٢) لم يرد في تواريخ العرب ذكر السنة التي توفي فيها الحارث ولكنهم ذكروا انه كان في واقعة مؤتة ثم اغفل خبره

بعض الانقباض فاشار اليه بلا مخ وجهه اشارة فهم حماد منها انه يهتف بانكسار شوكة  
ثعلبه لكنه تحول حالاً الى حسان وقال له وما ظنك بمن يرث الامارة بعد  
قال لا اظن احداً من اهله اهلاً لهذه الامارة والغالب ان نجتمع كلمة قبائل  
غسان تحت لواء جبلة بن الابهيم

فانشرح صدر حماد ولكن امر القرطين بما زال حاجزاً بينه وبين كل سرور  
وساروا حتى اتوا المدينة فوصلوها صباحاً فوجدوا اهلهما في فرح وعز لما اتوا  
من النصر بفتح مكة المشرفة ورأوا الناس عكوفاً على الصلاة وما زالوا سائرين حتى  
اناخروا جماهم امام منزل حسان فهم الخدم يحمل الامتعة الى المنزل واخذوا الجبال  
الى العلف ونزل سلمان وحماد وقد اعجبوا بما آتاه من عكوف المسلمين على الصلاة  
وما رأوا من خشوعهم وتدينهم فضلاً عما شاهدوه من بسالتهم في فتحهم مكة  
اما حسان فلم يكذب يصل منزلة حتى طلب الراحة من وعناء السفر لشيوخه وعجنه  
ودعا ضيفه اليه فجلسا متأديين فقال لما تذكرت امرًا اظنه يهكم كثيراً وقد فاتني  
ذكره لكما قبل الآن

قال سلمان وماذا عسى ان يكون ذلك  
قال ذكرت لكم واقعة مؤنة واظنكم لم تفهموا ماهي  
قال سلمان كلاً يا سيدي لم نفهم المراد جيداً

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل جنداً من المسلمين لحرب الغسانيين  
في العام الماضي فسار الجند وحاربهم في مكان يقال له مؤنة بالقرب من بصرى  
وستسمعون خبر هذه الواقعة الآن ولكنني اردت ان اوجه التفاتكم الى رجل اسره جنداً  
في أثناء تلك الحملة وقد حملوه اليها فلما رأته معهم عرفت انه أسر ظملاً ولما سألته  
عن خبره علمت انه ليس من اهل البلقاء بل هو عراقي ومن اهل الحيرة ذكر انه كان  
براني اثناء وفودي على الملك النعمان منذ نيف وعشرين عاماً وبما انكم من اهل  
العراق فربما استأنستم بالرجل والوطن احسن جامعة بين الناس قال ذلك ونادى  
رجلاً واقفاً بالباب فحضر فقال له ادع ضيفنا العراقي

قال ليلىك وخرج ثم عاد بنبعة رجل كهل ملتف بعباءة منقطبة الوجه وكان  
حماد وسلمان لا يزالان محمرين خمار السفن فحالما وقع نظر سلمان على ذلك الرجل

أحس بخفتان قلبه كأنه آتس فيه مشابهة لسيد عبد الله ولكنه رأى في سمته ملامح تخالف ما لعبد الله أيهما ان عبد الله كان طويل الشارين مستدقها ومسترسل شعر اللحية مع خفية أما هذا فهو قصير الشارين واللحية على أن سلمان ما زال ينظر اليه ويتأمله حتى دنا منه فوقف له وهم بمصافحه فلم يكذبوه بأول كلمة حتى تحق سلمان انه هو سيد بعينه فهم به وقبله وناداه باسمه

وكان حماد في شغل من هواجبه في هند والقرطين ووالده فلم ينتبه إلا وسلمان ينادي بأعلى صوته سيدي الامير اهلاً سيدي الامير فالتفت حماد فاذا هو والده عبد الله فهض وهض سلمان فهم عبد الله بحمد وضمة وجعل يقبله ودموع الفرح تنساقط على وجهه وسلمان يقبل يد عبد الله رهنيتها بعضها ببعض فانبسطت وجوه الجميع وزالت منه العوسه وجلسوا وعبد الله بجانب حماد قابضاً على يده بين يديه وحسان جالس الى جانب وقد عجب لما رآه وسمعه فسأله عن امرهم فاحكى له عبد الله عما تم من الاتفاق الغريب وان حماداً ووالده وسلمان جاؤوا معه ففرح حسان لما تم على يد من الخير . ثم جلسوا يتحدثون

فقال سلمان لقد رأيت في وجه سيدي تغييراً كاد يحول بيني وبين معرفتي فاني أعهد شعر وجهه طويلاً مسترسلاً فما لي أراه قصيراً فضحك عبد الله وقال ان لهذا التغير حدثاً غريباً سأقصه عليك بعد ان اسمع حديثكم وما كان من امر الاسد وضياح النرس

## الفصل الثاني والخمسون

### \* واقعة مؤتة \*

فحكى سلمان حكايته مع حماد والاسد وكيف نجوا منه بتسليق تلك الشجرة وما تم لهم بعد ذلك من حديث هند والديتها والديها وحب حماد لها ثم لما كان من خطبة حماد وما اقترحه عليه جيلة بن الابهم ميراً لابنته وما لاقاه حماد في سبيل ذلك من الاسفار والاضطار حتى جاؤوا مكة وشهدوا فتحها وكيف يسلم من وجود القرطين هناك حتى نجدد امهم بوجودها في خزينة النعمان بن المنذر في الحيرة

وكان عبد الله في اثناء الحديث مصغياً صامتاً وإمارات الاستغراب ظاهرة على وجهه كأنه سمع اموراً لم يكن يتوقع حدوثها ولا برضاها ولكنه سكن عن ذلك وأخذ يقص عليهم حديثة فبدأ بوقوعه بالاسر في غسان ثم مسيره الى بيت المقدس . ومقابلته هرقل امبراطور الروم وما سمعه من حديث ابي سفيان ثم سفره معه وما كان من مشاهدته الفرس واستدلاله منها على ضياع حماد وكيف رافقه ابوسفيان في مسبعة الزرقاء للتنيش عن حماد وما شاهده من عظام الفرس الآخر وبعض الانار حتى انتهى الى مسيره منفرداً الى عمان ووقوعه اسيراً بين يدي الحجازيين الذين ساروا لهاربة اهل الشام وما دارينه وبين بعضهم عن السبب الذي جاءت تلك الحملة من اجله الى ان قال

فلبثت اسيراً عندهم وأنا على مثل الجمران املي لم ينقطع من لقاء ولدي حماد على اني كنت في بعض الاحايين لا ارتاب من فقدته وأحياناً اراجع ما شاهدته من الادلة على ذلك فلا ارى ما يقطع بوقوع القضاء فكان سجنى في معسكر جيش الحجاز قيلاً ثقيلاً عليّ وخصوصاً انهم متبعوا القرى عني فقد كنت استأنس به فيبعد ان قضيت منه مجوار عمان علمت ذات يوم ان الروم قد جندوا جنداً كبيراً يبلغ عدده نحو مئتي الف وفيهم الروم والعرب من بني غسان ونجم وجذام وبهرام<sup>(١)</sup> فلما بلغ المسلمين ذلك خافوا النشل لان عددهم لا يزيد على ثلاثة آلاف فضلاً عما في جند الروم من المعة والسلاح وبلغني ان امراء جند المسلمين اجتمعوا في خيمة ابن راحة احد امرائهم وتشاوروا في الامر فقال اكثرهم نكتب الى رسول الله في المدينة نخبره الخبر فاما ان يدنا بالرجال واما ان يأمرنا بأمر فنمضي له فقام فيهم ابن راحة وخطب خطاباً انهم همهم فقال « يا قوم والله ان التي تكرمون هي التي خرجم اياها تطلبون الشهادة وما تقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما تقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا انما هي احدى الحسينين اما ظهور واما شهادة » فقال الناس « والله صدق ابن راحة »<sup>(٢)</sup> واشتدت عزائمهم وصموا على الحرب وكنتم اعجب لبسالهم واقدامهم واتحاد كلمتهم واستهلاكهم في سبيل نصره دينهم فيبعد ايام نوذي بالجنود فقاموا وسرت انا فيهم مخفوناً ارى كل حركاتهم وسكناتهم

(١) السيرة الثانية (٢) السيرة الحلية

فما زلنا سائرين حتى دنونا من بلدة على رحلتين من بيت المقدس يقال لها مؤتة وكان جند الروم قد عسكر هناك فالتفت الى ذلك الجند فاذا هو مالى السهول هناك وفيهم الفرسان والمشاة ورأيت في وسط المشاة مشاة عليهم ملابس كثيرة الالوان تبهر النظر تلاًلاً في ضوء الشمس فلم أكن اظن المحاربين ينظرون الى ذلك الجند حتى يعودوا القهقري وجلاً ومهابة ولكن رأيت فيهم ثباتاً لم أر مثله في اسفاري كلها وما ذلك الا لثوقهم برهم وعدم مبالاتهم بانفسهم في سبيل نصرة دينهم

وخلاصة القول ان المسلمين تقدموا تحت قيادة ثلاثة من الامراء ساروا امامهم مشاة على اقدامهم وما ذلك الا لاستهلاكهم في الجهاد والطاعة حتى التقى الجيشان وانتشبت الحرب وكان اللواء اولاً يد اخذهم زيد بن حارثة فقاتل وهو يعلم ضعف الجند ولكنه ظل مكاثراً حتى قتل طعناً بالرمح فتقدم الامير الثاني وهو جعفر بن ابي طالب فقاتل به وهو على فرس شفاء فأجبه القتال واحاط به فتزل عن فرسه وبقرها وقاتل حتى قتل فأخذ اللواء عبد الله بن رواحة وهو على فرسه ثم زل عن فرسه وحارب حتى قتل فوق الرعب في قلوب المسلمين وكادوا يفشلون لولم يقم فيهم رجل لم أر مثله باسلاً اسمه خالد بن الوليد وسمعت بعضهم يسميه سيف الله فجمع كلمة الجند وهم هجمة واحدة فظن الروم ان نجدة قد جاءتهم فاستولى الخوف على جند الروم وفشلوا وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً<sup>(١)</sup> ولكنهم لم يبقوا على الحرب فعاد المسلمون يريدون المدينة وكنت انا في اثناء هذه الموقعة في حيرة شديدة ولو كانت الحياة عزيزة عليّ لفررت من المعسكر ساعة اشتغال المسلمين بالحرب ولكنني وددت ان اصاب بنيلة اقل بها فلم يفض الله بذلك فلما عاد المسلمون الى هنا عدت انا معهم أسيراً فاصابني في اثناء الطريق انحراف صحي فاصبحت وشعر لحيتي يتساقط وكذلك شعر شاربي حتى لم يبق منه الا القليل فلما وصلت المدينة التقيت بشاعرنا ( و اشار الى حسان ) فتعارفنا ودعاني للاقامة في داره فأقمت عنده كما ترون وفي اثناء ذهاب الجند الى مكة للفتح الذي شهدتموه زارني الحرث بن كلفة طبيب العرب<sup>(٢)</sup> فوصف لي دهناً من عشب فأخذ الشعر ينمو وارجوان يعود الى ما كان عليه

## الفضل الثالث والخمسون

## \* يوم الشعانين \*

فلما اتمَّ عبد الله حديثه هنا وا بعضهم بعضاً بالسلامة ثم قال حماد وابن فرسي الآن  
قال هومعي هنا فهل تريد ان تراه

قال نعم وخرجوا الى بستان بالقرب من المنزل وكان الجواد مشدوداً الى نخلة  
فلما وقع نظره على صاحبة اخذ في الصهيل كأنه يرحب بقدميه ونقدم حماد اليه فلمس  
جبهته وقبله بين عينييه ثم عادوا جميعاً والفرح ملء قلوبهم الا حماد فانه عاد الى هواجسه  
في هند وابيها والقرطين فلما وصلوا المنزل وجلسوا نظر عبد الله الى حماد وقال له  
العلك لا تزال مصمماً على الاقتران بهند

قال نعم يا ابناه ولا اظني قادراً على العدول عنه بعد ان كان ما كان  
قال وهل نسيت نذرنا لدير بحيرة

قال واي نذر

قال نذر يوم الشعانين الذي سنقص فيه شعرك

قال وما دخله بمسألة الاقتران

قال ان له دخلاً كبيراً لاني سأتلو عليك في ذلك اليوم حكاية واطلعت على  
امور ذات بال لها علاقة كبرى بامر الزواج

فخاف حماد ان يكون هناك ما يحول بينه وبين هند

فقال وهل في ذلك السرما بمعني من هند

قال لا اقدر على التصريح بشيء من ذلك الآن ولكن احد الشعانين يكشف لك  
كل شيء

فقال ان يوم الشعانين بعيد فهل يسوغ لنا استبداله بسواه

قال كلاً يا ولدي بل يجب علينا اتمام النذر حرفاً حرفاً فوقع حماد في حيرة واوجس  
خيفة لئلا يكون في قصة يوم الشعانين ما يحول بينه وبين هند فود ان يطلع على  
حقيقة ذلك ليعلم كيف يتصرف وقد كان عازماً على الهجيرة للبحث عن القرطين وكان



يظن ان والدك سيكون اكبر مساعد لك على ذلك لكثرة اصدقائه هناك فاصبح بعد ما سمعته منه لا يستطيع مكاشفته بالامر لانه قال لك صريحاً ان لا يخطو خطوة في مسألة الاقتران قبل يوم الشعانين فصمت برهة يفكر في الامر فخطر لك ان يستطلع سلمان على حدة لعله يكون عالماً بشيء من ذلك السر

فانفرد به في مسألة ذلك اليوم وسأله عما يعلمه من امر يوم الشعانين فقال لك ان سر ذلك اليوم مكتوم عن كل بشر اعرفه وقد قضيت مع سيدي والدك احوالاً منذ كنت طفلاً حتى صرت شاباً وانا اسمع انه نذر قص شعره في دير بحيرة عند ما تبلغ هذا السن وانه سيطلعك في ذلك اليوم على امور تملك كثيراً ويكون لها علاقة بكبرى بمستقبل حياتك واعترف لك اني بذلت قصارى جهدي في استطلاع شيء من ذلك السر فلم اتوفق وتراني اكثر رغبة منك في معرفته فمالنا الى الانتظار الى يوم الشعانين

فقال وكيف اقضي هذه الايام وماذا افعل بهند . فقد افصح لك عن امور انت تعلم اني اكتمها عن سائر العالمين فهل يخفى عليك ما بيني وبين هند من المحبة والرابطة وقد تركتها على موعد من اللقاء فمضت سنة منذ تركتها ولم افعل شيئاً ما تعهدت لها به بعد فان القرطين لم نفق لها على اثر ولا ارى ان اعود اليها الا والقرطان في يدي وعلمت ان الامل معنود بالتفتيش عنها في العراق ولا نستطيع ذلك الا بمساعدة والدي وقد سمعت قولة الدال على رغبته في ايقاف كل حركة قبل يوم الشعانين فكيف اقضي هذه المدة وانا بعيد عن هند أنظنها لا تزال على عهدي

قال سلمان اما ما عرفته من حبها لك وثباتها في حبك فلا يترك محلاً للشك في بقائها على عهدك وانها لا يمكن ان تتحول عنك يمينه ولا يسره ولكني ارى ان تكذب اليها كتاباً او تنفذ اليها رسولاً تبثها ما عندك وتستعملها في انفاذ المهمة التي انت سائر بشأنها وتطلب منها جواباً ومن جوابها تفهم ما يمكنه ضميرها

فقال سلمان وهل نظن والدي عازماً على البقاء هنا الى يوم الشعانين قال لا اظنه يطيل البقاء هنا لان اهل المدينة لا يفترون عن الاستعداد للحروب اما لغزو او لدفع مهاجم ولا وطر لنا في ذلك فالغالب انه يفضل الذهاب الى بصرى يقيم فيها بقية هذا العام

قال فاذا كنا ذاهبين الى بصرى فليس ثم حاجة الى الخارج لاني الاقيها هناك واجتمع بوالديها او بأحدهما وتلوجعليها ما وقع فما عليك الا اقعاع والدي بالذهاب بنا الى البلقاء

قال حسنًا ولكنك اذا اردت مقابلتها هناك فليكن ذلك على غير علم من والدك قال ننظر في ذلك ثم افترقا واخذ سلمان في تحريض موله عبدالله على الخروج من المدينة والاقامة بقية ذلك العام في البلقاء وخصوصًا لأن الحارث قد مات وخرج النثوذ من يدي ابنه ثعلبة

فوافقه عبدالله على ذلك ففضلوا بضعة ايام في المدينة يشاهدون ما أحدثه المسلمون فيها من الابنية واحسنها المسجد الجامع على انهم كانوا يفاهدون في كل يوم شيئًا جديدًا من الاعدادات الحربية للغزو او غين ما زادهم تهبًا لجند المسلمين وحسبوا لمستقبل دولتهم حسابًا كبيرًا

ثم أخذوا في الاستعداد للسفر فودعوا حسنًا فارفقهم بدليل يعرفه وساروا يقطعون البراري والقفار حتى أتوا بصرى فتشاوروا في مكان يقيمون فيه فاتفق رأيهم على الاقامة في دير بجيرة فاتخذوا فيه غرفة اقاموا فيها

أما حماد فان عودته الى ذلك الدير اذكرته امورًا هاجت اشجائه فتذكر اجتماعه بهند هناك لأول مرة وما كان من محبي ثعلبة بغنة الى آخر ما حدث في حينه ثم عزم على المسير الى جيلة للسلام عليه ثم الى صرح الغدير للملاقة هند وبثها ما في ضمير وما بلغت اليه مهمته وما يرجوه من العثور على القرطيين في العراق ولكنه كان كلما تصور وقوفه امامها موقف المعذرة او المستهل اشمازت نفسه وعسر عليه ذلك الموقف



## الفصل الرابع والخمسون

### \* همد في صرح الغدير \*

فلنترك حماداً ووالدك وسلمان ولنعد الى صرح الغدير لنرى ماذا تم لهند بعد سفر حماد لئلا يظن الفارسي اننا نسبنا عواطينها واشجانها ولم نبال بما قاسته اثناء غيابها من الوحشة والخوف عليه ولا سيما بعد ان سمعت بنفخ مكة ودخول المسلمين اليها عنوة وهي تعلم ان حماداً انما سار الى هناك التماساً للفرطيين

ودعيت همد حماداً يوم سمن وقلبيها واجف عليه ليلها انه سار في تلك المهمة والخطر ظاهر فيها ولكن ثقتها بشجاعته وتعقله هونت عليها الامر لأول وهلة ثم اشتغلت عنه بلا اضطرابات والخواف اثناء حرب مؤتة وحمدت الله لغيابها خوفاً عليه ان يصاب بسوء اذا تعرض لسهام الحجازيين -

فلما انقضت الحرب وعادت البلقاء الى السكينة عادت هي الى الاضطراب واستبطأت حماداً لانها كانت تتوقع رسالة منه او خبراً عنه فلما طال الامد ولم تسمع عنه شيئاً انقبضت نفسها واستولت عليها المخاوف

وكانت والدتها تراقب حركاتها وسكناتها وقد ادركت ما بها فاخذت تشاغلها بالآمال وتوسيعها بالوعود وهي لا يهدأ لها بال ولا ترتاح الى الحديث على انها كانت تعطل نفسها بالذهاب الى دير مجيراء ايام مرور قوافل الحجاز به لعلها تسمع من احد حديثاً يطمئنها . وصارت تستأنس بالحجازيين وترتاح الى كل قادم من الحجاز وخصوصاً الذين يقدمون من مكة ولكنها كانت كلما سمعت اسم الكعبة اخلاج قلبها واضطربت جوارحها وهي مع ذلك لا يهدأ لها بال الا بالسؤال عنها والبحث عن اخبارها حتى التفت يوماً بغافلة قادمة من مكة فسمعت الناس يتحدثون عن فتحها وما كان من دخول المسلمين اليها عنوة وقتل بعض اهلها فارتعدت فرائصها وتصورت حماداً في تلك المدينة عرضة لسيف المسلمين فازداد بلباها وودت لو انها تظهر الى الحجاز فترى ما تم لها فيها

ثم رأت ترددها الى الدبر واستماع تلك الاحاديث لا يزيدها الا قلقاً فانقطعت

عنه وانزوت في صرح الغدير لا ترى احداً ولا تسمع خبراً مخافة ان يكون في ما تسمعه نبأ يسوءها . ثم سمعت بئوت الحارث بن ابي شمر والد ثعلبة فاحست بارتياح لعلها ان موته يقلل من نفوذ ابنه لدى والدها . على ان ذلك لم يزد شيئاً من اسباب معاديتها فالهموم ما زالت تترامك عليها وليس لديها من تشكوها اليه غير والدتها لكنها كانت تخاف مخاطبتها بهذا الشأن لئلا تسمع منها ما يزيدها بأساً ففضلت الكتمان وهي مع ذلك لا تزدد الا انحولاً وانقباضاً وميلاً الى الخلوّة .

وكانت كلما خلت بنفسها نظرت الى الاساور في يدها وجعلت تقبّلها وتنسم منها رائحة حماد فاذا اشتد بها الهيام بكّت وتحركت ونفت على والدتها لانها أبعدا حماداً عنها وخيل لها انها ارسلته الى تلك الاصقاع للتخلص منه وما زال هذا الفكر يتمكن منها حتى اصبح بمنزلة الاعتقاد وصارت تنفر من مجالسة والدتها وتسيء الظن بها فلم يزد بها ذلك الا رغبة في الخلوّة والانقطاع عن الناس .

وأما والدتها فقد كانت لنباهتها وحدة ذهنها لا تغفل عن خاطر يرث في ذهن ابنتها وكانت تعذرها على ذلك لانها شعرت هي ايضاً بارتكابها امراً قبيحاً بارسال حماد في مهمة خطيرة الى هذا الحد . وقد زاد ندمها خبر وفاة الحارث بن ابي شمر وضعف نفوذ ثعلبة مع كره هند لثقلته فتحققت عند ذلك ان هنداً يستحيل عليها الاقتران به وقد أصبح بعدموت والدك وضعيع المنزلة ولم يعد جبلة يخشى بطشه لو ردّ طلبه .

فاصبحت سعدى بسبب ذلك شاعرة بخطأ فظيع ارتكبته امام ابنتها فأحرمها شهماً يجبها ونحوه وصارت هي اكثر رغبة من هند في عود حماد وصمت في باطن سرها على انه اذا عاد ولو خائئاً لتساعدته في الحصول عليها ولو أبى والدها . على انها لم تكن تستحسن مخاطبة هند بهذا الشأن لئلا توطد آمالها ثم ربما لا يعود حماد من الحجاز فيكون ذلك سبباً في زيادة احزانها فصبرت تنسها لتري ما يأتي به القدر ولكنها ما برحت تنتسم الاخبار لعلها تسمع شيئاً جديداً .

أما جبلة فقد كان في البقاء مشغلاً عن مثل هذه الامور بما كان من الحرب في مؤنة فما عزم ان رجع المسلمون حتى توفي الحارث فزاد اشتغاله وعظم اهتمامه بضم قبائل العرب في الشام والبقاء اليه لان العرب المنتصرة هناك قبائل ويطون لكل منها راية وامير وكانت في زمن الحارث منقسمة الى فئتين احدها تابعة للحارث

والاخرى لجيلة فلما توفي الحارث اشغل جيلة بضم بعض قبائل الحارث اليه ان لم يكن كلها ولم يطع بذلك الا اعمى بضعف ثعلبة عن القيام بما قام به والد قبيلة ولاعتقاده ان امراء القبائل انفسهم يكرهون ثعلبة لدناءته وشراسة اخلاقه . فوقع بسبب ذلك تنافر بين جيلة وثعلبة واحس هذا بضعفه وخاف العاقبة لكن سوء خلقه لم يهده الى سبيل يسترضي به عمه فاخذ يطعن فيه امام الامراء يريد تحقيقه في اعينهم فلم يحقروا الا ثعلبة وبلغ ذلك جيلة لمحفدها عليه وزاد سعيه حتى اخرج كل العرب الفساسنة من حوزته ولم يترك له منهم الا شذمة قليلة

فازداد ثعلبة لؤماً وسناهة واخذ يطعن في جيلة وابنته وسائر اهل بيته فندم جيلة لما وقع منه في حق حماد واسف لانفاذه في تلك الرسالة الخطرة ولم يزد مع الزمان الا ندماً ولكنة كتم ندمه ينتظراً ما يجيء به القدر ولكنه صم في باطن سره ان يكفر عما ارتكبه في حق حماد بان يزوجه بابنته سواء عاد بالقرطين او بدونها فضلاً عما في ذلك من النكابة في حماد .

## الفصل الخامس والخمسون

### ❁ هند والقمر ❁

وما زالت هند حال هند حتى كاد ينقضي العام ولم تسمع عن حماد خبراً فترجح لديها انه اما قتل او قتل وشق عليه الرجوع خائباً فهاجر الى مكان بعيد او لعله فنك بنفسه فراراً من اقبال النسل وتخلصاً من عذاب الحب فتراكمت عليها الهموم . وفي ذات يوم قضت هند نهارها في مثل هذه الهواجس والدتها تسارقها للحظ وتغتنم فرصة لتخطبها وهي تجهل وتبتعد فلما سدل الليل نقابة دخلت الى غرفتها واوصدت الباب وراءها وجلست الى النافذة المطلة على الحديقة والفت جنبها على وسادة وجعلت رأسها على كنفها وكانت الليلة مقمرة والجو صافياً والبدر عند اوج بزوغه من وراء التلال وقد ارسل اشعه على الاودية والجبال . فاخذت تتأمل بما احدثه من الاظلال الطويلة على السهول والسانين ونظرت الى حديقة القصر فرأت اشجارها متشامخة تنالح السحاب لكن اظلالها اطول منها كثيراً وقد وقعت تلك الاظلال على

ما هنالك من اغراس الرمان وغيره من انواع العطريات فحجبها عن البصر ولكنها لم تحجب رائحتها فتضوع القصر منها . وقد هدأت الطبيعة واوت الطيور الى اوكارها وسكنت الرياح فلم تسمع الا خريف ماء الغدير في وسط البستان ونفارت الى ضفاف ذلك الغدير فرأت اشجار الحور مرتبة صنوفاً كأنها عذارى حزن للاستقاء فهالهن سكون الطبيعة فيهن ووقفن على ضفاف الغدير صامتات .

فما برح القمر ان اعلى وظهر وجهه واضحا فاستقبلته همد وجعلت تنأمله فاحست بارتياح الى منظره فتذكرت ارتياحها الى روعة حبيبها فباختلج قلبها فعاتت الى الانقباض فارسلت نظرها الى القمر لعلها تسترجع ذلك الارتياح فامتنع عليها ولكنها ما لبثت ان تأملت وجه القمر حتى ترققت الدموع في عينيها واخذت تخاطبه قائلة « العلك مشرق الآن على منازل مكة وجبالها اعل حبي هناك يظن اليك ويستقبلك بوجهه ليته يفعل ذلك فيلتي طرفانا عندك فنبضع على بعد الدار »

الى الطائر النسري انظري كل ليلة \* فانه اليه في العشية ناظر

عمى يلتي طرفي وطرفك عند \* فنشكر اليه ما تكن الضمائر

« نعم اني ارى على وجهك صورة كأنها ظل وجهه فهل يرى هو مثل ذلك ايضا » ثم عادت الى البكاء فاطلقت لنفسها العنان حتى لم تمالك عن الشهيق وهي تظن نفسها منفردة لا يسمعها احد ولكنها ما لبثت ان سمعت قارعا يقرع الباب فعملت انها والديها سمعت صوت نكاتها فجاءت لتعزينا فودت القاء في خلوتها فضاهارت بالنوم ولم تنهض لفتح الباب ففرغت والديها الباب ثانية والحت عليها ان تنح فسمعت عيونها ونهضت ففتحت الباب ولم يكن في الغرفة نور غير ضوء القمر الداخل من النافذة فدخلت سعدى وهمت بهند وضمتها وجعلت تقبلها وتظار الى وجهها لتحقق بكائها وهدت صامئة مطرقة لاتبدي حراكا فقالت سعدى ما بالك يا ولداه ما الذي يبكيك لما ذا لانشكين الي هك الست والديك اما انت ولدي وفلتة من كيدي الا تعلمين انني احبك

فلبثت هند صامئة ولكنها نظرت الى والديها بطرف عينيها نظرة التأنيب ولم تنه بكلمة فهتت سعدى انها توبخها لما ارتكبتة بشا نحماد ولكنها ارادت مغالطتها فاخذتها بيدها الى السرير واجلسها الى جانبها وقالت ما بالك لا تجيبيني يا هند انك تمين عني

شيثاً لم أكن خزانة اسرارك قولي يا ولداه ما يبكيك  
فنظرت هند اليها وكان ضوء القمر واقعاً على وجهها فرأت سعدى الدموع تتلألأ  
وهي ساقطة من عينيها فانظر لها قلبها وهمت بها ثانية وضمها وتناولت مندبلها  
وجعلت تمسح لها الدموع فحوّلت هد وجهها نحو النافذة وتهدت وهي تنظر الى القمر  
وضوءه على السهول والجبال

فنهضت سعدى ووقفت معترضة بينها وبين النافذة وقالت لها قولي يا ولداه  
ما الذي يبكيك لقد قطعت قلبي ولم يعد لي صبر على بكائك ألا تعرفين قلب الوالدة  
فوقفت هند ثم مشت نحو النافذة والديتها تعترضها وتمسك يدها ثم وقفت وقفة  
من ينتظر جواباً فنظرت هند اليها شذراً وقالت « نعم يا اماء اني اعرف قلب  
الوالدة ولكن الوالدة لا تعرف قلب ابنتها »

فادركت سعدى مرادها فقالت ومن قال لك يا هند اني لا اعرف قلبك  
فقال لوعرفت قلبي ما سببت لي هذا الشقاء لاني اعرف حوك  
قالت كيف لا اعرف قلبك يا ولداه وقد كسنت لي غوامض اسراره  
قالت اذاً عرفت حاله ولم تشقني عليه فلا بأس ساعذك الله وسامح والدي  
و..... وشرقت بدموعها

فابتدرتها سعدى واظهرت الاسنغراب قائلة كيف تقولين ذلك يا هند كيف لم  
تشقني على قلبك وكل ما حصل انما حصل بمصادفك ورضاك لما فيه من الفخر لك  
فهزت هند رأسها وهمت بالجواب ثم سكنت فائمت والديتها الكلام قائلة ومع ذلك  
فان الاحوال قد تغيرت هوت الحارث واذلال ثعلبة فسواء جاء حماد بالقرطيين ام  
جاء بدونها فليس ثم من ينق في سبيله

فلما سمعت اسم ثعلبة ارتعشت جوارحها فقالت « آه يا اماء لقد قضي الامر...  
ابن حماد الآن... آه ابن هو... هل تعلمين ابن هو وقد انقضى العام منذ سار من هذا  
المكان ولم نسمع عنه شيئاً » ثم حولت وجهها نحو النافذة وقالت وهي تبكي « آه يا حماد  
آه يا حماد سامح الله من كان سبباً فيبعادك... ابكي يا اماء على هند ابكيها وارثها  
ولا ينعب ضميرك او تندمي على ما حدث لي وله على يدك ويد والدي انما هي الاقدار  
قد كتبت علينا هذا الشقاء » ثم قالت وقد غلب عليها الشهيق وعلا صوتهما

« آه باحماد حبيبي اين انت الآن العلك على الارض ام في السماء ام اين انت من يخبرني  
بمكانك لكي اطير اليك فاما ان اعيش بقربك او ان ادفن تحت قدميك فقد كفاني  
ما سببته لك من الشقاء وما جزاء عملي هذا غير الموت . الموت الموت ! .. »

قالت ذلك ورمت بنفسها على السرير والدتها لا ترال ممسكة بيدها تحاول  
تلطيف ما بها فلما ألقت نفسها خافت سعدى ان يغى عليها فيبادرت الى الماء لترشها  
به وامسكتها بيدها: وجعلت تخاطبها وقلبا يتقطع ولولا اشتغالها بتعزيبها لكانت هي  
المغى عليها لا محالة ولكن اشتغال الانسان بمن يحبه ينسيه نفسه: فهمت بها وخاطبتها  
فتخففت انها لم يغم عليها فحاولت اجلاسها وجعلت تقبلها وهدت مشتغلة بالبكاء والشهيق  
ويدها على وجهها

فرأت سعدى ان تتركها هيمه رثيا يهدأ روعها فلبثت صامتة مطرقة تفكر في  
امرها حتى اذا آتست منها سكينة وهدوء اجاءت بكاس من الماء وقدمته اليها لشرب  
فشربت وهي مطرقة خجلاً لما ظهر من عواطفها رغماً عنها  
فابتدرتها والدتها قائلة خفي عنك يا ولداه فانك مثال التعقل والرزانة عندنا  
فكيف اطلقت لنفسك العنان

فظننت هـد انها توبخها فقالت كـفاني توبخاً فقد علمت اني اتيت امرأ يعاب  
عليه امثالي ولكن الكاس قد طُح والامر نـفـد  
قالت سعدى لم يند شيء بعد يا هـند ان حماداً نصيبك وقد قلت لك سواء  
جاء بالفرطين ام لا فانه لك وانت له

فتمهدت سعدى وقالت هذا اذا قدر لنا ان نراه رلاً اظنه اذا فشل في مهمته  
الآضارباً في بطن الارض ولا يعود اليـنا صـفر الـيدـين  
قالت تدبري الامر بالصبر والحكمة واتكلي على الله انه قادر على كل شيء وهلم  
بنا نصلي ونطلب اليه تعالى ان يعينه سالماً

فتأملت هـند في حديث والدتها فترجعت عدها انها تقول الصدق بشأن حماد  
واقترانو بها سواء جاء بالفرطين ام لا فسرّها ذلك ولكنها ارادت ان تستطلع ما يكمن  
والدها من هذا القيل فقالت لوالدتها

هي انك رضىت بذلك شفقة على صباي فهل برضى والدي به



قالت ان والدك اكثر رغبة مي في الامر وخصوصاً بعد ان وقع ما وقع بينه وبين ذلك الخائن من النور على انزواء والدك اخارت فضايبي نساً وقرري عيماً وانكلي على الله ولنطلب اليه تعالى ان ينجي لك خطيبتك ويعيد اليك سالماً معافى ونسي انعابتنا فسكن روع هند وسارت الى فراشها وسلمت امرها الى الله

## الفصل السادس والخمسون

### ﴿ إشارة ﴾

واصبحت في اليوم التالي فعاد اليها الاكتاب فودت اها لم تستيقظ او انها نظلم نائمة فلا تيق الا على صوت حماد فلبثت في الفراش تلتمس النوم واخذت لتقلب عبثاً فلما كان الصبح جاءت والدتها تستنقدها فلما رأتها في الفراش انشغل بالها واستطلعت السبب فشكت لها نكاسها عن القيام فجلست الى جانبها تحادثها بما يذهب عنها الهواجس وهند تسمع وافكارها تائهة حتى كانت الظهيرة فسمعت صوتاً خارج الصرح ينادي « من يذر نذراً لبحران المبارك » فحنق قلب هند لذلك الصوت وهبت من فراشها بغتة وبغتت ايضاً والدتها لانهما نسمتا منه صوت سلمان وتذكرتا قدومه اليها قبلاً بشأن حماد فهرولتا الى الباقية فرأتا راهباً على فرس مثلاً رأتا سلمان قبلاً ففحقتا انه هو بعينه فخالته هند تنسها في منام لقدومه عليها بغتة على غير انتظار فناداته فتحول ودخل فخرجت سعدى لاسنقها وظلت هند في الغرفة جالسة وركبتها ترتجنان من التأثر ولم تستطع الوقوف الا بعد هنيهة وقد سمعت وقع اقدام الرجل مع والدتها داخلين الى النصر فوقنت لاستقبالها فوصل الرجل الى باب غرفتها وحالما وقع نظرها عليه عرفته فعلمتها البغته ولم تعد تعلم كيف تكلمه فابتدرها هو بالسلام وتبسم ومم بتقبل يديها فنعته وصاحت ما وراءك يا سلمان وكانت والدتها قد اغلقت الباب

قال ما وراي الا اخبر يا سيدتي كيف انت

قالت نحن في خير وكيف حماد وابن هو اخبرنا

قال هو في خير وقد تركته في دير بجراء ينتظر امرك ويدعوك

قالت هل هو في خير وعافية

قال نعم يا مولاتي انه في خير وقد التقى بواله في المدينة  
فحزرت هند الى الارض قبلتها وقالت نحمد الله على سلامته قالت ذلك وقد  
انبسط وجهها وابرقت اسرتها

فقالت سعدى ابن هو حماد ولما ذالم يأت معك

قال انه بقي في الدبر خجلاً من مقابلتك  
قالت وما الذي ينجله انما لا نريد منه شيئاً غير سلامته .  
قال والفرطان

قالت لا حاجة بنا اليها فقد زال انسبب الذي دعا الى طلبها

قال ان امر الفرطين قد عاد علينا بالمثل فقطعنا النياقي والقفار حتى اتينا  
الكمبة فلم نقف لها على خبر . وقص عليها حكاية سفرهما من يوم خروجها من صرح  
الغدير الى ان سادا وكيف التقيا بعبد الله وما عزموا عليه من البحث عنها في العراق  
فقالت هند دعنا من الاقراط قد اغناها الله عنها  
فغضب لذلك النغير واراد ان يعلم اذا كان جبلة ايضاً في مثل رأيهما  
فقال وهل سيدي الملك جبلة في خير

قالت سعدى نعم هو في خير ينتظر قدوم صهر حماد بفارغ الصبر

فلما سمع قولها ( صهر ) زاد اطمئناناً برضاها عن حماد فقال وهل هو ايضاً  
مغفل امر الفرطين

قالت انه لا يريد شيئاً غير سلامة ولدنا حماد فادعه اليها لتراه

قال انه يود ذلك من اصميم قلبه فأذنوا له بفرصة آتي و اليكم  
قالت فليات باقرب وقت ولكننا نود حضوره ووالد هند حاضر ليفرح بهودته

وليكن ايضاً والد معه لينم النرج

فرح سلمان بين الاخبار ولكن خاطراً مرّ يذهبه فاسكنه بغنة فلمعت هند شيئاً  
غيره فقالت ما بالك يا سلمان ما الذي اسكنك فهل هناك ما يمنع حضوره اخبرني  
قال كلاً يا مولاتي انه ينتظر هذا الاجتماع انتظار الظمان للماء الزلال وهو انما

تحمّل الاخطار ومشايق الاسفار طمعاً بذلك ولكنه ...  
فبغيت هند وسعدى معاً وقالنا ما الذي يدعوك الى ترددك قل يا سلمان لقد  
شغلت بالناس

قال لا يخفى عليكما ان سيدي حماداً تشرف بخطبة سيدي هند والى لا يعلم  
ولما علم بذلك يوم اجتماعنا في المدينة سرّ كثيراً ولكنه استعمل حماداً في اتمام هذا  
الامر ربنا يأتي يوم الشعانين  
قالت سعدى وما علاقة يوم الشعانين بذلك

قال لا علاقة له بو الأمن حيث النذر فقد علمتم ان سيدي حماداً منذور ان ينص  
شعره في دير بجيرة من يوم ولادته وان يكون قصة في يوم الشعانين في السنة الحادية  
والعشرين من عمره فلما كان اليوم المعين منذ عامين حدث ما حدث لما تعلمون وفروا ولم  
يتمكن من وفاء النذر فلما عاد من هذا السفر قال سيدي عبد الله لولع انه سيقتص شعره  
في يوم الشعانين القادم بعد بضعة اشهر وانتم اليوان لا يباشر عملها قبل ذلك  
اليوم لانه سيطلعه فيو على امورهم ولكني لا اظن لها علاقة بهذا الامر  
فلما سمعت هند ذلك الكلام تعودت بالله ما هو محبها لها في عالم الغيب  
وقالت في نفسها اهل امامنا عراقيل اخرى غير التي انقضت

فقالت سعدى لا بأس ولكن ذلك لا يمنع سيدك من الحضور ليلتقي بوالد هند  
وخصوصاً لانه غريب فقد يستأنس به ومن يعرفه على يد في البقاء اما ذلك الامر  
فما نحن في عجل اليه وانما المراد ان نصيب قلوبنا ويبدأ بالبا ونرى بعضنا بعضاً وقد  
تمتد العنابات بموت الحارث وسقوط نود ثعابة بين القتل

فقال سلمان نحمد الله على نعمه ولا اقدر ان اصف لكم مقدار سرور مولاي حماد  
بهذه الاخبار فعين على المكان والزمان الذين تريدان الاجتماع بهما لاخير سيدي

قالت هند فليات حماد اولاً لنراه ثم نعين يوماً يجتمع به والى الدان لاتنا نخشى  
اذا انتظرنا اجتماعها ان يطول الاجل فان والدي في البقاء وربما لا يستطيع المجي  
الآ بعد بضعة ايام . ما ادت هند بذلك ان تجتمع بمجاد قلاً على افراد استوضح امر  
النذر وعلاقته بالافتراق

فقال سلمان ما اني ذاهب لادعوه واطمئنه يكون هنا في صباح الغد ان شاء الله

فخرج وقد ندم على ما فرط منه في حديثه عن عبد الله وعلم انه اخطأ فيما ذكره بشأن الذر وخاف ان يشق ذلك على حماد فعول على التخلص من هذه النعمة بالحيلة فاسرع حتى اتى الدبر في مساء ذلك اليوم وكان قد سار في هذه المهمة ولم يجز عبد الله لعله انه لا يريد ذلك

فلما وصل الدبر كان حماد في انتظاره فاستقبله وهو ينظر الى وجهه لعله يقرأ على ملامحه ما يبشره فأراه ينسم ووجهه منبسط فرحب به وسأله عن الخبر فقال ابشري يا مولاي ان الله قد محا كل شقاء كتب علينا وزالت كل الموانع التي كنا نخاف وقوعها بينك وبين هند

قال وكيف هند هل هي مسرورة برجوعي وهل علمت اننا لم نعثر على القرطين وماذا قالت

فضحك سلمان وقال ان القرطين لم بعد لما دخل في امر اقترانكما فقد تغير وجه المسألة بموت المحارث بن ابي سمر . وقصّ عليه الخبر الى ان قال واذا شئت الاقتران في صباح الغد فهو لك لان والدة النناة والدة راضيان بك لا يريدان منك شيئاً واما هند فانت تعلم قلبها قال وهل طلبت مواجهتي

قال كيف لا وقد طلبت ايضاً ان يشرف سيدي والدك على ان يكون الملك جبلة موجوداً لنتم المعرفة بينها واني واثق باقبال نجم سعدنا لان اقترانك بهند فضلاً عن انه من أهم اسباب سعادتنا فهو سبيل الى اكتسابكما نفوذاً لدى ملك غسان فقال ولكلك تعلم ان والدي لا يرضى الذهب معي بهذا الشأن

قال أعلم ذلك وقد ذكرت امام سيدتي هند فبغت حماد وقال كيف ذكرت وماذا قالت قال ذكرت على اسلوب لطيف فقلت ان سيدي عبد الله سرّ كثيراً بخطبتكما ولكنه بود وفاء الذر قبل عقد الاقتران

قال حماد اخشى ان تكون هند قد فهمت شيئاً بمحملها على اساءة الظن قال لا اظنها فهمت شيئاً من ذلك وعلى كل فانك ذاهب اليها في صباح الغد وقد اجلنا اجتماع والديكما الى فرصة اخرى فاذا اجتمعنا افهمنا المحكاية كما تريد

قال اذا نذهب الى صرح الغدير في صباح الغد وماذا تفعل موالدي هل نخبر  
قال ارى ان نخبر باننا ذاهبون لطانة اهل الصرح بعودتنا واننا لا نتحدث بشأن  
الخطبة أو الاقتران مطلقاً  
قال هذا هو الصواب

## الفصل السابع والخمسون

\* حماد وهند \*

وفي مساء ذلك اليوم خاطب حماد والدة في امر هند وقال له ان وفاة المحارث  
ربما سهلت امر اقتراننا وربما عدلوا عن طلب القرطين . وظهر حماد سروره  
بذلك فلم يجب عبد الله بكلمة

فقال حماد ألم تسر يا سيدي بذلك

قال اني اسر لسرورك ولكني لا ازال الح عليك بالانصرار في هذا الموضوع  
ربنا يأتي يوم الشعانين ونفي نذرنا

قال اعاهدك باني لا ابشرا مرة قبل مميء ذلك اليوم ولكني عازم في صباح الغد  
على الذهاب الى الصرح لاشاهد هنداً والدمها لاجل الاطنتان واظنهم يودون مشاهدتك  
قال دع ذلك لبعد يوم الشعانين اما انت فاذهب لمشاهدة اهل صرح الغدير

واحذر ان تمضي امراً

قال حسناً يا مولاي

وفي صباح اليوم الثاني ركب حماد باكرًا وركب سلمان معه وسارا فاصدين الصرح  
اما هند فانها لم تنم ليلتها تلك اعظم تأثرها فرحاً بقدم حماد الا عند الفجر  
فاغضض جنبها فنامت منبهة فافاقت والشمس قد طلعت فظنت تنسها قد ابطأت  
في الفراش وخافت ان يأتي حماد وهي نائمة فتمضت ولم يؤثر فيها السهر شيئاً لتنبيه  
عواظها فاعلمت وليست ثيابها وعادت الى غرفتها وفيما نافذة تشرف على طريق  
بصرى فجلست اليها وعينها شائعتان نحو الافق لعلها ترى حماداً قادماً وكانت كلما

رأت شجراً أو ظلاً أو سمعت صوت صهيل أو وقع أقدام خفي قلبها ولا يكاد يحدث في الصرح صوت إلا سمعته كأنها كلها آذان لعظم تأثرها  
 أما سعدى فقد كانت توصي الخدم في اعتاد ما يلزم للضيافة من الذبائح ونحوها فلما فرغت من ذلك فكرت في هند وما يكون من حالها عند ملاقاتها حماداً بعد طول غيبته فوافقت من شدة تأثرها لئلا يظهر منها ما تعاب عليه أو يؤثر في صحتها فرأت ان تسير اليها وتشاغلها بالذهب ما بها من قلق الانتظار فبأيتها فاذا هي في مثل ما خافته عليها

فلما سمعت هند وقع أقدام واليتها كادت تغت اولاً تعودها سماع ذلك فاستقبلت واليتها باشة فابتدرتها سعدى قائلة ما بالك منفردة يا هند اظنك تسعين عدول حماد عن المنيء فضوكت ولم تجيب

فقالت هيأ بنا الى الحديقة ننسم رائحة الازهار لأن بقاءك هنا مل قالت ذلك واسكت بيدها ومشتا حتى نزلتا الى البستان وابغلتا بين الاشجار وهند تسارق النظر من بين الشجر لعلها ترى حبيبها قادماً ولكن واليتها سارت بها في الحديقة حتى غابت عن الطريق وكانت هند انما تمشي محاراة لها وقلها يحدثها بالرجوع الى النصر لئلا يصل حماد اثناء غيابها

وفيا هما في ذلك سمعنا صوت صهيل عرفت هند حالاً انه صهيل جواد حماد فخنق قلبها فنظرت اليها سعدى متجاهلة فاذا هي قد بغتت وهمت بالرجوع فقالت لها دعينا هنا فانه لا يليك ان يأتي فزراه وقد ارادت سعدى ان يكون الملتقى على انفراد مخافة ان يحدث في اثناء ذلك الاجتماع ما لا يستحسن اطلاع اهل النصر عليه

فسكتت هند ولكنهما ما فتئت تنظر من خلال الاشجار نحو باب الحديقة تنتظر مجيء حماد بفارغ الصبر ولم تنص هنيهة حتى رآته قادماً وعلى رأسه الكوفية والعتال وقد تقلد الحسام تحت عباءة حريرية مزركشة بالفضة فلما وقع نظرها عليه زاد خفتان قلبها واصرد وجهها ثم ما لبث ان علت الحمرة وظلت واقفة اما واليتها فتقدمت حتى التفت بحماد فسلمت عليه فهم بتقيل يدها احتراماً فمضت وهند لا تزال واقفة

وقلبها بمحدثها بالمسير نحو ولكن الحشمة والحياء منعها  
اما هو فاسرع نحوها ومد يده مسلماً ووجهه يفتح سروراً وعيناه شاخصتان  
اليها تفقدان ذكاء وهياماً

مدت يدها وهي تنظر الى الارض خجلاً ولكن الانسام غلب عليها ولما امسكت  
بده شعرت بقوة انبتت في كل اعضائها ثم توردت وجنتاها وأبرقت أسرتها كأن  
نلك القوة مجرى كهربائي انتشر في اعضائها ثم انحصر في وجهها فاضاء . فقال حماد  
كيف انت يا هند لقد اطلت الغيبة عليكم ولكني عدت مع ذلك بخفي حنين

فغلب عليها الحياء ولكنها نظرت اليو بعينين براقبتين تبعث أشعة الهيام منها  
وقالت لا حاجة بنا الى الحنين ولا الفرطين وإنما حاجتنا الى عودتك سالماً فالحمد لله  
على ذلك . قالت ذلك ودموع الفرح تتناثر من عينيها وهي تنسم فارادات اخفاء دموعها  
فتحول نحو شجرة بالقرب منها تحتها مقعد من حجر للجalous وتحول حماد وسعدى  
والكل سكوت ولكن فلي العاشقين يتكلمان او لعلها يصحكان فقط ولو تركا على  
انفراد لانطلق لسانهما وتعاوبا وتغازلا ولكن وجود سعدى حملها على الاكتفاء  
بحديث القلبين

ولما استقر بهم الجالوس قالت سعدى لقد اطلت الغيبة علينا فانشغل بالناس كثيراً  
ولما سمعنا حكاية سفرهم من سلمان حمدنا الله على عودتك سالماً بعدما فاسينته من الخطر  
قال لا بهمني من امر سفرتي هذه شيء ولا احسبني اتيت امراً ولا تحملت شفاء  
طالما كان سفري عقيماً وإن يكن ذلك لغیر قصور مني لان السبب فقدان الفرطين  
من الكعبة اثناء هدمها وبنائها اما انا فاني عازم على مواصلة البحث عنها في العراق  
او غيرها حتى اتي بها

فابتدرته هند قائلة لا لا حاجة بنا الى الافراط فان عندنا من فضل المولى ما  
يكفيها مؤونة هذه الاسفار

قال وماذا يقول الناس عني وقد عدت صفاً لدين اليس عاراً على حماد ان  
يرجع خائباً عن امر طلبته هند !! قال ذلك وعيناه تظنران الى هند ويكاد النور  
ينشق منها

فالتفتت في اليو وقالت وهي تنسم لام بعد حماد خائباً لانه جاهد في سبيل

الفرطين جهاداً حسناً ولا يزال ساعياً في التفتيش عنها في خرائن الحيرة ولكننا نحن حولناه عن عزمو فاذك من قبيل الحبيبة لا سمح الله

ثم قالت سعدي ان امر الفرطين يا ولدي لا يهنا مطلقاً فمثل هذه الافراط كثر عندنا من نعم الله . من ذلك الولوتان معلتان بناج الملك جيلة هما مثل الولوت في قرطي مارية تماماً حتى لقد يمجسها الناس نفس الفرطين <sup>(١)</sup>

قال حماد اني لا أجهل نعم الله على ملوك غسان زادكم الله نعماً ولكنني وددت ان اجعل لي سبيلاً استحق به هندا فان نسي وجده ولا حسي يخولاني هذا الشرف ولكن ذلك أحسبه من جملة كرم الغسانيين على الغرباء . قال ذلك وتيسم والتفت الى هند فاذا هي تبسم ايضاً وتنظر الى الارض

فالتفت سعدي اليه وقالت ان النسب يا ولدي لا يجعل الانسان انسانا وان الرجل باصغريه لا يرد به فان ما شهدناه من شهامتك وكرم اخلاقك لجدير بان يرفع منزلتك الى أوج الملوك وكم من ملك تحطه دناءته الى مصاف الصعابك وشاهدنا على ذلك قريب . قالت ذلك ونظرت الى هند كأنها تذكرها بدناءة ثعلبة والمقابلة بينه وبين حماد فادرك حماد ذلك فاطرق خجلاً لما سمعه من الاطباب ولكن قلبه رفض طرباً لتخلصه من امر الفرطين وتمثل له ملاك السعادة طوع ارادته فابرت اسرته ثم تذكر يوم الشعانين وتأخير الافتران بسببه فاقبضت نفسه على ان اجتماعه بهند في تلك الساعة انساه كل نقباض ثم اتت سعدي كلامها فائلة ارى على ثيابك اثر الغبار الا تحناج الى تدبيل وغسيل فاذا شئت هلم بنا الى النضر

قال لا اشعر تعب وان الغسيل والتدبيل امران مستدركان ولكن الجلوس في هذه الحديقة بين الاشجار ومجاري المياه والاستظلال تحت هذه الشجرة ما ترناج اليه نفسي . ولا اخني على سيدتي اني لم اكن ارجو مثل هذا الاجتماع بعد ما فاسيته من المشاق ولا انسى يوماً قضيته في مكة على سطح غرقي لا اذكر يوماً كنت فيه كما كنت في ذلك اليوم لا اعاده الله

قالت هند وكيف كنت

قال لا فائدة من ذكر ذلك غير الكدر ولكنني امثل لك الامر تمثلاً . تصوري



اني ركبت متن الاسفار وقطعت البراري والقفار للبحث عن قرطي مارية مهراً لحبيبتني هـد والمتميش عن والدي فنزلت بلداً شهدت فيهو حرباً وخطراً ثم تحققت فقدان الفرطين وضباع والدي فلما تراكمت كل هذه المضائب عليّ صعدت الى سطح غرفتي وقد ضق صدري وتذكرت هـداً والدي وما انا فيه من البأس فماذا تكون حالي فقالت سعدي لقد سرنا العنور على والدك هل هو في خير وهل ينوي زيارتنا فاني احب نعيمه بانملك جبلة لينم سرورنا فقد زالت كل المحاجز وعهدت كل العقبات والحمد لله

فذكر حماد مسألة الذر وحكاية يوم الشعابين فقال في نفسه لم ترل امامنا عفة لا ندري ما وراءها . ولكنه اجاب سعدي قائلاً ان سيدي الوالد يسر كثيراً بمقابلة الملك جبلة وهو شرف ينماء اماننا ولكنه الآن في شاعل وسيغتنم اول فرصة لمقابلة سيدي الملك وما كذلك

## الفصل الثامن والخمسون

### \* جبلة \*

وفيما هم في مثل هذه الاحاديث اتسوا في اهل النصر حركة واهتماماً ثم جاءهم مخبر بينهم بمن جاء يبشر بقدوم الملك جبلة الى النصر فغلت الجميع لقدموه على غير انتظار ونهضوا يطلبون النصر ينتظرون قدوم الملك

فمشوا صائمين كل منهم بمكر في امر وكان حماد اكثرهم بغته واهتماماً لانها اول مرة - يقابل بها جبلة بعد عودته فخاف ان يكون فشله في البحث عن القرطين سبباً في فتور نعمته له واما هند فكانت تتوقع من والدها حقاً الى حماد بناء على ما سمعته من والديها واما سعدي فلم تستغرب قدومه لانها هي التي انتذت ابو رسولا بالامس بخبر مجيئ حماد وانه سيوزرهم في ذلك النهار فاذا استطاع المجيء فعل فوصلوا النصر ودخلوا قاعة الجلوس وما استقر بهم المقام حتى نودي في النصر بمجي الملك فخرج اهله لاستقباله وخرج حماد وهند والديها الى الحديقة

وكانت الفرسان قد وصلت فتحول جلبة عن جواده وعليه لباس السفر من العباءة والكوفية وقد تقلد الحسام ومشي بلفت ذات اليمين وذات الشمال يبحث عن حماد حتى اذا وقع نظره عليه دنا منه فتقدم حماد وهو يقدم قدماً وبؤخر اخرى ليبري ما يبدو منه . اما جبلة فاسرع اليه وسلم عليه مصافحة وقبلته قبلة الوالد لولك والناس ينظرون . وكانت هند تراقب حركات والدها فلما رأت منه ذلك وقص قلبها طرباً وتناثرت دموع الفرح من عينها وكذلك والدتها اما حماد فانه قبل يدي عمه وقد شفق رضاءه ع . فقال له جبلة املاً بولدي وعزيزي نحمد الله على عودتك سالماً فاجابة حماد ( وملاح الامتنان ظاهرة على وجهه ) له الحمد على كل حال ولكنني احمد الله على رضا ملك غسان فانها نعم لا اقدر على نقدها يا عمه

ثم تحول جبلة نحو هند فقبلت يدها وقبلها وحماد ينظر فقهرت فيه عاطفة الغيرة عليها حتى من والدها ثم حباً سعدى ومشي الجميع نحو القاعة وعينا حماد على هند كانه يريد ان يلتفتها بنظره وقد شق عليه مفارقتها بعد ان نقر له الحصول عليها وكان سلمان في جملة اهل النصر الوقوف في انتظار جبلة ولم يثنأ دخول الحديقة على حماد عند اول مجيئها مراعاة لما قد يدور بين المحبين من عبارات العتاب ما لا يهون الفتوة به امام احد

ودخل جبلة وسعدى وهند وحماد القاعة فسأل حماد عن سلمان فاجاب فدعاه للجلوس هناك فتوقف توقيراً للجلسة فنهض حماد واسكته بيده وقدمه الى الملك قائلاً اقدم لكم يا عمه رفيقي وصديقي سلمان فانه كان معتمدي في اسفاري وهو محب غيور للملك جبلة وسائر آل منزله

فرحب به جبلة وامره بالجلوس فجلس والجميع جلوس ثم التفت جبلة الى حماد وسأله عن والد فقال اني تركته في دبر بجبراء على ان يحظى بمقابلة مولاي في فرصة اخرى

قال لقد سررت كثيراً باجتماعكما بعد طول التفتت بسبب ذلك الغلام الغر ( يريد ثعلبة ) وقد كنت في غفلة عن امره الى ما بعد وفاة والدك فتبعثر اصدقاؤه فاخبرني بعضهم بما ارتكبه هذا الخائن في سبيل الفتنك بك على اثر ما اظهرته من

الشهادة وكرم الاخلاق وبكفي انك عنوت عن قلبك في حلبة السباق بعد ما عاينت من غدره وسوء قصده ولكن ذلك الخائن قد نال جزاء ما جنته يده وكان الناس انما يرمقونه ببعض الاحترام مراعاة لمصعب والى فاكاد يتوفى المحارث حتى نُبذَ بذ النواة وصار مضغة في الافواه ومن انقل المصائب عليه ان يعلم بمجيتك ونيل مرامك ولا اظلم بسمع بافتراك حتى يقع ميتا لثمة لؤم وحسد فجأة الله . وكان جبلة يتكلم ولحجته تهتز وعينه تفقدان غضبا مع محاولته اخفاء ما في نفسه وتخفيف ما به فلما اتم كلامه اخذ يتلاهي بمشيط لحينو باصابعه ويداعل نظره بالالفاظ الى خيلٍ مربوطة خارج النصر كانت تتزاحم وتتضارب

اما الحضور فانهم لبثوا بعد انما حدثوا مكروتا متبها من غضب ولكن قلوبهم كادت تطفح سرورا بما قاله عن ثعلبة . ثم وجه جبلة خطابة الى سعدى قائلا اسقينا شيئا نرطب به اجوافنا ونشربة نخب اجفاننا فرحا بقدم صهرنا سالما . فقالت الا ترى ان تجلس الى المائدة فتناول الطعام والمداام بها . قال حسنا تفعلين

فصنعت فجاء غلام . فقالت هل تمت معدات الطعام

قال نعم يا مولاتي

فنهض جبلة وشى فتبعه الجميع حتى دخلوا غرفة مدت فيها الاسمطة وعليها الاطباق والمطعين وكلها من الذهب او الفضة <sup>(١)</sup> فجلسوا يأكلون وبشربون والفرح شامل لم

فلما فرغوا من الطعام وقاموا عن المائدة تقدم جبلة الى حماد وأشار اليه ان اتبعني فتبعه حتى خرجا من النصر وجعلا يتمشيان في بعض طرق الحديقة فلما خلوا قال جبلة اعلم يا حماد انك الآن بمنزلة وادي وقد قسم الله ان تكون صهرا لي وهذا امر احسبه من حظ هند لانك شهم يفخر بشهامته وشجاعته ما يربو على الافتخار بالحسب والنسب . وقد تركت اليك تعبين زمن الاقتران ولكنني اوجه التفاتك الى امر واحد وهو ان هنداً كما تعلم وحيدة ليس لنا ولد سواها فيشقى علينا فراقها فأشترط عليك اذا تم الاقتران ان نقيم عندنا انت والدك ومن تربك من ذويك فتتزلون على الرحب

واسعة فان البلاد تحتاج الى من يتولاها وليس لي واد ذكر فاذا احسنت السياسة مع القبايل اجتمعوا بعدي تحت المائتك وكنت ملكاً عليهم  
فلم يعد يعرف حماد كيف يشكر نعمه ولكنه وقف وكانا ماشيين فوقف جبلة فقال حماد ان هم النعم وهذه الشئ ما يقصر لسان الناس عن اداء الشكر عليها . ان شرطاً اشتراطوه يا عمه ان هو الا نعم انعمت بها علي جزاك الله عني خيراً . انا وقت الاقتران فلا يمكننا تحديق الان لدواع لا اخفيها عنك  
قال وما هي

قال لعل مولاي رأى طول شعري لما لبست الدرع يوم السباق  
قال نعم اذكر ذلك وما سبب طول

قال ان والدي نذراني اذا عشت لا ينصر شعري الا في السنة المحادية والعشرين من عمري في دير بجبراء وضرب لذلك اجلاً يوم الاثنين فان ذلك اليوم منذ عام وبضعة اشهر فجننا البلقاء فحدث ما حدث من سعي تعدد ضدي والقبض على والدي ثم لم نجتمع الا من امد قريب في المدينة فهرى والدي ان نبتة اليوم الشعانيين القادم ونقص شعري في الدير وقد اخبرني ان عندك حكاية ستبصها علي في ذلك اليوم واعز الي ان لا اقطع باسر من الامور المهمة الا بعد ذلك اليوم فإ رأي مولاي فغضب جبلة لذلك السر وقال لا ارى مانعاً من تأجيل الاقتران الى ما بعد الشعانيين ففجئته في يوم القيامة ولكنني استغربت هذا السر الا نعلم ما موضوعه  
قال كلاً يا عمه لا اعرف عنه شيئاً ولا يعلم به احد سوى والدي وقد اخبرني انه لما وقع في الخطر من وخاف الموت لم يأسف على شيء اكثر من اسفه على ضياع ذلك السر

قال جبلة فلننتظر يوم الشعانيين وكل آت قريب  
ثم تحولا نحو القصر وكانت هند والديها وسلمان جالسين في القاعة فدخل جبلة وحماد وفضل بقية ذلك اليوم في الاحاديث المتنوعة  
فلما كان العصر التمس حماد العود الى الدير لئلا يستعطفه والدك فيشغل باله عليه فقال له جبلة افعل ما بدا لك ولكن اعلم يا ولدي ان صرح الغدير وسائر قصور البلقاء مفتوحة لاستقبالك متى اردت القدوم . فهم حماد بيد عمه فقبلها وكذلك

فهل سلمان وودع هنداً وسعدى وكان قد امر فاسرجت الخيل وأراد الاسراع في  
 الشخصوس الى دير بغيراء ليخبر والدك بما لاقاه من الاحثناء وما عرضة عليه جبلة من  
 الانعام لعله يرغب في القدوم على جبلة  
 فركبا وساروا وهند تشيعها بنظرها خلسة حتى تواليا فعاد اهل الصرح فاحكى  
 جبلة لسعدى ما دار بينه وبين حماد ولما عاد هو الى البلقاء احكت ذلك الى هند  
 فكادت تطير من الفرح  
 اما حماد فانه وصل الدير في مساء ذلك اليوم وكان والدك في انتظاره فاستقبله  
 ودخلا الغرفة فاحكى له حماد ما لاقاه من الاكرام والاحثناء وما دار بينه وبين جبلة  
 ما لم يكن يرجوه . وكان حماد يتوقع ان يرى من والدك بعد هذا الحديث اعجاباً او  
 انبساطاً فلم ير وجهه يزداد الا انقباضاً ولم يجب بكلمة فلبث حماد ينتظر يوم الشعانين  
 بفارغ الصبر

## الفصل التاسع والخمسون

### \* قص الشعر \*

وكان عبد الله كلما دنا ذلك اليوم زاد انقباضاً حتى قبل غداً يوم الشعانين  
 فعلم ان الدير سيكون مزدحماً في ذلك اليوم وهو انما يلتمس الانفراد بمجاد ليتلو عليه  
 الحكاية فسار الى رئيس الدير واطلعه على قصه  
 فقال واي الغف تريدون  
 قال يريد صومعة بغيراء نفسها فانها منفردة وفيها كرامة وبركة  
 قال ولكن الناس يقدمون اليها في مثل هذا اليوم زائرين  
 قال يزورونها بعد خروجنا منها فربما مكثنا فيها ساعات قليلة من الصباح الى  
 الظهر . وكان عبد الله جليل الطلعة ممتراً فاذعن له الرئيس  
 ثم قال عبد الله اعرف راهباً شيخاً من تلامذة بغيرا الراهب صاحب هذا الدير  
 كان يتيم في الصومعة فهل هو باق هنا

قال انه باق ولكنه بشكو شدة الضعف لشيخوخته فلا يخرج من غرفته الا نادراً  
قال الا نظنه يخرج في صباح الغد اذا توسلنا اليه ان يرافقنا الى الصومعة وينص  
شعر غلامنا

قال لا اعلم ولكن عندنا من الرهبان والفسس كثيرين يفعلون ذلك  
قال صدقت ولكنني افضل ذلك الراهب الشيخ لاني اعرفه  
قال هلم بنا اليه نسأله فعساه ان يرضى

وسارا الى غرفة من غرف الدبر مغلفة الباب فقرعاه وانتظرا ربما ينهض الشيخ  
لنفقوا وبعد هنيهة فتح الباب وبان من ورائه شيخ هرم قد ابيض شعره باضاً ناصعاً  
واستسلم من رأسه ولحيته وحاجبيه وشاربه حتى لا تكاد ترى من جلد وجهه الا بعض  
وجنبيه وقد تجمعدا وثقلت جبينه وبرزانه اعقف واحدودب ظهره حتى لا يستطيع  
النظر الى واقف امامه الا يجهد وعناية فتقدم الشيخ وبك الواحدة على الباب وبك  
الاخرى يتوكأ بها على عصا قديمة العهد ربما رافقته في صباه وقد قبض عليها بانامل  
لم تترك الشيخوخة عليها لحماً فلصق الجلد بالعظم حتى كان اعرض ما في الكف عند  
الامشاط عند اتصالها بالاصابع

فلما فتح الباب رفع الشيخ نظره وحدق بزاثيره وكان قد عرف الرئيس من  
محمل قيافته ولكنه لم يعرف رفيقه فنظر اليه نظر المتأمل وشعر حاجبيه المسترسل  
يجذب معظم النظر عنه فارسل بك يرفع بها شعر الحاجبين وهي ترتعش لضعف  
الشيخوخة فابتدره عبدالله بالسلام وهم بتقبيل بك فعرفه الراهب فقال اهلاً  
بولدنا الامير عبدالله ابن الوطن العزيز تفضل يا ولدي ادخل . فدخل ودخل  
الرئيس معه وجلس كل منهما على وسادة وهما لا يحسمران على فتح الحديث احتراماً  
لشيخوخة الراهب

ثم تكلم الرئيس فقال ان ولدكم الامير عبدالله يلتمس حضوركم الاحتفال بقص  
شعر ابيه وفاء لنذر نذره منذ بضع وعشرين سنة

فتأمل الشيخ برهة ثم رفع نظره الى عبدالله بغنة والنور ينبعث من حدقه في  
خلال شعر الحاجبين كأن الزمن لم يؤثر على حدنها وقال ما اسم غلامكم  
قال حماد

قال نعم حماد اذكر اني رأيتك في الصومعة منذ عامين واخبرني انه جاء لنص  
شعره وكان يوم الشعانين قريباً ألم تقول النذر بعد  
قال لا يا مولاي لم نستطع ذلك لاسباب فرقت بيننا اعماماً فلما اجتمعنا جئنا  
ليني النذر فهل تريد ان يكون وقاؤه على يدك  
قال انني شيخ ضعيف لا استطيع الوقوف لتادية الفروض اللازمة اثناء  
الصلاة

قال يؤديها القسيس وتكون انت معنا بعد الصلاة فنفردانا وانت وحماد  
الكلام اقصة عليكما  
قال حسناً يا ولدي ومتى يكون ذلك  
قال غداً صباحاً ان شاء الله  
قال سلكتني اذا صباح الغد في الصومعة قال ذاك وهو يتلاهي بمسجتي ويداء  
ترنجمان

ثم نهض عبد الله فودع الراهب وخرج تَوّاً الى غرفته وجلس ينتظر عودة حماد  
وكان حماد يختلف الى صرح الغدير مراراً في الاسبوع يتمتع برؤية هند فيفضي  
النهار عندها مع والدتها واحياناً سلمان وقد شمر ان ملاك السعادة بحرسه وخصوصاً  
بعد ما قصة عليه جبلة ما ينوب له في مستقبل حياته واصبح لا همّ له الا محبي يوم الشعانين  
ليني النذر ويقترب بهند على انه كان اذا جلس اليها ودار الحديث بينها نسي النذور  
وغفل عن مستقبل الايام . اما والد فلم يجتمع بجبلة وكان حماد يلتمس ذلك منه  
احياناً فينخل اعذاراً يخلص بها من المسير

فلما كان آخر يوم كما قد سنا عاد عبد الله الى غرفته وجلس ينتظر حماداً وكان  
قد سار الى صرح الغدير في صباح ذلك اليوم وسلمان معه فعاد في الاصيل على فرسه  
وسلمان وراءه على فرس آخر فلما وصلا الدبر ترجلا ودخلا وهما يتوقعان ان يكون  
عبد الله في انتظارهما فرحب بحمد وقال له الا تعلم يا ولدي ان غداً يوم الشعانين

قال نعم يا ابتاه واني في استعداد لوفاء النذر  
قال جعله الله نذراً مقبولاً . وقد خاطبت الراهب الشيخ الذي كان يجلس في  
صومعة مجبرا هل تذكره

قال نعم اذكر اني جلست اليه مرة وقص علي خبر الراهب مجبرا استأذنه  
قال قد خاطبته في ان يقص شعرك ويسمع ما اتلوه عليك بعد ذلك  
وكان سلمان لا يزال واقفاً بالقرب من الباب يصلح كوفيته وعقاله وكان قد  
انحلاً وهو يقول عن جهاده فلما سمع ما قاله عبد الله تقدم نحوه ونظر اليه قائلاً الا  
نظن خادمك - لمان يستحق الاطلاع على هذا السرايضاً  
قال بلى انك اولي الناس بذلك وستكون انت ايضاً معنا  
وقضوا بقية ذلك اليوم بعدون انفسهم وخصوصاً عبد الله فانه مال الى الانفراد  
بعد بعض الثياب

وفي صباح اليوم التالي ساروا الى الصومعة باكرًا فرأوا مضيفة بالشموع وهي  
كما تعلم عبارة عن غرفة كل من جدرانها الاربعة حجر واحد والسقف حجر والارض  
حجر وبابها حجر واحد يفتح ويغلق <sup>(١)</sup> وهذا هو شأن ابنية حوران حتى الآن نظراً  
لكثرة صخورها وقلة خشبها فهبنون البيوت من الحجر ويجعلون درف نوافذها وابوابها  
وسقوفها من الحجر ايضاً

فدخلوا الصومعة فرأوا الراهب الشيخ ومعه قميس آخر وشماس فلما اجتمعوا  
جميعاً اخذوا في الصلاة فاحرقوا الخور وحلوا شعر حماد حتى استرسل على ظهره وكنهه  
وطافوا به بالترانيم والتسابيح على جاري العادة والقسس يحملون الصليبان والمباخر  
يتزعمون حتى تمت الصلاة وقرأوا فصلاً من الكتاب المقدس وكان الراهب قد نعب  
فجلس على مقعد الحجر ليترنح فلما انقضت الصلاة تقدموا نحوه واعطوه مقرأً ودنا  
حماد منه وشعره مجلجلة فدنا الراهب بك وامسك خصلة من شعره وبارك وقصها اشارة  
الى وفاء النذر وبقي الشعر مسترسلاً على نية ان يقصه عند عودته الى المنزل  
فلما انقضت الاحفال اشار عبد الله الى الراهب انه يريد الخلو فاعز الى المحصور  
فخرجوا وبقي هو وعبد الله وحماد وسلمان واطمنت الشموع ولم يبق من الانوار الا  
مصابيح الزيت المعلقة امام الايقونات فاشار عبد الله الى سلمان ان اغلق الباب فهم  
باغلاقه وهو لا يحسب نفسه قادراً على ذلك الضغامة فاذا هو طوع بك لان لاهل  
حوران صناعة دقيقة في تركيب تلك الابواب حتى تغلق بسهولة <sup>(٢)</sup>



فلما أغلق الباب وضعف النور أحسوا بانقطاعهم عن عالم الاحياء وخيل لهم انهم في عالم آخر وخفى قلب حماد نطعاً لما سيمعه من غريب الاحاديث . فنزع عبدالله جيبه وهم بصرة كانت معه فحتمها واستخرج منها رداء مزركشاً بدمية الطيلسان كان قد اذخره واحفظ به . منذ اعوام فقلته ثم بسطته وجعلته على كتفيه ونشر على الارض امام مجلس الراهب جلداً جثا عليه وجلس حماد وسلمان امامه والجميع سكوت براعون حركات عبدالله وسكناثو ويتظرون ما يبدو منه

## الفصل الستون

### \* كشف السر \*

فلما استتب بهم الجلوس النفث عبدالله الى الراهب وقال اعلم يا مولاي اننا الآن في بيت الله وقد اجتمعنا فيه لعل مقدس فلا يعلم بما سيدور بيننا الا الله وحده وساقص عليكم حكاية اوغنت عليها منذ بضع وعشرين سنة فارجو ان تصغوا الي حتى آتي على آخرها ومتى فرغت منها التمس منكم كتمانها عن اهل الارض كافة فهل نعاهدوني على ذلك

قال الراهب نعم يا ولدي ان سرك لن يتجاوز جدران هذه الصومعة  
قال التمس من قدسكم ان تتلوا علينا الصلاة الربانية قبل الشروع في الكلام  
وليفس كل منا بكتان هذا السر عن البدر كافة  
فقال الراهب « ابانا الذي في السموات الح » واقسم كل منهم بالصلوب والمعمودية بكتان ما سينتلي عليهم

ولما تم القسم نظروا الى عبدالله فاذا هو يتأدب في فعوده كانه في مجلس رهيب وقد امتنع لونه فها هو منظر . وما زادهم هيبه ضالة الانوار واختلاؤهم في ذلك المكان فنظر عبدالله الى حماد ووجه الخطاب اليه قائلاً

تعلم يا ولدي ان العرب يرجعون في انسابهم الى اصلين كبيرين هما قحطان واسماعيل ومن نسل قحطان عمّرت اليمن وما جاورها ومن نسل اسماعيل عمّرت أنجاز وما جاورها ويسمى نسل اسماعيل الاسماعيلية او العدنانية نسبة الى جد من اجدادهم بعد اسماعيل اسمه عدنان ويسمى بنو قحطان القحطانية

وقد قامت من القحطانية دول . ملكت الحافيين منهم التابعة المشهورين وغيرهم من دول حمير وسبأ . ومن مملكة سبا خرجت ملكة سبا التي ذكرت التوراة انها زارت الملك سليمان وما زالت اليمن عامرة آهلة حتى حدث سيل العرم <sup>(١)</sup> فنفرق اهلها ايدي سبا . اتعرفون ما هو سيل العرم

قال حماد لا يا أبناه لا اعرفه .

قال عبد الله اعلم يا ولدي ان اليمن وسائر جزيرة العرب ارض ثقل فيها الانهر والينابيع واعتماد الناس في ري مزارعهم انما هو على مياه المطر فانها تجتمع في مجاري الودية وتسيل كالانهر فاذا انقضى الشتاء جف معظمها فملافة لذلك كانوا يعملون في عرض الودية سدوداً من حجر تعترض مسير الماء فيجتمع ويرتفع حتي يسقي اعالي الارض

وكان من تلك السدود في اليمن سد كبير يقال له العرم بناه ملوك اليمن قديماً بمجاعة ضخمة متمسكة بالفار وفيه خروق يصرفون منها الماء على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم وكانت له حنطة يقومون بشعبه وتوزع مياهه فتفادهم عنهم حتى تصدع وخيف سقوطه . وعرب اليمن اذ ذاك بنو كهلان بن سبا من القحطانية

وكانت دولتهم قد ضعفت واخذل نظامها واآلت الى السقوط فاهل امر السد وقّلت المحافظة عليه فظهر به الخطر اولاً فالولاً فخاف الناس تهدمه بغية للتلايسيل الماء عليهم فيغرقهم ويحرق منازلهم فاخذل ينزحون احباء وبطوناً وبقيت منهم بقية اصحبل ذات اليوم وقد انجبر السد وطافت المياه فاغرقت بعضهم ونجا البعض وتفرقوا في البلاد وسي ذلك السيل سيل العرم <sup>(٢)</sup> وكان ذلك منذ ستمئة سنة او اكثر وكان السامعون مصفين لاستماع حديث عبد الله وهم لا يرون فيه ما يوجب

الممارسة ففعلوا لذلك ولكنهم صبروا انفسهم ليرى ما يكون بعد فادرك عبد الله ضائهم فقال لم لا ترون في حديثي ما كنتم تتوقعونه من الانبياء المهمة فاني انما اقص عليكم اخباراً متناقضة على العنة الناس ولكنني اردت ان اسط لكم اصل نسب ملوك الحيرة المقيمين في العراق ثم انطرق من ذلك الى كشف السر فامهلوني ولا تملوا

## الفصل الحادي والستون

### \* ملوك الحيرة \*

فلت لكم ان بني كهلان تفرقوا قبل سبل العرم وبعدهم وكنوا احياء عديدة نذكر منها ثلاثة هي لحم والازد وطى اما لحم فهم اجدادنا الذين افلحوا في العراق ومنهم المناذرة ملوك الحيرة ( قال ذلك وتهدي ) واما الازد فبنوهم بنو غسان عرب هذه البلاد اما طى فافلحوا بنجد والحجاز في جيلي اجا وسلمى<sup>(١)</sup>

فمرحداً أن يكون بين اللخمين والغسانيين قرابة ولكنهم ما زال قلقاً للوصول الى آخر الحديث وكذلك سلمان اما الراهب فكان اقلها قلقاً واشتياقاً كأن الشيخوخة وكثرة الاخبار علهاء الاستخفاف بمجداث الزمان فضلاء عن ان ما قصه عبد الله عليهم الى ذلك الحين لم يكن بالشئ المجهول عنده

اما عبد الله فانه اتم الحديث قائلاً : علمتم ان ملوك الحيرة لخبيرون يتصل نسبهم بكهلان بن سبا من عرب اليمن القحطانية . فنزل بنو لحم العراق وافلحوا فيه مدة على حالهم من البداق . واول من حكم العراق من العرب قوم من حي يقال له دوس وهو بطن من الازد وهم اقرب نسباً الى الغسانيين منهم الينا . ولم تقص مدة حتى تغلب اجدادنا عليهم وملكوهم العراق تحت رعاية ملوك الفرس على مثال ما هم عليه الان واتخذوا مدينة الحيرة كرسياً لملكهم وسلموا المناذرة جمع ( المنذر ) وهو لقب ملوك العراق كما تعلمون ولا اطيل الكلام عليكم خوف الملل فاقول بالاختصار انه تعالى على كرسي الحيرة بضعة عشر ملكاً اشهرهم امرؤ القيس بن عمرو وما يؤثر من فضله ان اللخمين لما قدموا

من البين كانوا على عباده الاوثان فلما ملكوا وخالطوا الرهبان واهل النصرانية تنصروا  
 واول من تنصر من ملوكهم امر والنيس هذا <sup>(١)</sup> ثم ملك النعمان بن امرى القيس ويقال  
 له الاغور وهذا الذي بنى النصارى المشهورين (الخوارج والسدير) ومن غريب امره  
 انه لما عظم ملكه وامتلات عبياءه من خبرات الارض مال الى الزهد فترك الملك  
 وتنسك <sup>(٢)</sup> . وملك بعد المندر ثم الاسود وهذا حارب اصحابنا الغسانيين منذ مئة  
 وخمسين عاماً واسرعده من ملوكهم وكان ذلك سبب عداوة مستمرة فيما بيننا  
 وبينهم <sup>(٣)</sup> . وتوالى بعد الاسود ملوك كثيرون منهم المندر بن ماء السماء وكان معاصراً  
 لكسرى انوشروان ملك الفرس المشهور وله معه وقائع وحوادث بطول شرحها  
 فلنتركها وننتقل الى آخر ملوك الحيرة النعمان بن المندر .  
 فلما ذكر اسمه ابتدره الراهب قائلاً اظنك تعني ابا قابوس  
 قال نعم انه كان يلقب ابا قابوس

قال الراهب هذا الذي قتله كسرى رويرو بسيف قتله صارت واقعة ذي قار <sup>(٤)</sup>  
 وقد كنت شاكاً وشهدت هذه الحوادث وكنت اعرف الملك النعمان هذا رحمه الله ولي  
 معه حديث طويل

## الفصل الثاني والستون

### مقتل النعمان بن المندر \*

فتنهذ عبد الله وهو بعندل في مجلسه واصلح الرداء على كتفيه وقال قد وصلنا الى  
 المراد من حديثي فارعوني السمع لاقص عليكم غرائب ما اعلمه عن هذا الملك . قال  
 ذلك وشرق بدموعه خلسة ولولا ضعف النور لظهر الدمع متلألئاً في عينيه ولكنه  
 تجلد واعاد الحديث فقال

ان الملك النعمان هذا لا احتاج في وصفه الى تطويل ولكم يعرفه الاحداثاً  
 ويكني في وصفه انه شه شجاع صادق وقد اعاد النصرانية الى الملك <sup>(٥)</sup> بعد ان فسدت

( ١ ) ابن خلدون ( ٢ ) ابو الفداء ( ٣ ) ابن خلدون ( ٤ ) الطبري ( ٥ ) ابو الفداء

وأدبها أسلافه بالوثنية<sup>(١)</sup>. ولا تنفع لكم دخیلة حدیثي إلا إذا ذكرت لكم كيفية تولي النعمان الملك . فقد كان أبوه المندر ملكاً قبيلة وكان في بلاط كسرى على عهد رجل عدناني اسمه عدي بن زيد كان يحسن العربية والفارسية وكانت له منزلة كبرى وتنفوذ لدى كسرى وكان مقام كسرى في المرائن والمندر في الحيرة كما تعلمون . وكان المندر ١٢ ولداً أحدهم النعمان الذي نحن في صددده وكان قد ربي في حجر عدي بن زيد ورضع في اهله<sup>(٢)</sup> وكان من أبناء المندر أيضاً فتى اسمه الأسود رباؤه قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتمون الى اللحم

فلما مات المندر خاطب كسرى عدنيّاً في من يلي الحيرة بعد وقال له « اني اري ان اخرج الملك من أيدي هؤلاء واجعله في يدي واحد من خاصتي فهل بين أولاد المندر من يصلح للملك » قال عديّ انهم بضعة عشر رجلاً كلهم أشداء فإذا امر مولاي جئته بهم قال اليّ بهم . فبعث يستقدمهم وفيهم نهمان يسهل سبيل الملك الى النعمان سرّاً لانه ربي عنده فخلأ به قبل اجتماعهم وأسرّ اليه أشياء يقولها في حضرة كسرى ففعل وتولى الملك فثقت ذلك على ابن مرينا لانه كان يرجو ان يكون الملك للأسود التماساً للنفوذ على يد . فاخذ يحرض الأسود على الانتقام من عدي بدعوى انه عدناني ( اي من نسل عدنان وبين القحطانية والعدنانية منازعة ) فوافقه وسلم التصرف في ذلك اليه فجعل ابن مرينا يتقرب من النعمان بالهدايا والخف ويثني بعديّ فيذكره بالخير وينوطاً وبعض الحضور على الطعن فيه فيروون عن لسانه انه يقول بان النعمان تحت امره وانه هو الذي ولّاه الملك وما زالوا كذلك حتي اضعفوه عليه . فبعث النعمان الى عدي بدعوه الى زيارته فجاء وفي حال وصوله امر بسجنه في مكان خارج الحيرة لا يدخل عليه فيه احد فعلم عديّ انها وشاية فجعل يكتب الى النعمان يستعطفه نظراً ونوراً فلم يجده ذلك نفعاً فكتب الى اخ له اسمه أيّي يحرضه على انتاذه فقام أيّي الى كسرى وأنبأه بخبره فكتب الى النعمان في اطلاقه فجاء اعداء عديّ واكثرهم من بني بقبلة واصحابهم من عرب غسان<sup>(٣)</sup> أهل هذه الديار وحرصوا النعمان رحمه الله على الفتنك بعديّ قبل وصول كتاب كسرى اليه وحسنوا له ذلك بحيلة يطول شرحها وكان الرسول قد مرّ قبل وصوله الى الحيرة بسجن عديّ واخبره بكتاب كسرى ثم

خرج من عنده الى النعمان وفي اثناء ذلك ارسل النعمان الى عديّ اناساً قتلوه فلما فضّ كتاب كسرى كتب البو ان عدياً مات . ولكن النعمان ما لبث ان عرف انه اساء عدياً فقدم وما صدق ان لقي ولدًا من اولاده اسمه زيد بن عديّ حتى همّ باكرامه وورفع شأنه تكفيراً عما فرط منه بشأن والده واوصى بكسرى فجعله في منزله والدك عديّ<sup>(١)</sup> فلم يغفل اهل الوشاية عن اطلاع زيد على كيفية قتل ابيه فحفظوها على النعمان وسعى ضده لدى كسرى بمجيلة غريبة . وذلك ان الاكاسرة كانوا يبعثون الى ايلانهم يطلبون نساء لهم على اوصاف مخصوصة ولكنهم لم يكونوا يلتصقون ذلك من احباء العرب لعلمهم بخلافهم بكرائهم . فقال زيد لكسرى منع ان في الحيرة نساء جمع من كل اوصاف الرجال فاذا بعثت الى النعمان ارسل اليك منهم . وكان زيد يعلم ان العجاف لن يرضى بذلك فوقع الذناب بينه وبين كسرى فانهذ كسرى رسولا ومعه زيد الى النعمان فاخبره بطلب كسرى فعظم ذلك عليه فالتفت الى زيد وقال له « اما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ كسرى به حاجته ان الذي طلب كسرى ليس غندي » قال الرسول لزيد بالفارسية ما معنى المها والعين » قال « البئر »

فلما رجعا الى كسرى اخبراه بما قال النعمان واقنعاه انه انما اراد الحط من منزلة كسرى بقوله « اليس في بئر النرس ما يكفي » فغضب كسرى غضباً شديداً ولكنه كتم ذلك والنعمان قد شعر بغضه فاخذ يستعد ويتوقع حتى اناه كتاب كسرى يستقدمه اليه فعلم انه انما يدعوه لقتله فحمل سلاحة واهله والنفس الفرار . وكنت انا ممن لازم النعمان زماناً وكان يستأنس بي ويرتاح الى رفعتي فقال لي كيف انت يا عبدالله قلت اني يامولاي لاحفك بك اينما توجهت فقال ان في ذلك خطراً عليك قلت ما انا باحرص على نفسي مني على نفس مولاي النعمان فقال بورك فيك . فصحبته من ذلك اليوم وسرنا حتى اتينا قبيلة طي في اعالي نجد وكان النعمان قد تزوج منهم فطلب ان يجمعوه بين المجلبين ( اجاوسلي ) فقالوا « لا يمكن ذلك ولولا صهرك لقتلناك فانه لا حاجة بنا الى معاداة كسرى »

فتركناهم وسرنا الى قبائل اخرى فلم يقبلنا احد منهم خوفاً من كسرى حتى لقينا رجلاً من قبيلة بكر بن وائل اسمه هاني بن مسعود<sup>(٢)</sup> وكان سيداً منيعاً وكان للنعمان

فضل عليه فقال له « اني مانعك ما امنع نفسي وإهلي ولدي منه ما بقي من عشيرتي  
الآن ديني رجل ولكنني لا ارى ذلك نافعاً لك لانه مهلكي ومهلكك فاذا اذنت لي فاني  
مدير عليك بالذهب الى كسرى مستعظماً واحمل اليه الهدايا فاذا صنع عنك عدت  
ملكاً والآن الموت خير لك من ان يتلاعب بك صعايلك العرب » فاستحسن مولاي  
النعان الرأي ولكنه قال ما افعل بجري قال هاني « من في ذمتي لا يخلص اليه » حتى  
يخلص الى بناتي « فقبل النعان بذلك وأنا خائف من عاقبة الامر وقد حدثني  
ننسي في صده عن الذهب فلم اجسر لاني شاهدت وجهه وكانت ابرش احمر كما  
تعلون<sup>(١)</sup> قد امتنع حتى صار كمن اصابه البرقان ونهض وقد همة الامر كثيراً  
وجعل يحظر ذهباً وإياباً وقصر قامته ظاهر وهو يفتل شاربوه الاشرين كانه خائف  
من الذهب وكان ضميره دليلاً

ثم فكر قليلاً وقال له اني اري يا اخا بكر ان ارسل الى كسرى هدايا فان قبلها سررت  
اليه فقال هاني نعم الرأي رأيت نارسلها اليه قبلها كسرى خداعاً منه فجاءه الله . فهم  
مولاي النعان بالمسير فقلت اني سائر معك والله لا ارحك لحظة فقال اري ان تنق  
عد نسائي خير من ان تذهب معي قلت اني فاعل ما تريد ولكنني اري النساء آمنا  
في حامي هاني . بن مسعود فأذن بذهابي معك فأذن وكان ننسي حدثني بحظر  
قريب فسرنا حتى اتينا المدائن فلقينا زيد بن عدي فتشاورت برؤيتي ونفقت سوء  
قصه وكنت معي في ذلك لانه لم يكذب بلقانا حتى قال النعان « انج نعيم ان استطعت  
النجاه » فقال النعان « فعلتها يا زيد فولله ان عشت لا تقتلك قتلة لم يقتلها عري قط  
ولا تحملك باييك » فضحك زيد لعنه الله وتوعد فعلنا انها حيلة اعداه له ونحقق  
النعان ان الساعة قد دنت وان القضاء واقع لا فر منه . فلما وصل الى كسرى أمر  
فبيده وبعثوا به الى سجن في خاتنين<sup>(٢)</sup> وكنت اتردد اليه في السجن خلسة وأنا ارجو  
الافراج عنه أما هو فلم يكن يرجو نجاه



## الفصل الثالث والستون

## ﴿ السر ﴾

وسرتُ اليو ذات يوم صباحاً فرأيتُ قد تغير حاله وامتنع لونه كأنه خائف من امر قريب ولا انسى منظره الرهيب في ذلك اليوم فوقفت انتظر امره فقال لي يا عبد الله قلت ليك يا مولاي

قال ارى ان اسر اليك امراً فهل تعاهدني على حفظه  
قلت كيف لا

فمد يده واعطاني هذا الرداء المزركش ( قال عبد الله ذلك ومرع الرداء عن كتفيه ووضعه امامه ) فاخذته منه ثم استخرج من يده خاتماً عليه اسمه واقبه وهو هذا ( ومد عبد الله يده واستخرج الخاتم من جيبه ووضعه على الرداء ) وكان الحضور شاخصين يحسون انفسهم اصغاء لما يقول عبد الله وتوقعاً للخطر القريب . وكان عبد الله قد تغيرت سمته واختنق صوته وتخلله ارتعاش زاد الحضور تهيّباً

ثم قال فلما تناولت الخاتم قال لي النعمان اعلم يا عبد الله اني في هذا السجن حتى ينتضي اجلي فيخرج ملك الحبنة من ايدي اللخبين لان عدياً هذا سيدخل جهنم في اذلالهم خوفاً من ينتقم لي ولا اعرف من اولادي من يصلح لرفع هذا العار عنا ولكن بين اهلي عند هاني بن مسعود زوجتي سمية وهي حامل وسنلد قريباً فاذهب اليها بهذا الخاتم وهذا الرداء . وقل لها ان هي وضعت غلاماً ان تعهد اليك بتربيته فتربيته تربية رجال القتال حتي يشب شهياً حراً واحذر ان تنص شعرة او تخبر عن نسو قبل الحادية والعشرين من عمره فاذا بلغها قص شعرة في دبر مجبراً واخبر عن نسو والبسة هذا الرداء وهذا الخاتم . . . »

ولم يكذب عبد الله كلامه حتى استولت البغمة على الحضور وخصوصاً حماد اذ خيل له انه في حلم وساعده على ذلك الوهم ضعف الدور وهوا المكان وكان لا يزددون انفسهم الا وهم مجذرون ان يمتنع حديث عبد الله فلما وصل الى هذا الحد تمتموا ان حماداً هو ابن الملك النعمان فيعملوا ينظرون اليه نظره الاحترام . اما عبد الله فلما بلغ الي قوله « والبسة هذا الرداء وهذا الخاتم » وقف على قدميه وجعل الرداء على



كفي حماد والحاتم في اصبعه وامسكه بيده وانفضه واجلسه على المقعد الحجري وهم بنقيل بن فنجبل حماد وجذب بيده منه فقال له عبد الله لا تنجبل يا مولاي انك الآن سيدي ابن الملك النعمان وقد انقضى زمن والدية عبد الله . فجلس حماد على المقعد وجلس عبد الله بين يديه وهم سلمان بيد حماد فقبلها وتأدب في مجلسه وهو يقول « والله كنت ارى هيبة الملوكة على وجهه من يوم عرفته »

١٠ الرامب فانه على عجزه وقف ورفع يده فوق رأس حماد وباركه ودعا له بطول البقاء وقبل رأسه . كل ذلك وحماد يحسب نفسه في حلم ولكنه فرح كثيراً بما علمه من نسيه وودّ لو ان هنداً حاضرة فتسمع ذلك فتفرح معه وتخجل له ان سعد قد تمّ لانه ملك وسيقترب من ملكه ويرث ملك غمّان . وفيما هو يفكر في ذلك نهض عبد الله فقال لم يتم حديثي بعد فهل تسعونه الى آخره

قال نعم

فمدّ يده الى جيبه واستخرج اسطوانة من النضه ثخن الاصبع وخاطب حماداً قائلاً وقد اعطاني مولاي النعمان هذه الاسطوانة واستغلني ان اسلمها اليك مخنومة بعد اتمام الخبر فتفتحها في هذا الدبر وتقرأ ما فيها وتعمل به

فمدّ حماد يده فتناول الاسطوانة وهم يفتحها فامسكه عبد الله وقال لا تفعل قبل اتمام الحديث

قال تنضل

فقال عبد الله : فلما أتمّ النعمان وصيته بكى وبكى ولكنني كنت أحبس الدمع تشجيعاً له . فقال « اعلم يا عبد الله ان القضاء واقع قريباً فاحفظ بهذا السر حتى يأت وقتك اما اذا انا خرجت من هذا السجن وعشت فلما ساله وجه آخر » . والاسف يا سيدي انه لم يخرج من ذلك السجن فوفاء القدر فتوفي بداء الطاعون <sup>(١)</sup> قال

ذلك وتهد والدموع ملء عينيه فتهجد الجميع ثم قال

اما انا فسررت الى هاتئ ولقيت والدتك سبية وكانت حاملاً فاسررت اليها ما كان فاطاعت فانتظرت ريثما وضعت واكنها وأسفاه عليها لم تعش بعد الولادة الا قليلاً فجهلتك الى اهلي وارضعتك منهم حتى شببت على ما ترى

## الفصل الرابع والستون

### ❖ وقعة ذي فار ❖

ولعلك نسألتني عما تم من امر ودیعة والدك فاخبرك يا مولاي ان كسرى علم بعد وفاة سيدي النعمان ان اهله وماله وسلاحه عند هاني وفيه اربعة آلاف شكة والشكة سلاح الفارس كله <sup>(١)</sup> فكتب كسرى الى هاني بان يبعث الودیعة اليه فابي ذلك محافظة على العهد ورعاية للذمام وكان لكسرى عامل على عين التمر وما والاها الى الحيرة اسمع اياس بن قبيصة الطائي فدعا به اليه فجمعه برجاله فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل فاشار عليهم بان يفعل فعقد كسرى لاياس بن قبيصة على كتيبي والدك وهما الشهباء والدوسر <sup>(٢)</sup> وارسل معه جندا آخر بقيادة رجال من الفرس فكانت حملة تزعزع الجبال وفيها من الخيل والجمال والمؤنة والعدة ما لا يحصى فلما سمع هاني بن مسعود بها سار رجاله للملاقاة فالتفتوا في محل يقال ذوقار وكانت فيه وقعة عرفت بوقعة ذي فار بين الفرس والعرب اشتهر امرها في الاقطار وكانت الغلبة فيها لهاني ورجالو فانهم هزموا الفرس شر هزيمة وهي اعظم وقعة انتصف فيها العرب من العجم قبل الاسلام <sup>(٣)</sup> وفر اياس الى كسرى فسأله عن الخبر فقال غلبت بكر بن وائل وجننا اليك بنسائهم ففرح كسرى به وامر له بكسوة ولكن اياساً خاف افئضاح امره قريباً فاستأذن بالذهاب الى اهله فاذن له فانصرف الى عين التمر ثم جاء رجل من اهل الحيرة الى كسرى وحديثه بهزيمة القوم فغضب منه كسرى فامر فنزعت كنفاه ولم يصدق الا اياساً فولى اياساً الحيرة <sup>(٤)</sup> كما تعلمون وقد ولي معه رجل فارسي آخر ثم ولها احد اخوتك المنذر الغرور وهي الآن في ولاية اياس بن قبيصة <sup>(٥)</sup> ولا تزال الودیعة عند هاني بعضها او كلها

وكان حماد قد ملّ الانتظار تشوقاً الى ما في تلك الاسطوانة فلما فرغ عبد الله

(١) ابن خلدون (٢) الاغانى (٣) الاغانى (٤) الاغانى جزء ثاني : ويقول

الطبري ان كسرى ولي اياساً الحيرة عد وفاة النعمان (٥) ابن خلدون

من حديثه نهض وقد اعياه التعب لشدة تأني وذكري ، مائتو وقال لحماذ الى  
يا مولاي بالاسطوانة فدفعها اليه فالتبس من الراهب ان يباركها قبل الفتح فباركها فوقنوا  
جميعاً وتناول عبدالله الاسطوانة وعالجها بديعة حتى انتهت فدنا من مصباح منير بجانب  
ايقونة ونظر الى ما في الاسطوانة وكلهم يتناولون من جيبه وورائه ينظرون معه  
فاذا فيها لثافة من جلد فاستخرجها ونشرها بين يديه فرأى عليها كتابة بالاحرف  
الاسطرخيلية وهي كتابة اهل العراق الى ذلك الحين فتخصص ابصارهم الى ما فيها فاخذ  
عبد الله يتلوها عليهم وهم يسمعون وهاك نصها :

« من النعمان نزيل دار البقاء الى ابنه المذنب المقيم بين الاحياء . اما بعد فهذا  
كتاب كتبه واما في عالم الوجود وانت في دار الخناء وستقرأه بعد رجوعي الى عالم  
الغيب وبروزك في عالم الاحياء . فاذا قرأته وقد وفيت نذك وعرفت حقيقة نسبك  
فاعلم ان عظامي تتادبك . من ظلمة القبر وتستخلصك بشرف اجدادك المازدة من اكل لح  
ان لا تنرب امرأة ولا تشرب خمرًا حتى تنفم لا يبك من اكاسرة النرس فاذا فعلت ذلك  
فالمك مبارك انت ونسلك . وان لم تعمل فان رفاتي ترعش حقًا ونفسي تنالم وهي  
تنظر اليك من منافذ الآخرة تراقب حركاتك وسجيتهني واياك موقف تخاسب فيه  
والسلام »

فلم يكده حماد يأتي على خاتمة الكتاب حتى ارتعدت فرائضه واي ارتعاد وقد رأى  
مساعيه كلها ذاهبة ادراج الرياح على ان الحمية من الجهة . الثانية نارت فيه والخوة  
هاجت في رأسه وشعر بدافع يدفعه الى الاخذ بنار والد من اكاسرة النرس وقد  
استعظم المشروع وهاله الاقدام عليه فوقف مبهوتين لا ينس بينت شنة  
فنظر عبدالله اليه ينتظر ما يبدو منه فلما راها صامتًا قال له هذا هو السرياسيدي  
قد اطلعتك عليه فالتفت عن عاتني حملاً حمله نيباً وعشرين عاماً واما اخاف ان اقضي  
نحي قبل افسائتي فانظر في ماذا تعمل

فقال حماد لقد التفت عنك حملاً اثقاني به وارجو ان اتوفى للقيام بها عهد  
اليّ والله مفجدي ونصيري . قال ذلك وتحنز للخروج من الصومعة فافوقه عبدالله  
والنرس من الراهب ان يجتم حديثهم بالصلاة فصلى وتضرع الى الله ان يساعدكم  
على كتمان الامر ثم خرجوا وكان على رؤوسهم الطير لول ما سمعوه ورأوه . واكثرهم

بغثة واندهالاً حماد لانه أصبح لا يدري ماذا يعمل أيسر الى هند يطالعها على سره وليس في ذلك السرراً ما يوجب كدرها لانه حائل بينها وبين الافتتان الى اجل غير معين وان يكن في اطلاعها على حقيقة نسب حماد امر يسرها . ام يخاطب جبلة بالامر لعله يشير عليه او يبعده . ام يام العراق فينزل المدائن ساعياً في الاستقام من كمرى . فلما فكر في مسيره الى هناك تهيب لعلمه بما يحول بينه وبين ذلك المرمى من العقبات فان الاكاسرة ذوو بطش ومنعة . فسار الى الدبر وقضى ليله ساهراً لعظم تأثره وهو يفكر في طريقة تهون عليه المشاكل

## الفصل الخامس والستون

### \* دولة الفرس \*

ما برحت الفرس من قديم الرمان تحت سلطة مملكة اشور حتى تولى هذه المملكة الملك سردنقول في القرن الثامن قبل الميلاد وساء حكمونها وانشغل عن سياسة مملكتهم بمجالسة النساء واللبو على انواعه فابغضته الرعية وودت لتخلص منه فانفق كبيران من قواده على اخراج الملك من بين يده وها ارباسيس قائد عسكر مادي وييليزيس قائد جند بابل فاتحدا على العصيان وحاربوا ملكهم فحصره في نينوى فلما أيقن بالهلاك احرق قصصهما فيه من المال والناس وهو في جملتهم سنة ٧٦٠ ق م وهكذا انقضت مملكة اشور الاولى وقامت مملكة مادي وفارس وملكها ارباسيس وتولى الملوك من بعده وفهم العادلون والمدبرون او الجهلاء والظالمون ومن اشهرهم كورش العظيم صاحب الغزوات المشهورة فافتتح بابل وما بين النهرين وارمينيا وسوريا واسيا الصغرى وجانباً من بلاد العرب وتولى بعده ابنه كبير فتفتح مصر على زمن الملك اماسيس من فراعنة مصر ثم تولى داريوس ومن جاء بعده ولم يحسنوا السياسة فتفقرت المملكة واختلت احوالها . فلما ظهر اسكندر الاكبر في القرن الرابع قبل الميلاد طمع ببلاد فارس ففتحها وقهرها واستولى عليها ولكن عمر اسكندر لم يطل فمات واقتسم قواده مملكته فكانت بلاد فارس من نصيب سلوقس ولم يطل حكمه فغزا

الفرثيون بقيادة ارسايس الاول وما زالت في حوزتهم خمسمائة سنة فانف الفرس من رضوخهم للثير الاجنبي فناروا سنة ٢٢٦ م بقيادة رجل منهم اسمه اردشير فطرد الفرثيين وأسس دولة اشتهرت في التاريخ الفارسي هي الدولة الساسانية ومنهم كسرى انوشروان الملقب بالملك العادل وهو اعظمهم وصار لفظ كسرى لقباً لكل من ملك بعد منهم فعرفت دولتهم بالملوك الاكاسرة وكان مقام الاكاسرة في المدائن وهي مدينة عظيمة على ضفاف الفرات فيها قصر عظيم طار ذكره في الآفاق سمي الابوان ويعرف بابوان كسرى

وحكم ( انوشروان ) ٤٨ سنة وخلفه ابنه هرمز وكانت امه ابنة ملك النتر واستأذه الحكيم بزرجمهر وكان وزيره فسارت الاحكام في ايام هذا الحكيم على مثال ما كانت في زمن انوشروان فلما توفي بزرجمهر انغمس هرمز في الشهوات واهمل شؤون المملكة فعصاه الولاة وغزاه ملك النتر فنصن فائدهم قواده اسمه بهرام كان آية في الدهاء والذكاء فطرد النتر من البلاد ثم تحول الى محاربة الرومانيين فوشى به بعض المقرئين من البلاط الملوكي فظهر له هرمز بعض الاحقاد فاستشاط بهرام غيظاً وجاهر بعضيان الملك وخلعه وولى بعد ابنه كسرى برويز وكان صبيّاً صغيراً تساعد على قتل ابيه ببعض اقربائه فلما خلص الحكم له طمع بهرام بالملك ففرّ برويز من وجهه واستجار بملك الرومانيين في ذلك العهد واسمه الامبراطور موريس فانجده ورد الملك اليه ففرّ بهرام الى بلاد النتر فاحسنوا وفادته ولكن الخيانة لحقته الى هناك فمات مسموماً

واستبد كسرى برويز بالحكم وقد عقد النية على صداقة الامبراطور موريس لانه هو الذي رد الملك اليه فبالغ في اكرام الرومانيين في بلاده فلما مات صديقه المذكور عاد الى مناواة الروم فانثار عليهم حرباً عواناً فغزا بلاد الشام ودخل بيت المقدس فعثر هناك على الصليب الذي يقال ان السيد المسيح صلب عليه وكان في حفرة بصندوق من الذهب فحملة الى المدائن وكان برويز مع ذلك ملكاً خاملاً مترقاً منغمساً بالملاهي الى ما يفوق طور التصديق حتى قيل انه تزوج ١٢ الف امرأة واقتنى خمسين الف جواد وهو الذي جاءه كتاب صاحب الشريعة الاسلامية الغراء بدعوه فيه الى الاسلام

كالكتاب الذي جاء الامبراطور هرقل في بيت المقدس فاحتقر بروبز ذلك الكتاب واساء حامله

ثم مالت بروبز ان علم بعزم الامبراطور هرقل على اكتساح بلاده ولم يقو على دفعه .  
فما زال هرقل هاجماً واهل انقري يفرون من امامه حتى وصل المدائن وبروبز لاه  
بقصر ونسائه فلما احس بقرب الخطر فر فتم عليه ابنة شبرويه فتقتله وحكم مكانه  
سنة ٦٢٩ م ولكنه لم يحكم طويلاً فخلعه سواء وسواه وفي سنة ٦٣٠ م تولى تحت مملكة  
الفرس فتاة من آل ساسان اسمها بوران دخت ابنة كسري بروبز وفي ايامها هم  
هرقل على المدائن واسترجع الصليب منها وحملة الى القسطنطينية وحكت بعدها اختها  
آزرميدخت سنة ٦٣٢ م (٥١٠)، واشتهرت بالجمال والتعلل وماتت مسمومة  
ولما قصة بطول شرحها وملك بعدها ملكان لم يطل حكمها واخيراً افضى الملك  
الى بزدجرد بن شهريار بن كسري وفي ايامه فتح العرب بلاد فارس

## الفصل السادس والستون

### المدائن

في عاصمة اكاسرة الفرس ويسمى اليونان كتيهينون ويسمىها الطبري  
طيسيون والغالب ان كتيهينون قسم من المدائن وكانت على مسافة عشرين ميلاً من  
بغداد جنوباً على الضفة الشرقية لدجلة يقابلها في الغرب بلدة اها كوش<sup>(١)</sup> يعتبرها  
بعضهم من ضواحي كتيهينون بينها جسر عظيم مبني من اسفن وكان يجوار ذلك  
المكان ابضاً اثار مدينة يونانية اسمها سلوقية نعمة الى سلوقوس خليفة الاسكندر هناك  
وقد سميت هذه الاماكن بجملة المدائن<sup>(٢)</sup> (جمع مدينة) . واصل بناء المدائن  
انه كان في مكانها حصن كبير يسمى حصن كتيهينون كان البرطيون (الفرثيون) ابان  
سلطانهم على العراق يقيمون فيوائنا الشتاء لصفاء الجو وهناك وكان يجوار الحصن

(١) جينس (٢) المعجم

مدينة سلوقية الشهيرة ثم اخذوا يبنون حول الحصن المنازل والمخدات فلم يأت تاريخ الميلاد المسيحي حتى بنيت هناك مدينة سميت باسم الحصن <sup>(١)</sup> كما جرت العادة في مثل هذه الحال وظلت المدائن مقام الأكاسرة في زمن الفناء . وكانت محاطة بسور منيع عليه الابراج والفلاع يزيد مناعته مياه دجلة من جهة والآجام والمستنقعات من الجهات الاخرى فاصبحت المدائن جزيرة في وسط المياه يستحيل وصول الاعداء اليها قبل ان تغرقهم نبال الفرس من الاسوار وقد كان بين دجلة والفرات جنوبي المدائن قناة موصلة بينهما اسمها نهر ملكا ومعناها بالكلدانية نهر الملك تسهل نقل السفن بين النهرين <sup>(٢)</sup>

وكان على ساحل المدائن عند دجلة سلم ممتد بطول الضفة يصعد عليه الناس من النهر الى المدينة بدرجات متباعدة مبنية من الحجر ويسمى هذا السلم باصطلاح اهل تلك البلاد « منساة »

وترسو عند المنساة سفن الفرس ثبات والوقفا حتى تحال سواربها غابة من الاعمدة تناطح السحاب والناس فيها جماعات يتزاحمون بين صاعد ونازل وشكل السفن يذهب شكلها في العراق الآن فانها مبنورة المؤخر كأنها قطعت بسكين قطعاً عامودياً فصارَت عريضة ملساء واما مقدمها فانه يصعد مستدقار ويداً ويداً حتى اذا انتهى الى اعلاه انحني على نفسه نحو السفينة على شكل الخيل فتخال تلك السفن اذا تحاذت متلاصقة عند المنساة وقد ادبرت مفادبها نحو المدينة انها سيوف عفاة يحملها جند من الحرس يحمون المدائن

ولو اطللت على المدائن من مرتفع في ذلك العهد لخل لك انها غوطة فيها البساتين والنفارس بينها القصور والنازل مبنية من الآجر وقد قام في وسطها الابيان كأنه ملك شغيم الشأن تحف به الخدم والاعوان



## الفصل السابع والستون

### \* ايوان كسرى \*

هو قصر باذخ يسمونه ايضاً الطاق جرى اسمه على السنة العرب بأقلامهم مجرى الامثال بالعظمة والغمامة حتى عدوه من المباني العجيبة بناء سابور ذو الاكتاف وهو سابور بن هرمز<sup>(١)</sup> في القرن الرابع للبلاد<sup>(٢)</sup> لكنه يعرف باسم ايوان كسرى انوشروان . قضى سابور في بنائه نيماً وعشرين سنة<sup>(٣)</sup> اقامته في وسط المدائن على مقربة من دجلة بحيث لا يحول بين الايوان والنهر الا الحدائق والسماتين تنحني عند الضفة بالمسناة المنقدهم ذكرها ويحيط بالايوان جملة حديقة واسعة فيها الاغراس والازهار والرياحين والشجر من الازدرخت والليمون وغيرها . ويحيط بالحديقة سور مبني من الآجر له ابواب عليها الحرس بقلانسهم واتراسهم ورماحهم وفوق الابواب رسوم فارسية منقوشة طبعاً على الطين وهو في كمال كان يفعل الاشوريون في آثارهم<sup>(٤)</sup> . وعلى جانبي الباب الاكبر المطل على المدينة تماثلان كبيران يمثلان الثور الاشوري المجنح برأس انسان طويل اللحية متوج الرأس<sup>(٥)</sup> وفي زاوية من زوايا الحديقة بناء الافيال وفيه بعض الفيلة المربعة اركوب الاكاسرة . وبين ابواب الحديقة والايوان طرقات مرصنة بالحصى الواطاً على شكل الفسيفساء يتألف من ترتيبها بعضها بازاء بعض رسوم تمثل اموداً وادميين وفرماناً ومركبات عليها الملوك والقواد يمشون في صيد الاسود تقيب رسوم ملوك اشور اسلاف الفرس ما بين النهرين واكثر تلك الطرقات واوسعها طريق ممتد من الباب الكبير الى باب الايوان يصطف الى جانبيه الحرس عند دخول كسرى الى الايوان

واما بناء الايوان فعباره عن قاعة كبيرة طولها مئة ذراع وعرضها خمسون<sup>(٦)</sup> مبنية بالآجر والجص سقفها عقد واحد قائمة على عمد من الرخام المنقوش ويصعد الى ارض الايوان بدرجات عند بابو . وفي صدره عرش مرصع بالذهب والحجارة الكريمة

( ١ ) الاشبي بالمستطرف ( ٢ ) ابو الفداء ( ٣ ) الاشبي ( ٤ ) رولسن

( ٥ ) انيسكلويدا الكسندر ( ٦ ) الاشبي



يأس عليه كسرى تعلوه قبة مرصعة وفي داخلها مروحة من ريش النعام وإلى جانبي العرش  
مجالس اعيانو ومراتبهم وجدران الابوان وسقفة مزينة برسوم بديعة في جملتها صورة  
كزى انوشروان وغيره من الأكاسرة العظام وآيات من شعر مكتوب بالحرف  
الكراني الذي كان يكتب به الفرس قبل الاسلام وفي سقف الطاق رسوم الافلاك  
والايراج والنجوم من ذهب منزلة في قبة زرقاء

وكان للابوان شرفات مزخرفة بالنقوش تشرف على الجهات الاربع قائمة على  
اعمدة يتألف من صفوها رواق يحيط بالطاق من جهات الاربع طول الشرفة الواحدة  
خمس عشرة ذراعاً وقد ادخل في بناء الابوان من الذهب ما ربما زادت قيمته  
على مليون دينار<sup>(١)</sup>

وباب الطاق كبير نقش على عتبة العليا رسم الشمس مذهبة وإلى كل من  
جانبي ابواب تمثال اسد كانه يمشي وعينه تملآن والاسدان مصنوعان من الرخام  
معملان بالذهب وفي موضع العينين منها زمردات زرقاء بديعة الشكل وأما عتبة  
السفلى فمنوعة من الرخام المرمر ولا يخلو باب الابوان من عشرات من الحرس ولا  
يخلو من الأكاسرة من مئات من العلماء<sup>(٢)</sup> بين كاهن وساحر ونجم ويسمى  
الطبري الحزاة فضلاً عن الحجاب والحراس والبطان

هذه كانت حال الابوان عند ظهور الاسلام في القرن السابع للميلاد

## الفصل الثامن والستون

❖ أنس أم جان ❖

فلندع كسرى وابوانه ولنعُد إلى حماد وهما جسا فقد تركناه في دبر بحيرة غارقاً  
في لبحج الأفكار تتأذى العمايل بين المسير إلى العراق أو البقاء في البقاء وكلا  
الامر بن شاق وكلا تصور مسير إلى مدائن كسرى هالة موفقة موقف الخصم امام ملك  
الدرس وعظم عليه الانتقام منه وهو فرد وذاك سلطان ينصر الجند والاعوان ولم يكن

ذلك ليهولة أو يكبر عليه لولا امر هند وتأجيل الاقتران ولقد كان مبالاً كل الميل لاطلاع هند على ما كشف له من نسو مع ما جد من امر التأجيل لهرى ما يبدو منها ومن والدها ولكنه تربص ريثما يتخذ الى ذلك سبيلاً لا نقاً . فلما تلبدت عليه المشاغل وضاق صدره خرج من غرفته ولم يعلم عبد الله ولا سلمان بخروجه وسار يلتمس منفرداً يخلو فيه بنفسه لعله يتوفى الى رأي يخفف قلته . وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل فلاحته لهُ اكمه على بضعة اميال منه فركب وسار نحوها وفيما هو في الطريق غاب وجدانه بما اجذب انتباهه من المشاغل فصار الجهاد حثيثاً وحماد لا يعلم فلم ينتبه الا وهو في سفح جبل فالتفت الى الوراها فاذا ببصرى والدبر قد غابا عن بصره ونظر الى الشمس فراها ماثلة نحو المغيب فوقف يفكر في ماذا يفعل أيعود الى بصرى حالاً ام يجاس هناك هنيهة فنظر الى ما حوله فاذا هو في واد بين جبلين اجردين كسائر جبال حوران<sup>(١)</sup> فترجل وقاد جواده صعداً يلتمس قمة احد الجبلين لعله يشرف منها على بصرى فيعرف جهتها منه ومنى عاد اليها آمن الضباغ وفيما هو صاعد حانت منه التفاتة الى الجبل المقابل فرأى كهفاً مختمة يد الطبيعة في سفح ذلك الجبل ولاح له شبح يتلصص بين الصخور هينهة بين الآدمية والوحشية لطول شعره وعريه فوقف حماد ينظر الى ما يبدو منه فما لبث ان رآه يهرول نحو الكهف حتى دخله وتلاري

فقال حماد الى استطلاع حقيقة ذلك الشبح وتحول نحو الكهف بقود الفرس وهو لا يسمع في ذلك المكان صوتاً غير صوت وقع اقدامه وقرقعة حوافر جواده تدوي في انحاء ذلك الوادي ويخلل الدوي طفطة حجارة تندرج من مواقع حوافر الفرس متزجة بصوت صهيله . فنزل الوادي ثم هم بالعود حتى اذا صار على مقربة من الكهف رأى صخرة تندرج نازلاً نحو فتحول من طريقه وعلم انه انما دحرج من الكهف عليه فلم يبال ولكنه ازداد مهلاً الى معرفة ذلك الشبح فما زال صاعداً حتى دنا من الكهف فاذا بصخر آخر تندرج فنادى باعلى صوته « لا ترمننا الحجارة فلسنا براجعين من هذا المكان قبل الوصول اليه » فردد الوادي صدى كلامه اضعافاً فهب من موقفه وزاده هيباً قرب غروب الشمس واختلاط الاظلال حتى كادت تحول الى ظلام فدفعر

اذ ذاك انه أساء عملاً بهجئوه الى ذلك المكان الموعر مع ما آتته من الوحشة والمقاومة  
ولكنه تجلد وتعمد سلاحه فاذا هو مقلد الحسام والمخبر ثم ما لبث ان وصل الى باب  
الكهف فظهرت له مغارة لا يرى آخرها لعمقها ولا يستطيع الدخول اليها والفرس  
معه فوقف وحقق ببصره الى الداخل لعله يرى احداً فلم يقع نظره على شيء حتى فصاح  
قائلاً « من يقف في هذا الكهف فليخرج اليانا لاننا غير مغولين عنه قبل ان نراه ولا  
خوف عليه » قال ذلك وهو يكاد يرتعش رهبة لسكون الطبيعة سكوتاً لا يتخلله نغريد  
طائر ولا تنفثه ضفدع ولا خرير ماء ولا هبوب هواء ولا صوت آخر حتى اوجامد  
غير صهيل الفرس ووقع حوافره . فهم حماد بنشد الجواد الى الصخر والدخول الى المغارة  
بنفسه وفيما هو يمشي بذلك ظهر له شبح خارج من ظلمة ذلك الكهف لا يسمع لاقداؤه  
وقع فلبث حماد قدمة وتحنج للدفاع اذا اقتضت الحال . فلم يكذب فعل حتى وصل  
ذلك الشبح اليه فاذا هو رجل عار يكسوه شعر رأسه المسترسل الى قدميه وقد تمكن  
به الشيب فايض على أن الكبر لم يغير شيئاً من اعتدال قامته ورشاقة حركته وحدة  
بصره وإن يكن جلد وجهه قد تجعد وشعر حاجبيه وشاربيه قد طال وشعر صدره  
اصبح لغضو وبياضو كأنه زيد الصابون . وطالت اظافر يديه ورجليه حتى التفت  
على نفسها

فلم يكذب يقع نظر حماد عليه حتى هاب منظره ولو لم ير في يده صليبا كبيرا لمخل  
له انه من مردة الجان ولكنه ادرك لأول وقلة ان الرجل ناسك من نساك تلك  
الايام انقطع عن العالم واوي الى الكهوف التماساً للعبادة وكان قد سمع بكرامة  
هؤلاء وصدق نظرم في عوالم الامور فلاح له ان يخاطبه في ما هو فيه ويستشير  
في امره لعله يخفف شيئاً من قلقه فتقدم نحوه باحترام وهم بتقبيل الصليب في يده  
فادناه من فوقه فثبته ثم خاطب الناسك قائلاً « الملك ناسك مقيم في هذا المكان »  
فاجابه الناسك بحني الرأي ان « نعم » فقال هل تأذن لي بمحادثة ابنتك فيها بعض  
ما في ضميري على سبيل الاعتراف فتدبر علي بما يوحي به اليك الروح القدس  
فاجاب الناسك بالاشارة انه لا يستطيع التكلم الآن لان من شروط نمكه ان  
يصمت اسبوعاً ويتكلم اسبوعاً وإن آخر اسبوع الصمت ينتهي الليلة فاذا جاء في  
الغد خاطبته . وكان الناسك شائعاً في تلك الايام والنساك انوع منهم من ينذر الصمت

طول الحياة او بعضها ومنهم من ينذر العري او الجوع او المهر اياماً ومنهم من ينذر المعيشة على عشب الارض وهؤلاء فئة كبيرة كانت بين النهر بن سموا « الناساك الرعاة » فيقيمون في المغرب والكهوف المظلمة (١)

وكان ناسك حوران هذا ممن نذر الصمت اسبوعاً فسرَّ حماد بن جابر المنايلة خوفاً من البناء هناك تلك الليلة ثم لا يعرف طريقه في عودته لشدَّة الظلام . فقال له ألا آتي اليك معي بطعام او نحوه من بصرى فاجاب ( لا ) لانه من الناساك الرعاة الذين يعيشون على عشب الارض

فقال له ولكنني أرى الارض هنا مجربة لا عشب فيها  
فاشار الناسك بيده الى مكان وراء ذلك الجبل فيه مرعى .  
فسأله عن سبب رعيه بالحجارة وهو صاعد . فاجابه لعلوا انه لا يستطيع محاطبة قبل انقضاء اسبوع الصمت

فقال حماد وابن الطريق الى دير مجبراء فدله على طريق سهل غير الذي جاء منه فودعه وقبَّل الصليب وعاد وجواده وراءه حتى وصل الى الطريق فركب وسار قاصداً الدير فرأى عبد الله وسلمان ينتظرانه في الغرفة وقد قفلوا لغيابهم على غير موعت فقال له عبد الله لقد شغلت بالناسك بغيا بك على غير انتظار

فلم يثنأ حماد اطلاقهم على ما انتق له في ذلك اليوم رغبة منه في كتمانهم ريثما يسمع كلام الناسك فيظلمهم على الحكاية كلها  
فقال لهم خرجت على فسي فسرت ببهاج لم اكن اعرفها فاخطأت الطريق في رجوعي فطال لي المسير

فقال عبد الله وما الذي حماك على الركوب منمرداً . فكبر عليه الافرار فقلبو وتهيبوا من الامر فقال خرجت لترويح النفس

فادرك عبد الله حاله بناماً ولم يثنأ ان يشط عزيمته ولا ان يزيد قلقة خوفاً عليه من اليأس فقال له ارى سهدي في اهتمام وقلقى وما في الامر ما يدعو الى ذلك ولا نحن في سرعة او ضجر

فظل حماد صامئاً مفكراً فادرك سلمان ان في نفس حماد كلاماً ربما لا يريد

النصر يجي على مسرع منه فنظاها بامر يهيه خارجاً وترك الغرفة فلما خلا عبدالله وحماد قال عبد الله ما بال سيدي لا يبع بسن السم شريكك في أمرك  
قال بلي بل انت بمنزلة والدي ولا اخني عنك شيئاً فاني في قلق وارنباك واراني في حاجة الى من يفرج كربتي برأي او مشورة ومساءلنا في ما تعلم من الدقة والخطر  
فقال عبد الله هلم بنا الى الراهب الشيخ الذي شاركناه في سرنا لعله يشير علينا بما يفرج كربتنا

قال هلم بنا اليه

وخرجا حتى اتيا غرفته فدخلوا عليه وكان متكئاً فجلس ورحب بهما فجلسا  
ثم قال عبد الله انك بامولاي شريكنا في سرنا وعالم بما في ضميرنا فهل تشبر علينا بما يخفف عنا

فقال الراهب ان المسألة في غاية الدقة والمشفقة وقد ادركت عظمها منذ سمعتها ولا ادري بماذا اشير . قال ذلك وسكت برهة يفكر ثم هب من مجلسه بغتة وقال  
أرى ان نذهب الى ناسك حوران فانه بقيم في كهف على مقربة من هذا المكان فعساه ان يشير علينا مشورة خير

فبغت حماد عند سماعه اسم الناسك وقال هل نظنة قادراً على ذلك

قال نعم باسيدي انه ممن اوتي علماً وكرامة فلا تجلو مشورته من فائتة

فقال عبد الله لحمد وهل عرفته قبل الآن

فقال اعترف لك اني وصلت اليه اليوم بطريق الالتفاف وخاطبته فاجابني  
باشارة يدبوا انه لا يستطيع التكلم الا في صباح الغد لانه ممن نذروا السكوت اسبوعاً  
والكلام اسبوعاً

فقال عبد الله فلنذهب اليه غداً ان شاء الله فهل ترافقنا يا حضرة الاب المحترم الى مغارتو

فقال الراهب يا حمدا لو استطعت المسير اليه معكما ولكنني شيخ لا اقوس على المشي ولا الركوب والطريق وعزّ فسيرا اليه بحراسة الله ودعوني اقيم هنا اصلي وانضرع اليه تعالى ان يسهل سبيلكما فودعاه وخرجا

## الفصل التاسع والستون

## \* ناسك حوران \*

واصبح حماد وعبد الله في الغد فقال حماد لا نضطرب سلمان في مسيرنا الى الناسك  
قال عبد الله لا ارى ما يبع ذلك وسلمان كما تعلم اكثر غيرة علينا من غيرة  
احدنا على الآخر ولا اخالنا نستغني عنه في ما نحن فيه ولا يلبق بنا وقد صحبناه اعلمنا  
خدمنا بها خدمات حمة ان نخفي عنه امرنا فنجريه

قال حماد ذلك ما اراه . وبعثا اليه فصحبا وخرجتا في الصباح على افراسهم  
وحامد دليلهم حتى اقتربا من الجبل واطلوا على الكهف فقال حماد هذا هو الكهف  
وكأنني ارى الناسك في انتظارنا عند بابو

فنظر عبد الله حتى اذا وقع نظره على الناسك تهيب من منظره عن بعد وصعدوا  
فلما دنوا من الكهف تحفز الناسك لملاقائهم وكانوا قد ترجلوا ومشوا نحو فتال اهلاً  
بكم ومرحباً واخذ يتفرس فيهم واحداً واحداً بعينين براقبتين تحت حاجبين بارزين  
بروز الطيف حتى يخال لك ان العينين في حفرتين عميقتين

فقال حماد مرحباً بك ايها المتعب الذي لقد جئناك عملاً بوعدك وهذا والذي  
( وأشار الى عبد الله ) وهذا صديقي ( وأشار الى سلمان )

وتقدموا جميعاً وعبد الله ينظر الى وجه الناسك كأنه يعرف وجهها مثله  
وكان الناسك مشتغلاً في اعداد احجار يجلسون عليها وهو يحضر امامهم عارياً وشعره  
مستتر على يمينه بعضه فغلب عليهم الحياء فلم يستطيعوا النظر اليه الا خلسة  
فلما اعدوا الحجارة تقدموا اليه وقابلوا بنوا فباركهم وجاهلوا . اما هو فجثا على التراب  
سجوا المسترج وجمع شعر رأسه ولجنته في صدره الى حنن واخذ يرحب بهم ويعتذر  
لعدم امكانه القيام بجنى ضيافتهم

فقال عبد الله لقد جئناك لننمى بركة لا ترحاباً فقد بلغنا ألك من رجال الله

الخنار بن فنطره منك تغنيانا عن اثاث النصور . قال ذلك وهو ينعم النظر فيه لعلة  
بذكر الوجه الذي يشبهه

فقال الناسك اني احقر عباد الله فاشكر لحسن ظنكم بي وما تكبدتموه من  
المخقة في زيارتي فابسطوا ماني انفسكم لاني استطاع بمشيئة الله ان اخدمكم خدمة  
لهك تعالى

فقال عبد الله اننا من الطائفة النصرانية الذين يعتقدون بكرامة الناسك عباد  
الله ونعتقد انهم ينطقون بوحى منه تعالى وقد جئنا لنظلمك على سر لم يطعم عليه  
احد سواها وراهب منيم في دبر بجمبراء . والسر ذو خطر يستلزم اصغارا وكتانا ونحن  
معاشر النصارى نعلم خطارة سر الاعتراف وما فيه مما يدعو الى الذمة الدائمة بامثالكم  
فقال الناسك قل يا ولدي ولا تخف

فالنت عبد الله يمينا وشمالا كأنه يحاذر ان يسمعه احد وقال بظهر لي انك  
من اهل العراق

قال الناسك لقد اصبحت المرمى نعم اني من اولئك . وما الذي دلك على ذلك  
قال دلي عليه ملامح وجهك ونوع تعبدك فقد قيل لي انك من الناسك الرعاة  
وم كنيرون في العراق<sup>(١)</sup>

قال نعم يا ولدي اني كما قلت

قال فوالحالة هك قل لي هل تعرف الملك النعمان بن المنذر  
فلم يكذب عبد الله ينطق باسم النعمان حتى ظهرت البغته على وجه الناسك وابتقت  
عونه واقتطع حاجباه واجاب وهو يشرب بعنقه ويجدق بعينه « نعم اعرفه »  
فعجب عبد الله لتلك المظاهر ولكه تجاهل وقال هل تعرفه معرفة جيدة ام نسمع  
باسمها واخباره فقط

فقال الناسك ( ويدك في الحبو وشطها باصابعي ) لا بل اعرفه كما تعرف ولدك هذا  
فلم ذلك بصوت مخنق حتى خجل لم انه يكي

فقال عبد الله اراك يا سيدي قد اهتمت لحكايتنا من اول كلمة قلناها  
فتنهد الناسك ويدته الى عينيه ومسح بها دموعه وقال انت ذكرى الملك النعمان

هم يبع اشجائي وتفتت كبدي فهل بهمكم من امر ما فني ام جاء ذكرٌ على لسانكم عرضاً  
قال بل هو محور حكايتنا ومرجع سرتنا رحمه الله  
وكان حماد وسلمان شاخصين يعجبان لما يبدو من الناسك وعبد الله يزداد  
استئناساً بطلعه وكنة لم يدرك ما الذي يدعو الى ذلك  
فقال الناسك قل ما نقوله عن النعمان في ارتناج الى ذكره ولكنني اناسف لتذكري  
عاقبة امر

فقال عبد الله اذا كان النعمان بهمك الى هذا الحد فانظر الى هذا القاب وقلي  
لما هل تعرفه ( و اشار الى حماد )

فتمسح الناسك بعينه ونظر الى حماد وجعل يتفرد فيه ولم يكذباً ملة حتى صاح  
باعلي صوتي «<sup>(١)</sup> انه ابن النعمان لا شك فيه » وهم يوضه واخذ يقبله  
فخفت قلوبهم وبكى جميعاً والناسك ضام حماد الى صدره يقبله ويبكي  
فازداد عبد الله استغراباً للامر وقال للناسك لقد اذعننا بما بدا منك فكيف  
نقول انه ابن النعمان وقد كان النعمان ابرش احمر<sup>(٢)</sup> وهذا امر ادعج  
قال لا عبرة في ذلك فان ملائح النعمان قد تمثلت فيه وهو الرجل الذي رغبت  
عن العالم وانقطعت الى هذه الجبال من اجله  
فبهتوا لهذا القول ولم ينهموا مغزاء فاراد عبد الله ان يستطلع حقيقة الخبر فقال  
وهل تعرف الذي يكلمك

فنظر الى عبد الله نظراً متأمل وقال العلك صديق الملك النعمان وشريكه في  
مصايبه « شعون المحيري » وكان هذا اسم عبد الله المعروف به اذ ذاك  
فاندلج جميعاً وخصوصاً عبد الله فانه اعاد نظره الى الناسك وازداد استئناساً  
به ولكن لم يذكر كيف عرفه فقال اما وقد علمنا انك شريكنا في الامر فاخبرنا من  
انت وفرج كربتنا

فصعد الناسك الزفرات وقال اما انا فاني النفس الذي ارتد النعمان الى الصراة  
على يد<sup>(٣)</sup> بعد ان كان اسلافه قد نبذوها وعادوا الى الوثنية او المجوسية  
ديانة الفرس



فاتته عبد الله من غلبته كأنه افاق من رقاد وقال الملك النفس بعزوب  
قال نعم وقد كنت مقبلاً في دبر هند الكبرى المنسوب الى هند بنت الحارث بن  
عمر بن حجر آكل المرار وهو في ظاهر الحيرة وكانت هند ذلك كما تعلمون قد تهربت  
فيو فسي باسمها <sup>(١)</sup> ولكنني كنت اخلاف الى النعمان كثيراً ويطعنني على اسراره حتى  
كان ما كان من امر يجيء في خاتنين فدرجت الحيرة وسرت الى هناك وجعلت اتردد  
اليو في السجن . ألا تذكر انك كنت تراني هناك

قال اذكر ذلك جبراً وما زلت منذ رأيك الآن وانا في افكر فيه . ثم هم عبد الله  
يو ونعائفا وما يبكيان اما الملك فتحول نحو حماد وضمة وجعل بقبلة ويبكي وهو  
يقول احمد الله اني رأيك قبل موتي

وليل برهة صامتين وكل يبكي ويمسح دموعه بكو . الا الناسك فقد كان يسجد  
بيطن كنو

ثم قال عبد الله اقص علينا بقية الخبر يا حضرة النفس المحترم  
قال كنت اتردد اليو في السجن اصلي له واباركة وادعوه له وكان كلما اجتمعت  
يو بقول والاهتمام ظاهر على وجهه « لذي سرّاً طلعك عليه في فرصة أخرى »  
فاهتمت لمعرفة ذلك السرو كنت اتوقع ساءه في كل زيارة وهو يسوّف وكنت  
كلما سرت اليو رأيك وعجبت لدهانتك وغبرتك عليه . فساءلته عنك يوماً فقال  
انك مستودع اسراره وانه يثق فيك وثوقاً تاماً . وما زلت اخلاف اليو حتى اصيب  
بمرض ظنوه الطامعون ولا اظنه اياه . فزرنه ولم تكن انت ساعته هناك فقال لي  
اراني لن انقذ من مرضي هذا واعمل القضاء سبعا لاني واخاف ان لا املك فرصة  
اخاطبك بها . فقلت قل يا سيدي ولعل الله شافك باذن وبركة ابو . ثم بكى  
وبكى ( قال الناسك ذلك وخنقته العبرات والجميع سكوت بصغون الى خبير  
يتناولون باعنائهم . ويحدقون بابصارهم في شفته وما ترنخنان من شدة التأثر )  
فسكت الناسك برهة ريثما استرجع قواه . ثم قال فامعكني النعمان رحمه الله يدي  
وادعائي منه واسرّ الي امرأ خطيراً قال انه اسره اليك ولا ادري هل يجوز لي  
الانلظ يو وهو سر الاعتراف

فقال عبد الله لقد قلت اني عارف بك فلم بعد من قيل سر الاعتراف وقد اطلعت ابنة ورفيقنا هذا عليه

فقال الناسك اما والحال على ما نقول فاخبركم انه ادنا في منة وهو جالس على فراشه في ذلك السجن وقال « اني سأقضي نجي هنا ظلمًا من قوم لا يعرفون الله ولا يشفقون على انسان وسأترك اهلي واولادي بدون ان اراهم واودعهم في عالم ان سلطان الحيرة سيخرج من بني لح بعد موتي فاسررت الى سجون ان يرني ولدًا لي لم يولد بعد وان بكنتم نسبة عنه حتى يبلغ العشرين من عمره فينص شعره في دير بجيرا ثم يطلعه على حقيقته نسو قال واعترف لك اني حرضته على ان يتقم لي من دولة النرس » قال الناسك فلما سمعت كلامه اقمهر بدني واستعدت بالله من ذلك كله وقلت « يا سيدي الملك اراك تستعمل الاجل وليس ما يدعو الى قربه واما الانتقام فاتركه الى الله سبحانه وتعالى وهو الديان العظيم » فاجابني والدموع تخفق « لقد قضى الامر يا أبناه وعهدت بذلك ولا ارى الرجوع عنه والله ينضي بما يشاء » قال النعمان ذلك واختلج صوته وارتمدت فرائضه ثم غاب صوابه وفيما نحن في ذلك جاء السجان بشدد التكبر على من يدخل الى النعمان فخرجت ولم اعد اراه ثم ما لبثت ان سمعت بانتهاله الى دار البقاء ( قال الناسك ذلك وتهد ) وعلمت واحسرتها عليه انه لم يمت بخاتمين بل نقلوه الى سابط فأت فيها <sup>(١)</sup>

فلما سمعت ذلك كرهت الدنيا وتحقت فناءها وزدت زهدًا فيها فاتخأت الى النسك واختارت منه أكثر زهدًا وهو هذا الذي أنا فيه اعيش على نبات الارض وامكث عاريًا كما ترون وكنت متبياً في العراق مع رفاق كثيرين من الرهبان وذكر النعمان لم يبرح من ذهني يوماً واحداً وصورته نصب عيني وهو على ذلك الفراش في خاتمين وما زلت اردد كلامه الاخيرة فاحببت الاطلاع على ما فعلته انت من هذا القبيل فلم اعرف مقامك ولما مضت بضع عشر سنة من وفاتي ولم ارك ولا عرفت مفرك قلت لعلك تنيم في البقاء بالقرب من دير بجيرا لأجل وفاء النذر عند حلول الميعاد . فجئت واقمت في هذا الكهف وفي نفسي شيء اريد ان اطلعك عليه فلم اسمع عنكم خبراً ولا انا استطعت البحث لانهقطاعي عن الناس فضلاً عن اني لم اكن اعرف

اسك الحديد فكنت اتوقع ان اسمع خبراً عن شمعون المحبري فلم اسمع هذا الاسم قط

## الفصل السابعون

### \* انذر القاتل بالقتل \*

قال عبد الله وما الذي في نفسك وتريد ان تطعني عليه . قال هو خبر يتعلق بوصية النعمان لك ولا بد فاحكي لي ما تم معك من قبيل النذر هل وفيه واظلمت هذا الملك على حقيقة نسو قال عبد الله نعم يا مولاي لقد وفينا النذر بعد مبعاده . واحكي له القصة من اولها الى آخرها حتى آتى على . بسبب عيبتهم اليه فقال وقد جئنا اليك لهظم ما قام في نفس مولانا الملك من الامتنان في امر الانتقام فنلنا نطلع ناسك حوران على هذا السر لعله يشهر علينا مشورة نخفف ما بنا . او تهدينا . بيلاً مستقبلاً فقال الاسك لقد وقعتم على خبر وان في بقية قصتي ما يفرج عنكم كل كرب ان شاء الله

فاستبخر عبد الله وحامد ووليدان بانفراج الازمة وسرطو لندوهم على هذا الناسك فقال عبد الله اخبرنا ببقية قصتك بورك فيك

قال كنت لفرط ادنامي في امر الملك النعمان وامر وصيته وما تتضمنه من الحث على الانتقام لا ابرح افكر في هذا الامر نهائياً واحم بوليداً حتى استيقظت ذات صباح والناس يهذنون بامر كسرى بروبز قاتل النعمان . وان ابنه شهروه نأمر عليه وتجنبة فقلت في نفسي هذه عاقبة القوم الظالمين . ثم مالبت ان سمعت بانة قتله (١) فاعثرت بمكة الله سبحانه وتعالى وشعرت براحة فبت ليلة ذلك الخبر واذا هادس في عاقبة الظالمين وقول القاتل « وانذر القاتل بالقتل » . فرأيت في منامي كأن الملك النعمان قادم الي بلباس ناصع البياض وجهه مبرقش فخذت اروتيه على هذه الصورة

ثم سمعته يقول « لا نجيب يا يعقوب لمقتل برويز الجوسي فقد أعدت له الله ما هو اعظم من ذلك ليعتبر النور الظالمون »  
فقلت وقد بهرتني نور وجهه فاطرقت « وماذا عسى ان يكون اعظم من الموت قتلاً بسيف البينين »

فقال لي « سوف ترى وكل آت قريب » فرفعت نظري لاراه فغاب عن بصري واستبظت من منامي مذعوراً ولم تنض بضغ سنوات حتى وقع في سلالة برويز ما لم نسمع بمثله في غابر الازمان . اندرون ما هو قال عبد الله وماذا تعني

قال كان لبرويز هذا ثمانية عشر ولداً كلهم ذرودادب وشجاعة ومروءة منهم شيرويه الذي تولى الملك بعد فوشى رجل اسمه فيروز لشيرويه على اخوته السبعة عشر فامر بقتلهم جميعاً<sup>(١)</sup> فقتلوا صبراً في ساحة الابيان وهو ينظر اليهم ولكن شيرويه لم يهدأ له بال بعد عملوه هذا فان أخيه بوران وأزر مبدخت وبخناه نويماً شديداً فبكي بكاء مراً وري بالناج عن رأسه<sup>(٢)</sup> ولم يزل بقية ايامه مهوماً دنفاً ولاقى المصائب الكبرى وفي جملتها طاعون فشا في بلاده فاباد من قدر عليه من اهل بيته<sup>(٣)</sup> واخيراً مات هو كئيباً حزيناً . فهل اشد وطأة من هذا الانتقام . وزارني ملاك النعمان بعد هذه المحادث وهو يضحك وامارات البشر ظاهرة على وجهه فهبمت بالوقوف للقاءه فدمعرت بنفسي ثقيلاً لا استطع النهوض فابتدرني هو قائلاً « لقد انتقم لي الله من برويز الجوسي فطابت نفسي وارى وصيتي لتولدي حملاً ثقيلاً على عاتقي فقد شعرت بضعف بني الانسان وعلمت الاصابة في قولك وانا في سجن خائنين » قال ذلك وتوارى عن بصري وانا راقد لا استطع حراكاً ثم استبظت وصورة النعمان امام عيني وبكاد النور ينبثق من وجهه

فلما بلغ الناسك الى هذا المحمد من حكايتي شعر كل من السامع من بانفراج الازمة وخصوصاً حماد فانه احس بحمل ثقل نزل عن ظهري اما سلمان فكان الى ذلك الحين صامئاً لم يفه بكلمة فلما فرغ الناميك من كلامه وقف سلمان وهم ييد الناسك فقبلها وقال لقد اتفقنا فرجاً من عبد الله ولكن فلو بنا

لا نشتفي إلا بعمل نعمة على قهر أولئك الكفرة الغاشمين  
 فنظر الناسك اليه وتبسم تبسماً فلماً تعود وقال لك أعمال الله يا ولدي وستسمع  
 بذهاب دولة الفرس قريباً فلا يعني ثم من تنعمون منه  
 فلم يفهم مغزى كلامه فقال عبدالله هل تعني شيئاً محدوداً أوحى اليك ما في  
 سابق علم الله فإنكم معشر الناسك ذوو كرامة يفتح عليكم ما لا يفتح على سواكم  
 قال الناسك اشير إلى امر لا يحتاج إلى وحى أو كرامة بل هو ظاهر بينهم كل  
 عاقل . ألا ترى حال الدرس واختلال شؤونهم واضطراب أحلامهم حتى نزل على  
 كرسي ملك خمسة ملوك في خمس سنين<sup>(١)</sup> وكل يعمل على الاستئثار بالسلطة وإبادة  
 الآخرين وأضعفهم رأياً يزدجر الذي يتولى الملك الآن وستزول دولة الفرس على يد  
 ناهيك عن ظلمهم وجورهم . ألا يدلكم ذلك على شيخوخة دولتهم وهرمها وقرب انقضاء  
 أجالها وللدول آجال كآجال الناس تمر في أدوار تنهي بالموت ودولة الدرس قد  
 بلغت شيخوختها ولا تلبث أن تنفضي وكرامتك دولة الروم المحاكمة على هذه البلاد  
 قال عبد الله ولكن لا تنفضي إلا على يد دولة أخرى تقوم مقامها فمن سيتخلف  
 هاتين الدولتين . قال أما سمعتم برويا الراهب بعبارة الذي كان يقيم في دبره هنا  
 قال « كلاً » الأحاد فانه تذكر ما سمعته من الراهب الشيخ في تلك الجمعة يوم  
 جاءها الملافاة هند هناك . فقال بلى سمعت ذلك من الراهب الشيخ فقد أحكى لي مرة  
 أن بعبارة رأى في منامه فتى جميل المنظر مولد رُج الثور والزهرة مع قران المنتهري  
 وزحل وعلم منه أنه هو الذي سيهدي أبناء جلدته بني اسماعيل ( وهم العرب ) إلى  
 معرفة الله وإن هو بقوى امرهم ويقتد أزهرهم وتجنبهم كدلتهم فيذلون أبناء عمهم بني  
 سحاق ويملكون عليهم مدة توافق ما أشار اليه دانيال في نبوته وأنه يخرج من أولئك  
 العرب اثنا عشر دولة<sup>(٢)</sup> اليس ذلك ما نعتبه

قال الناسك هذا ما عنبته وأزبد عليوان الرجل المنتظر قد ظهر في جزيرة  
 العرب ودعا الناس فيها إلى عبادة الله ونبت الأوثان وقد فتح مكة وكسر أصنام  
 الكعبة وانتشر سلطانه في الحجاز واليمن وسيفتح الشام والعراق وهو الذي سيتخلف  
 الدرس والروم في سلطانهما

فقال حماد لقد شامدنا فونة وسلطانة بأعيننا يوم فتح مكة وكانت يوماً مشهوداً ويظهر من رغبته في سبيل الله واستهلاك انصاره واصحابه في نصرته ان دولته ستغلب الدول كلها ان عاجلاً وان آجلاً

قال فاستم اذن في ما يدعوا الى تكبد الخطر في الانتقام من آكاسن الفرس وقد رأيتم ان قاتل حبيبنا النعمان قُتل هو واولاده شرقتله وسيم العرب على دولتهم ان شاء الله

فوقع كلام الناسك على قلب حماد برداً وسلاماً فارتاح باله من امر الانتقام المجهل وانصرف فكره الى هند وشعر بيل شديد الى رؤيتها وخاف ان تسيء الظن به اذا طال غيابه بعد يوم اللعائين وم في اليوم الثاني منه فتظاهروا به الى الانصراف فادركه عبد الله ذلك فقال للناسك انا ذن لنا بالذهاب على ان نغتنم الفرص في زيارتك حيناً بعد حين وهل تطلب منا امراً تضيق لك

قال لا اريد من هذا العالم شيئاً فقد رأيتم زهدي به ولم يكن في نفسي شيء غير روية ابن حبيبي النعمان لاقصص عليه ما اوتمنت عليه مما خاطبني به والذ في الحلم فاحمد الله على نيل بغتي فاذا ماث الآن فاني اتوسد قبر العين ناعم البال

فقال عبد الله اطال الله بقاءك ونرجوان نراك كثيراً قال ذلك ونهض فنهضوا جميعاً وودعوا الناسك وانصرفوا على افراسهم وكان على رؤوسهم الطير

اما حماد فان ذهنة تنزع للافتكار بهند واحسن برغبته في اطلاعها على حفيظة نسبه فلما وصلوا الى الدبر موط بغرفة الراهب الشيخ فدخلوها ليطلعوه على ما دار بينهم وبين الناسك فلما انباه بما علموه من امره اطارق بئس بقرائب الحدثنان ثم قال لقد خيل لي منذ رأيت هذا الناسك انه لم يغادر خضب العراق وبقم في هذه الجبال المجدة الا لدافع دفعه الى ذلك وقد صدق ظني وبسرثني انه اطلعكم على ما خفف قلنكم وهوّن عليكم فما اتم في عجل للقيام بالوصية وقد كفناكم الله مؤنة ذلك اما ما قاله عن قوة المسلمين وعظم دولتهم حتى يخشى على الروم والفرس منها فقد ابديت المحادث الجارية فان تلك الفرزمة من الحجازيين لم يكادوا يقومون بدعوتهم حتى ملأوا جزيرة العرب فتحاً وفتلاً فدانت لهم قبائل اليمن وعمان واليمامة ونجد وقد شهد

حماد وسلمان فتح مكة ورأيا بطش هؤلاء العرب وقوة جامعهم ولقد شهد من رأى  
 حرمهم في موقعة هنا انهم كانوا كفاح الاسود وصبروا على الحرب صبر الرجال ولكنها  
 اول مرة لاقوا بها جند الروم ولم يكونوا في عدة كافية فلم يهزوا والظاهر ان وقعة  
 مؤتة كانت امثلة لهم علمتهم كيف نوكل الكنف حتى اذا رأوا في جندهم الكفاءة  
 اعداد الكفة اوس على الشام فقط بل على العراق ايضا  
 فقال عبدالله وهل دامت انهم حملوا على العراق  
 قال نعم انهم حملوا عليه اذ لم يكن فوزهم بها تاماً فلا اقل من ان يؤذوا  
 الفرس ويضيقوا عليهم

فقال حماد وكيف عرفت ذلك يا مولاي

قال اخبرني بذلك تاجر من اهل مكة نعودنا لقاءه هنا كل عام او عامين ولقي  
 معه صداقة ودالة فند مررتي من بضعة ايام واطلعتني على حوادث تلك الدولة بعد  
 فتح مكة حتي الساعة فاذا في ما يجيننا على دولتي الروم والفرس وكنت اظنكم  
 عالمين بها

قال عبدالله كلاً يا مولاي اتنا غير عالمين بشيء من ذلك

قال الراهب اخبرني ان ايجران اولئك المحجازيين بعد ان فتحوا مكة عادوا الى  
 المدينة وانتقلوا جنداً منهم الى من بقي في جزيرة العرب لم يرضخ للاسلام فغزوا  
 غزوات عدة فازوا بها كلها ومن اكر قوادهم رجل منهم يقال له خالد بن الوليد  
 اتى بالمعجزات في حروبه حتى سماه النبي « سيف الله » ومنهم علي بن ابي طالب  
 ابن عم النبي وهو بطل معرب . وكذلك رجل شيخ من كبار مشيرهم اسمه عبدالله ابن  
 ابي قحافة<sup>(١)</sup> لقبه بالصدق ويسى ابا بكر وهو حو الذي والد امرأته عائشة . ومنهم  
 رجل آخر يندرمثالة في العالم بشدة البطش وصدق الغيرة على الحق اسمه عمر بن  
 الخطاب وآخر اسمه عمرو بن العاص وغير هؤلاء جماعة كبيرة فمكن بذلك من  
 اذلال قبائل العرب حتى انه لم يعد يحتاج في اذلالهم الى ارسال الرجال بل كانوا  
 يندون عليهم وفوداً يلتمسون الدخول في دينه عن رضى وطيبة خاطر<sup>(٢)</sup> فرأى  
 الوقت اللازم لفتح الشام قد آن فجنده جيشاً بقيادة رجل اسمه اسامة بن زيد وامره

ان يسهر الى فتح الدمام وفيها هو في ذلك وإفاء القدر فتوفي قبل مسير الجند ولكنه خالف ابطلا قاموا بصرة دينه فتولى الخلافة بعده حمزة ابو بكر المتقدم ذكره وهو شيخ جليل القدر واخبرني التاجر ان المسلمين لما مات النبي احتلوا في من بولونه الخلافة بعده لانهم قسمان قسم يقال لهم الانصار وقسم يقال لهم المهاجرون

فقال حماد وما معنى هذه الاحزاب هل هي مذاهب دينية كالتي عندنا

قال لا يا ولدي ان المهاجرين هم الذين هاجروا مع النبي من مكة الى المدينة يوم شدد أهله الكبر على هناك فتبعه من قريش أكثرهم غيرة عليه فسموا المهاجرين وأما الانصار فهم أهل المدينة الذين قاموا بصرة لما جاءهم مهاجراً فخاربط معه فسموا الانصار . فكل من الانصار والمهاجرين يظن نفسه اولى بالخلافة فاختلفوا في من يتولها حتى كادت تقوم بينهم فتنة . ويظن صاحبنا التاجر المكي ان الفضل في فض هذا المشكل لأحد المهاجرين عمر بن الخطاب وقد ذكرته لكم الآن فهو الذي توسط في الأمر وباع أبا بكر فباعه الناس احتراماً له او خوفاً منه فصارت الخلافة في المهاجرين وهم من قبيلة النبي ( قريش ) فخليفة المسلمين الآن ابو بكر الصديق هذا (١)

فلما توفي النبي تغيرت قلوب بعض أهل جزيرة العرب ممن اعتنقوا الاسلام في حياته فارتد كثير من منهم الى ما كانوا عليه من الصراية أو اليهودية أو غيرها فتهمب المسلمون لذلك فاجتمعوا واوعزوا الى أبي بكر ان يعدل عن ارسال الجند الى الشام لاحتياجهم اليهم في اقماع المرتدين فأبى الا انفاذ ما أمر به النبي فارسل اسامة وجند الى الشام . وما أحكام لي التاجر المكي حكايته وقعت لابي بكر هذا يستغربها كل من عاشر حكامنا من الروم أو الفرس

فقال عبدالله وما هي . قال الراهب أخبرني التاجر ان أبا بكر رافق ذلك الجند في خروجهم من المدينة وكان أسامة راجياً وابو بكر ماشياً فنجل اسامة من ذلك لأنه شاب وذاك شيخ فضلاً عن كونه رئيسه فتقدم اليه ان يشي هو وبركبا ابو بكر فأبى الا ان يشيهم ماشياً وبذل ذلك على رغبة حكاهم في الخدمة لا الرئاسة وما أوصاهم بقيل عودته قوله « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغفلوا ولا تغفلوا ولا تقبلوا طلباً ولا شيئاً كبيراً ولا امرأة ولا تعفروا نخلاً او تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تدبحوا



شاء ولا يفر ولا يعبراً « هل سمعتم مثل ذلك من رؤسائنا لا انكر عليكم ان النصرانية تأمرنا بمثل ذلك ولكن حكمائنا نبذوا الدين نبذ النواة وسبعود ذلك عليهم وبالأ . قال الراهب ذلك وقد أخذت الحمة منه مأخذاً عظيماً حتى ارتجفت صوته وارتمشت لحية ثم سكّت

وكان عبدالله وحامد وسلمان متطاولين باعناقهم يسمعون حديث الراهب وقد زادم تأثراً ما أتصوره من اهتمامه فقال عبدالله ان مثل هؤلاء لا بد من ان يغلبوا العالم وينقلوا الامصار فعمام ان يبدأوا بالعراق وينفذونا من دولة الفرس الظالمة فقال الراهب وقد تنفس الصعداء انك تسمى أمراً قد وقع فعلاً فان جيش اسامة هذا لم تطل غيبته ابلهوا ان الخليفة احوج الى نصرتهم في قتال اهل الردة مما يفتح الشام فعاد بجند وانضم الى المسلمين في حروب اهل الردة . وما زاد الامر اشكالا اناس ادعوا النبوة منهم رجل اسمه اسود العنسي في اليمن فالتف حوله حزب كبير ورجل آخر اسمه طلحة الاسدي من بني اسد في نجد وآخر اسمه مسيلة في البصرة وآخر اسمه ذو الناج انبط بن مالك <sup>(١)</sup> وغيرهم من المؤمنين ودعاة الاحكام حتى لم تبق قبيلة من قبائل اليمن وحضرموت وعان والبحرين واليمامة ومهرة الا نبذت طاعة المسلمين وارتسوا عن الاسلام فخاف المسلمون الفشل ولكن ابا بكر نصر فبحكمة ودراية وساعة في ذلك فبادر الخنكون وخصوصاً خالد بن الوليد فانه عمل أعمالاً غريبة وكذلك عمرو بن العاص وغيرها ففضل في سنة كاملة حتى دانت الكفاج قبائل العرب واجتمعت كلمتهم واستقام امرهم

فقال حماد يا حذا لو يسير خالد الذي ذكرته الى العراق فضحك الراهب ضحكة يخجلها عبوس وقال لقد اصبت يا ويدي فانه عمل ما اردته فمار خالد هذا الى العراق لنفتح الحيرة وفتال الفرس <sup>(٢)</sup> فهب سلمان للحال وقال لحامد ألا يا ذن لي مولاي بالمسير الى الحيرة اني لا يبدأ لي بال ان لم آل يدي بدم الفرس فاعلي ان اشهد بعض المواقف أو اخدم المسلمين خدمة تساعدهم في انقاذنا من اولئك القوم الجوس فقال حماد اني اولى منك بذلك ولقد كنت عازماً على التماس اولم تلتهم انت

( ١ ) ابن الاثير ( ٢ ) ارسله في اول السنة الثانية عشرة للهجرة ( ابو الفداء )

قال سلمان أما انت فقد طال غيابك عن امير غسان واميرتو فسر اليها وعسايا  
ان اعود اليكم قريباً بخبر النصر

فاتبه حماد لامر مع هند فاغتم وجوده عند الراهب فرصة لاستفتائه بامر الاقتران  
بعد حكاية الوصية ولكنه استعفى فخطب عبدالله على انفراد قائلاً أنظن انه يجوز لنا المخاطبة  
بأمر الزيجة أم نحن لا نزال مقيدون بالوصية

قال عبدالله دعني أسأل الراهب وأخذ رأيه فما يشير به نفعله ونحوّل نحو  
الراهب فمأله فقال الراهب يظهر من خطاب الناسك لكم انه يحثكم من ذلك التبدد  
وفي العدول عن الانتقام فضيلة مسيحية كما تعلمون لان ديانتنا توصينا بمحبة عدونا  
ومباركة لاعتينا ونحظر علينا الانتقام

فسرّ حماد ملك الفتوى وسكت حتى اذا خرجوا من عند الراهب اتروا بعبدالله  
وقال له ألا ترى ان مذهب غداً الى اللفاء نقابل جبلة وانت بيعي فقد فرغنا من  
حكاية النذر وان لكما الاجتماع وخصوصاً بعد ان ظهر ما ظهر من رفع نسبنا  
فقال عبدالله ارى يا مولاي ان تبقي امر نعلبك مكتوماً كما كان لنرى ماذا يجد  
من حوادث الزمان

فاجل حماد وقال ولماذا نكتبه وهو شرف يتسابق اليه الناس وخصوصاً انهم  
اعترضوا على زواجي بهند لغرض نسبي فهل ابقى غاضاً  
ففكر عبدالله ههنا ثم قال وارثي مع ذلك ان لا تذكر وعلى كل حال فالامر  
راجع اليك

فسكت حماد وكان قد وصلا باب الغرفة وسلمان يتبعها وقد ادرك انها يتكلمان  
بشأن هند فتتمفر قليلاً فلما وصلا الغرفة التفت حماد ونادى سلمان فاسرع وهو يقول  
انقدم اليك يا مولاي ان تأذن لي بالذهاب الى الحجرة غداً صباحاً وان يكت بعز  
عليّ ان لا اشهد الاجتماع باقترانك ولكنني لا اليت ان اعود اليكم بما يسرّكم ان شاء  
الله وارجوان تذكروني في حفلة الزواج وانا اذكركم في ساحة الحرب

فقال عبدالله لحاد دعني يذهب يا سيدي امله بأنيما يجبر فقد انتميتا من المشاكل  
والاسرار ولا نظننا نحتاج اليه في شيء وقد نقرر لك الاقتران بهند ورضي والدها  
ووفينا النذر فاذهب

فقال حماد اذهب يا سلمان بحراسة الله ولا تقطع عنا اخبارك  
ففضي سلمان ليلته تلك بمعتد للمسير الى العراق وفي الصباح ودّع حماداً  
وعبد الله وبكى لوداعهما وسار الى الناصك بطنس بركته ودعاه قبل المسير  
فلما خلا حماد بعبد الله قال له دعنا نسير الى جبلة أو ميّا بنا الى صرح الغدير أم  
هناك سرّ يمنع ذهابنا واقتربنا ألم بأن لنا ان نخلص من العرائيل  
قال لقد آن الوقت وعلم سيدي اني لم أؤخر اقتربنا عبناً ألم يكن في السرّ  
ما يدعو الى ذلك

قال بلى واني لا انسى جبلاً صنعته معي يا عبد الله ولكنني اعترف لك اعترافاً  
صريحاً بأن اطلاعي على نمبي قد قلل اسباب سعادتي واحببني كنت اسعد حالاً يوم  
كنت حماد بن الامير عبد الله أما وأنا المندرين النعمان فاراني نعيماً يتيماً مظلوماً  
قال عبد الله كنت اتوقع ذلك منك ولكنني لم أربّداً من ان انص عليك خبراً  
عهد بواله امانة مقدسة

قال لم اقل انك اخطأت باطلاعي على حقيقة نسي فقد فعلت الواجب على  
انتي لما اتصور هنكاً ومعيشتي معها اسلمو الدنيا ومناعبها  
قال عبد الله وزد على ذلك انك ستكون عمّاً قليل ملك غسان والغساسنة  
لا يأتون سطوة وبطشاً عن ملوك الحيرة فضلاً عن دلائفهم بالرّوم وهي دولة مسيحية  
وذلك خير من علاقة اجدادك المناذرة بالفرس والفرس يحوس بعدون النار كما تعلم  
فانبسط وجه حماد لذلك فقال اذهب معاً الى صرح الغدير قال لو علمت ان  
جبلة هناك اذهبت معك لان من اللياقة ان الاقبه فتمني تعارفنا جازلي الذهاب الى  
الصرح فقال اذن اذهب انا فالتبس الك موعداً فاجتمع فيه بجبلة ونتم الاقتران  
قال حسناً فاعل حماد بعد جواده للركوب

## الفصل الحادي والسبعون

### ﴿ البرد والحاتم ﴾

أما هند فلم يأت يوم الشعانين حتى ملّت الانتظار وكانت تنوق ان ترى

حماداً في مساء ذلك اليوم او في صباح الغد فبضي اليوم والغد وفي تعد الساعات والدقائق ونحسب لنا آخر غير حساب فلما كان اليوم الثالث أفاقنا من رقادها قلقة البال فنهضت وسارت الى غرفة والدتها والتفت منها ان ترافقها الى دبر بحبراء او تأذن لها بالذهاب اليه وجدها

فقالته سعدى لا أرى ان نفعل ولا ان تفعل فلورأى حماد المجيء اليها لجا فرما كان في سروالك ما يمنع من المجيء.

قالت ما تعنين يا أماء

قالت لا اعني شيئاً ولكنني لم يعجبني أمر والدك هذا فكم ندلل ونهزّر فقد صاهرنا ولك على غيوس نسو واكرمناء والتمسنا لقاء فلم يأت وما قد انقضي موعده من يوم الدهمانين فلا أظن الآ في الامر دخلة

فانقبضت نفس هند عند ذلك وقالت لا تلاومي الغائب قبل حضوره فرما منعه عن زيارتنا مرض او شاغل ذو بال واما ما اشرت اليه من تدلل والدك او كبرياء فلا أظنه في محله وليس ثم ما يسوغ له ذلك

وسكتتا هنيهة مطرفتين ثم قالت سعدى نعم يجب علينا ان نبحث عنه وعن سبب غيابه فلنتنظر هذا اليوم ايضاً فاذا لم يأت اغدنا اليه رسولا

فخرجت هند وفي هاجمة في امر حماد فلبست ثوبها وخرجت الى الحديقة تفعل نفسها بازهار الربيع وعيناها شائعتان من بين الاشجار وقد هب عليها النسيم فتعاطم حفيف الاوراق وعلت اصوات الطيور مفردة وهند تود انقطاع النسيم وخرس الاطيار مخافة ان تحول تلك الضوضاء بينها وبين وقع اقدام حماد اذا جاءها ماشياً بين الاشجار او تخفي صوت جهاده اذا صهل عند استقبال الصرح . وفيها هي جالسة على حجر هناك تفكر في ذلك وتحدق بعينها وتصبخ بسهماء وقد صارت الشمس في الهاجرة رأت فارساً قادماً عن بعد عرفته من جهاده وظاهر لباسه انه حماد فهرولت الى والدتها وانباها بقدموه فدخلنا الى قاعة الجلوس حتي جاءها مخبر بقدموه فخرجت سعدى للقائوه ورحبت به فقبل يدها ودخلا الصرح وكانت هند عند الباب فلمع عليها ودخلوا جميعاً الى قاعة الجلوس وقد آنست هند في وجه حماد تعبيراً بعد قص الشعر ولكنها عجت لهيئته وحده وارادت الاستفهام عن السبب فمنعها الحياء على ان والدتها

ابتدرته بالسؤال عن والدك  
فقال انه كان عازماً على الجيء معي ولكنه رأى من اللياقة ان يقابل ملك غسان  
قبلاً ولو كان سيدي المم هنا لانذنا الى والدي فيعصر حالاً  
فقلت جعل الله نذركم مقبولاً هل قصصت شعرك يا والدي  
قال نعم . قالت وهل سمعت الحكاية . قال نعم سمعتها . وحدثته قصة ان يبيع  
بها فتذكر تحذير عبدالله فأسك ولكنه رأى سكونه عنها بالمرء مخبراً للمائل  
اما سعدى فلم ترد على هذا السؤال نادياً فلما لم يجيبها غمرت الحديث وسألته  
اذا كانت بسرّة الخروج الى الحديقة وهو يود ذلك لعلوا انه قد يخلو هناك بهند  
فهيما تبان او يتغافلان  
فخرجت من باب خصوصي صغير وتخللت سعدى في النصر توصي قبة النصر باعداد  
مائة الغداء

فمشى حماد وهند في طرقات الحديقة حتى اتحدرا الى ضفة الغدير وماؤه يجري  
على حصياء ثلثاً تحته كانهما الدر وقد فاحت روائح الازهار وغلبت عليها رائحة زهر  
اللووز وزهر البرتقال وعلت ضوضاء الاطيار وحفيف الاشجار ولو كان لنا فونوغراف  
ادبسن او اشعة رونتجن لرأينا قلبي هذين المحبين يتناجيان وينفاهمان  
اما هند فما صدقت امها خلت بحجاد حتى نظرت اليه شذراً وهي تبسم وعيناها  
مدرفتان ثلثاً لأن وقالت ما الذي دعاك الى الاستعجيل في زيارتنا اما كان الأدل على  
شوقك ان تبني زيارتك الى عيد النصح !

فادرك مرادها فاحب ان يبعث بها فقال تركنا يوم النصح لمقابلة والدك بشأن  
الاكليل ام ترين تأجيل ذلك الى الأحد الجديد  
فتخللت وطرفقت وقد توردت وجنتاهما فازداد اشراق وجهها وقالت لو هرقت  
انك نجيتني بهذا ذلك ما افدمت علي موالك

قال وقد أعجبت خجلها وازداد هيامه بها لم يكن اظن ذكر الافتتان بسوءك ونحن  
انما نسعى جهدنا في الحصول عليه . قال ذلك ونظر اليها كأنه ينتظر جوابها . اما هي  
فحولت وجهها عنه وخطرت نحو شجرة من البرتقال تظلف زهره فلاهي بشمها عن  
ساع كلامه

فتبعها حماد وهو يقول ما بالك تمرين بي يا هند فاذا كنت تريدن التخلص من قرابتي قولي لي كما قال غبرك ان نسي غامض فلا استحق بنت ملك غسان فلم تجبه ولا على هذا وقد كان يتوقع ان يجرها الحديث الى حكاية السر ليجبرها بحقيقة نسيه ويرى ما يبدو منها وخاف ان تأتي والدتها فيقطع الحديث فدار نحوها حتى قابلها وجهاً لوجه وامسك يدها فاحس كلاهما بشعيرة الحب فقال حماد لم نسا لبي عن حكاية السر ما هي

فقالت له ( وهي ممسكة بك تنظر اليها ) بظهر ان حكاية السر عزيزة لديك لا نستحق سماعها

فادرك انها توبخه لمكونه عن سؤال والدتها فقال لا يمز عنكم شيء يا حبيبي . قال ذلك ويد يد الى جيبه فاستخرج خاتماً دفعه اليها وقال هذا هو سرنا فانظري اليه فتناولت الخاتم وتأملته فاذا هو مكتوب بحرف لا نعرفه فقالت انه لا يزال سرّاً اذ لا يستطيع قراءته . فقال انا اقرأه لك ثم قرأ « النعمان ابن المنذر »

فلم تفهم المراد فقالت وما معنى ذلك قال معناه ان نسي الذي كان غامضاً عنك وعني كان مخفياً في هذا الخاتم فانعمت فكرها في مغزى كلامه فادركت انه ينسب الى النعمان ولكنها امتنعبت ذلك فقالت املك تنسب الى الملك النعمان

قال « بل هو ابي » . وجعل ينظر الى ما يبدو منها فراها قد استغربت قوله ولا تزال في حال البغنة ولكن الاعجاب والسرور ظهرا على وجهها معاً على ان الانفة والريانة منعناها من اظهار البغنة فقالت ومن انباك بهذا النسب وكيف خفي عنك الى الآن

قال لذلك حديث طويل سأقصه عليك في غير هذا المكان واذا كان الخاتم لا يكتبك فانظري الى هذا الرداء وكنت غائبة عن برد النعمان وكان تحت الثوب فنظرت اليه فلما تحققت نسبة عظم في عينها ولكن الاستغراب غلب عليها وهي تحسب نفسها في حلم

ثم سمعا وقع اقدام من ناحية النصر فنظرا واذا بوالدتها قادمة فاسرع حماد الى الخاتم

فخبأه وطلب الى هند كتمان الحديث الآن . اما في فرغاً عن رزانتها وتعاقماً ودّت ان تطلع والدتها على ذلك الخبر

اما سعدى فانها جاءت مسرعة وفي وجهها خبر  
 فنظرا اليها وما يتوقعان خبراً فقالت لقد اطالت الغياب عليكما لاشتغالي برسول  
 قدم من عند الملك جبلة ومعه هذا الكتاب ودفعت الكتاب الى هند ففضضته فاذا هو  
 من والدها يقول فيه « هل عرفتم شيئاً عن ولدنا حماد وهل وفي نذرته فاني احب  
 ان اراه قبل سفري الى الامبراطور فقد اتتني رسالة بالدماب اليه ليهمة ساقصها عليكم  
 عند الاجتماع »

فقالت سعدى اكثري البؤاة جاء وقد وفي النذر  
 فقال حماد ارى ان اسير الى والدي واجيء بوليتشرّف بمعرفة الملك جبلة ايضاً  
 قالت حسناً تفعل فعاد الى القصر وكتب الى جبلة بذلك على ان يكون مجيئه  
 في الغد

وكانت المائدة قد أعدت فتناولوا الطعام وركب حماد الى دير مجبراء

## الفصل الثاني والسبعون

﴿ كل سرّ جاوز الاثنى شاع ﴾

واما هند فما زالت تفكر بما سمعته من حماد عن نسيه وادركت والدتها فيها تغيراً  
 ظاهراً على وجهها يدل على شيء في نفسها تكتمه فلما كان المساء ذهبت هند الى  
 فراشها فجمها سعدى واخذت نجادها اطراف الحديث حتى باحت لها بالسرفلم تكن  
 سعدى اقل استغراباً من هند وحسنت لما ان تطلعا والدها على ذلك  
 فلما جاء جبلة بيّض في الغد انباءه بالخبر وكانت لتوقع منه ارتهاها واستحساناً  
 ولكنها رأت انقباضاً فندمت هند على تصريحها بالسرف وخافت ان يترب على ذلك  
 ما يسوّمها وكان خوفها في محلو لان جبلة ما لبث منذ سمع ذلك الخبر منقبض النفس  
 طارقاً في بجاننا مثل لعلهم ان حماداً اذا تزوج هنداً سيكون وربته في الملك اذ

ليس له ذكور يرثونه فاذا كان حماد من عامة الناس بقي الملك باسم القساسنة ولكنه رأى بعد ما علمه من انتسابه الى المناذرة ان الملك سيجرح يوم القساسنة الى المناذرة فيكون قد سعى الى زوال ملكه فارتبك في امره فلم يعد يعلم ماذا يعمل وود لو انه زوج هنداً للعلبة ابقاء للحكم في عائلته ولكنه كتم ذلك كله ونظاهر باستغراب ما سمعه

اما هند فكانت تراعي والدها وتراقب حركاته وتتأمل ما يبدو منه وقد انقبضت نفسها واسفت اسفأ شديداً لما فرط منها

وفياهم في ذلك سمعوا قرعة اللهم وصهيل الخيل عند باب المدينة فاطلوا واذا بحماد وفارس آخر عرفوا انه والك فخرجوا لاستقبالها فلما وقع نظر حماد على جيلة هم بتقبيل يده فتمتعوا وتعاثوا وتقدم عبدالله الى جيلة فصافحه وتعارفا ودخلوا جميعاً الى قاعة الجلوس واخذوا في الاحاديث المتنوعة الا حديث الذرفاة لم يدر بينهم ابداً فقالت سعدى لجيلة قلت لنا في كتابك ان الامبراطور هرقل انفذ بدعوك اليو فما الذي دعاه الى ذلك

قال دعاه اليو اضطراب في جو السياسة اوجب اهتمامه في التأهب للحرب عاجلاً فبغت الجميع واستعاز حماد بالله وخاف ان يحول ذلك بينه وبين هند الى اجل بعيد فقال

وما هو ذلك الاضطراب يا عمه

قال لقد انبأنا الجوليسيس ان الحجازيين الذين جاؤا منذ بضع سنين على ما تعلم وعادوا عن مؤنة خاسرين قد استعمل امرهم واتسع -لطائهم وتوفي فيهم وخلعة بعض اصحابهم فجنداً كبيراً انك لقتالنا ولا يلبث ان يصل الينا قريباً فبعثت الى هرقل بذلك فارسل يستقدمني اليو في حصص<sup>(١)</sup> للتحاربة بشأن التجنيد وقد قيل لنا ان حملهم هذه المرة ستكون اصعب مراساً من الماضية وقد جاؤا فرقاً بقودهم اعظم النقاد

فقال عبدالله سمعنا انفاذ ذلك الجند الى العراق لحرب النرس وليس للشام قال ذلك جنداً آخر بعثوه الى العراق في العام الغابر اما الآن فانهم عاملون



على العبد البنا

فقال حماد هل يرى سيدي العلم ان غيبته سيطول هناك

فقال لا ادري مقدار طولها ولكنني اظنها طويلة

قال نسهر اذا في خدمتك

قال لا ارى حاجة الى ذلك والاولى ان تبقى في بصرى ربنا اعود او ابعث اليكما . اما سعدى وهند وسائر اهل هذا القصر فيسهبون معي خوفاً عليهم من غائلة العدو وهم في هذا الحلاء

فلما سمعت هند ذلك خفق قلبها وكادت الدموع تتناثر من عينيها وقد ادركت ان والدها يضر السوء لحامد

اما حماد فلم يكن اقل وجلاً وهو لا يعلم ما في نفس عمو وظنه لم يعلم بحقيقة نسو ولا حدث ما يوجب تنوره ولكنه استعظم فراق هند بعد ان كاد يظفر بها على اثر ما فاساه من المشقة والبلاء في سبيلها

اما عبدالله فادرك ان في الامر شيئاً جديداً اوجب هذا التباعد ولولا ذلك لم يكن ثمة ما يمنع مسيرهم معه حيثما سار فحامد شك في كتمان حماد فنظر اليه بطرف خفي ففهم حماد مراده فاتبه انه اخطأ باطلاع هند على ذلك السر وشاركهم في ذلك الاحساس سعدى لانها اعلم الناس باخلاق زوجها فقالت له ألا ترى ان نسهر جميعاً معاً وما الفائدة من بقاء حماد هنا

قال بل ارى بقاءه هنا وساجبرك عما يمنع ذهابه معنا . قال ذلك وفي كلامه غنة الجفاء فسكنت وصكت الجميع

ثم آن العشاء ففقدوا والصكوت سائد عليهم جميعاً فلما نهضوا امر جيلة ابن نعيد الركائب لحبر زوجته وابنته معه في ذلك اليوم فشق ذلك على عبدالله ونفر من جيلة لما اتفق له معه في المفايلة الاولى وعول على تحويل عزم حماد عن هند كانه لم يدركها في قلبه من لواجم الغرام وقد فاته ان الحب ينعاظم بنسبة ما يعترضه من العقبات

فاستشار عبدالله حماداً في الانصراف فاجابة اليورغاً عنه ووقفاً فنقدم حماد الى عمو وودعه وهو يكاد يشرق بدموعه وودعه عبدالله . وسار حماد الى سعدى وهند

بودعها وكانت قد خلنا وهند تبكي وتختبئ والدتها تخفف عنها وتلتبس الا عذار  
لما ظهر من جفاء والدها فلما سمعت وقع اقدام حماد خرجت في فودعته واعتذرت  
عن هند انها تشكو من صداع الم بها حتى ابكها

فادرك حماد انها شعرت مثل شعوره وترجع لديه انها باحت بالسرو ولم يلم  
الا نفسه لانه لم يوصها بكلماته فقال والدمع يتلألأ في عينيه دعيني ارى هنداً  
قبل ذهابي وان تكن باكية وكانت هند قد استعدت للقائهم فسمحت بدوعها وحاولت  
اخفاء ما بها وخرجت الى حماد وهي تجلجلج ومدت يدها ونجدها هو ايضاً فودعها  
مبتسماً وتحت ايتسامه غيظ يكاد يبين ثم ودع سدي وخرج فلقي عبدالله في الحديقة  
يتنظر قدومه فركبا وحماد يلفت وراة بودع القصر واملة وهو غارق في لبح  
المواجس فساراً من صامتين لا يفوه احدهما بكلمة وكل منهما يفكر في امر وحماد يراجع  
في ذهنه حوادث ذيك اليومين ويغرق ندماً لما باح به من امر نسيه وشعر بخطائوه  
نحو عبدالله لانه لم يطمع في كتابته فظل صامتاً يتردد بين الحنجل والنشل  
اما عبدالله فلم يبق عنده شك بتغير جيلة وفساد ما بنوه وضياح ما املوه ولكنه  
لم يذكر ذلك لحماد رفقا بمطاطو وعول على ان يثنيه عن عزوفها بعد

### الفصل الثالث والسبعون

❖ ان الله مع الصابرين ❖

فلما دنط من الدير قال عبدالله أترى يا سيدي ان نقيم في الدير او نذهب  
الى بصرى  
قال لك الامر ولكنني ارى بصرى افضل لنا بعد ما سمعناه من حملة العرب  
المنجاذبين

قال الامر اليك وعرجوا نحو الدير بانط فوه تلك الالهة على اهبة الانتقال الى  
بصرى ولم يبق حماد الا قليلاً لكثرة ما تراكم عليه من المواجس  
فلما اصبحوا اخذوا يستعدون للركوب فذهب عبدالله لوداع الراهب وظل

حماد وحده يستغل في بعض الملام وكان الوقت ضحي وفيما هو ينظر الى خارج  
الغرف رأى امرأة تنظر اليه معرفها انها المجارية التي رافقت هذا الى الصووعة يوم  
التي بها المرة الاولى هناك فبغت لرويتها وهرب الى  
فقال له انعرف بائع الحلي  
فقال نعم وصلت

فدفعته اليه مندبلاً كان في يدها وتولت راجعة  
فقلب المندبل بين يديه فاذا هو رسالة قد كتب فيها « لا يضعف عزمك ما  
رايت الباردة من والدي واصبر ان الله مع الصابرين » فعلم انها رسالة من هند  
فابرقت اسرته وانجرت كربة وطوى المندبل وخبأه ولكنه ود لو يعلم ابن في  
فمسير اليها بغير نعيمها ينسجم اخبارها فنذكر ان والدهما ساء الى حمص لمقابلة  
هرقل فقال في نفسه لا اظنه يحمل أهله معه الى هناك فربما خلطهم في البلقاء وكان  
يفكر في ذلك وهو يتظاهر بالاستعداد للمسير فاجاء عبدالله فركبا وسارا الى بصرى  
واناما في منزل بقرب السور عال مشرف فنذكر عبدالله يوم ثلثة وموقفه امام  
رومانوس ( روماس ) حاكم بصرى وما كان من امر الختام ولكن ثعبانة ضعف امره  
وخرج من بصرى فاقام في بعض القبائل الفسائية ورومانوس ما زال حاكماً هناك  
وكان حماد قلقاً على هند لا يبدأ له بال وما زاد الحالة قلقاً عليه لونه نفسه لا باحثو  
بنسبه وقد عرف قيمة نصائح عبدالله وتحتقن ان الاختيار والمعاينة تكسب المرء علماً  
وحكماً لا يدركها بمجرد الذكاء الطبيعي وما لبكيتو الى استشارة عبدالله في ذهابه  
الى البلقاء وشعر بما جئوا الى سلمان لانه كان له بوغنى عن تجشم تلك المشاق بنسبه  
ثم اجفل بغنى وخاف اذا استشار عبدالله ان يشير عليه بترك هند وهو لا يستطيع ذلك  
ولا تسهل عليه مقاومته بعد ان اخبر صدق نصائحو فسكت وسلم الامر لله

اما عبدالله فكان يتجامل عن كل ما يظهر على حماد من القلق ويدعوه حيناً بعد  
آخر الى الخروج للصيد كما كانا يفعلان اول مجيئها تلك الديار وكان حماد يسير معه  
لعله بوغل في البرية فيقف على قادم او غادر فيطلع منه على خبر هند او والدها ولم يكن  
عبدالله يفتاح في خبرها الا عرضاً في اثناء كلامه عن قوات الروم ونحو ذلك فاذا  
انس من الحديث اقترباً من الموضوع تباعد عنه وهو يتوقع ان ينتهز ميل حماد من

تلقاه نفسه وكان حماد أكثر رغبة عن الخوض في ذلك الموضوع لئلا يسمع نهياً أو نصحاً  
يبعث عن هند

ففضيا أشهراً على تلك الحال ولم يسمون إلا باستعداد الروم لدفع المسلمين  
وان جند المسلمين وصلوا ضواحي النمام واقام بعضهم في البرموك وكان حماد كلما سمع  
خبراً من هذا القبيل ازداد قلقاً حتى لم يعد يصبر على البقاء في بصرى ومال الى الخروج  
منها الى البلقاء لعله يعرف شيئاً عن هند وعبدالله يشاغله نارة بالصيد وطوراً بزيارة  
رومانوس صاحب بصرى وكان رومانوس قد عرف منزلة عبدالله على اثر ما كان  
بينها من امر تسيير عبدالله الى هرقل وما لاقاه من العنوة هناك . فكان يجتمع  
برومانوس وحماد معه ويخرج احياناً الى الراهب فيزوره ويدعوه الى زيارته .  
اما الناسك فسار الى مرق فلم يجده

## الفصل الرابع والسبعون

### حصون بصرى

ففيما هما ذات يوم في ضواحي بصرى يطلبون الصيد قال حماد ارى الصيد قليلاً في  
هذه الضواحي لو عرّفنا وقلة المرعى فيها الا ترى ان نسير الى البلقاء لعلنا نعثّر على صيد كثير  
قال عبدالله ان الصيد يكثّر احياناً ويقل احياناً اما اذا شئت الذهاب الى  
الבלقاء فالامر اليك

قال ارى في الانتقال خيراً  
وفيما هما يتحادثان رأيا سرباً من الغزلان قادمًا من عرض البر لم يريا مثله قبلاً  
فبعثا فقال حماد ما هذه الغزلان اني اراها تطلبنا وذلك لم يتفق لي منذ طلبت الصيد  
فقال عبدالله ان مثل هذه الكثرة تدل على امر خطير  
قال وماذا عسى ان يكون ذلك

قال لا يجتمع هذا العدد منها ويحصر في وجهة واحدة الا فراراً من جند نادم  
فلعل جنداً من العرب قادم الى بصرى . قال ذلك وصدا الى ربوة اشرفا منها على  
سهول بعمدة فرأيا غباراً يتصاعد عن بعد فقال عبدالله لقد صدق ظني

فقال حماد اظنها جنود المسلمين قادمة لحصار بصرى فباليتما خرجنا منها قبل الآن قال عبدالله اذالم يكن لنا بد من ملجأ في هذه الديار خوفاً من المسلمين فان بصرى احسن المدن وامنع الحصون واسمها يدل عليها فان لنظها في الكلدانية معناه الحصن المتبع<sup>(١)</sup> الم تر سورها من الحجر الصلد الذي لا تقطعه المعاول ولا يهدمه الجانيق<sup>(٢)</sup> وقد رأيت ابيها فان منها يخرج اثنا عشر الف فارس دفعة واحدة عند الانقضاء فالمسلمون اذا فتحوا بصرى هان عليهم فتح سواها فتربصنا داخل اسوارها خبر لنا من المخرج الى البلقاء او غيرها . وزد على ذلك ان اهل بصرى اشداء وهم اكثر الناس حرصاً على دينهم واشدهم دفاعاً عن مدينتهم فانها اعظم مراكز التجارة بين الشرق والغرب لتوسطها بين الحجاز والعراق والشام ومصر<sup>(٣)</sup>

فبغت حماد وعظم عليه الامر وعلم ان امره لا بد من تأجيله ان طوعا وان كرهاً وهب انه عزم الى البلقاء اودمشق فان جبلة وقبائل غسان وجنود الروم اصبحوا في شغل يغلهم عن كل شيء ولكنه اراد ان يتحقق قوة جند الروم ليرى قدرهم على الدفاع فقال وهو يدير رأس جنوده نحو بصرى وعبدالله يتبعه وما هي قوات الروم في الشام وهم مدينة مثل بصرى عندهم

قال عبدالله اعلم يا سيدي ان ولاية سوريا او هي ولاية الشام تقسم الى ١٥ قسماً احدها بصرى<sup>(٤)</sup> وقوات الروم كثيرة وعديتهم كثيرة ولكنهم شغول عن دينهم بدنيهم واستولى عليهم الانقسام . وما زالوا في هذا الحديث حتى وصلوا المدينة فراوا اهلها في هرج واجند في حركة يستعدون للدفاع فدخلوا الاسواق فراوا الناس مجتمعين منى وثلاث ورباع يتساءلون عن الجند القادم وامارات الاستئناف ظاهرة على وجوههم فقال عبدالله هلم بنا الى منزلنا فانه عال يشرف على الاسوار وما وراءها

فسارا وقال حماد ما قولك برومانوس حاكم بصرى هل هو خائف ام مستخف فقال عبدالله لا اظنه خائفاً وعنده مثل هذه الحصون وهذه الفلاع فضلاً عن العدة والرجال ولكني اظن الولاية ستخرج من يدك الى طال آخر جاء منذ ايام اسمه تراجان (دبرجان) وهو بطل محنك وقد سمعت الناس يتحدثون بنفوس ريبتها وليس هذا وقت التنافر

## الفصل الخامس والسبعون

## \* رومانوس وتراجان \*

وما زال بالحديث حتى وصلا المنزل فاطلا من بعض نوافذ فاذا بالغبار قد بان  
عن جند كثيف تنفذه الاعلام والفرسان

ولم يكذب بظهر جند العرب حتى تسابق الناس الى الاسوار ينظرون اليهم وهم  
يهزون بهم وبالبستهم وسداجة معداتهم وبعد قليل جاء رومانوس فوقف في بعض  
الابراج ونظر الى جند العرب وقال لمن حوله من الضباط لا نرى ان تقفل ابواب  
بصرى امام هذا الجند الضعيف ولكننا نخرج اليهم فنحاربهم في هذا السهل ونردم على  
اعقابهم - طامر بالجند ان يعسكروا خارج الاسوار مقابل معسكر العرب <sup>(١)</sup>

فلما رأى عبدالله هذا التهور خاف العاقبة لما يعلمه من بطش العرب وصبرهم على  
القتال وكانت له على رومانوس دالة كما تقدم فلما علم بعزمه على الخروج بالجند حدثته  
نفسه ان يصرح له ان لا يفعل فساد اليه وحماد معه وقد علم انه توجه الى دار حكومته  
فلما وصل الدار رآها غاصصة بالجماهير من رجال الحكومة وكلهم راضون عن رأي  
رومانوس ولكنه لم يتراجان بينهم فلما رأى اجماعهم على ذلك علم انهم لن يصغوا الى  
كلامه فرأى ان يخاطب تراجان بالامر فسال عنه فقيل له انه في منزله فصار اليه  
وكان قد عرفه واجتمع به مرارا فاستأذن بالدخول عليه فاذن له فدخل فاذا  
بتراجان مقطب الوجه فلما دخل عبدالله رحب به تراجان وكان يعرف العربية فجلس  
وجلس حماد الى جانبه

فقال تراجان هل تعرفون هؤلاء الحجازيين

قال عبدالله لقد عرفناهم وحضرنا حروبهم غير مرة

فقال وكيف رأيتمهم

قال رأيتم اشداء صبورين لا يعبأون بالعدو ولا بالكثرة

قال ألا ترون الخروج اليهم خطأ  
قال عبد الله لي يا مولاي وهذا ما جئنا به اليك فكيف تخرجون اليهم فنعرضون  
جندكم لنبالهم وسيوفهم وقد كان لكم غنى عن ذلك بهذه الحصون المنبئة  
فتنهت تراجان وقال هكذا اراد رومانوس ولقد نصحت له فلم ينتصح وكافني به  
باني يجند الروم الى التهلكة

فقال عبدالله الوس من مهبل الى افشاء  
قال كلاً لانه عنده معتد بنفسه وسيكون فغلة عظيماً واذا فشل فانما يكون دمة  
على رأسه قال ذلك وهو بلاعب صليبا من الذهب معنفاً بساحلة في عنقه  
فانس عبدالله في كلام تراجان لهجه اللثامات فسكت وودعه وخرج وحماد معه  
فلما خرجا قال حماد ما ترى من امر هؤلاء اني اخاف ان تعود العائنة على هذه المدينة  
فيصوبنا ما يصيب اهلها

قال وما العمل يا سيدي انخرج الى المسلمين  
قال حماد كلاً ان خرجوا حياناً  
قال اري ان تريض لذي ما يكون من حربهم  
وسارا حتى انما المنزل وكان الليل قد سدل نقابة فاطلاً على معسكر العرب فاذا  
بهم قد نصبوا الخيام واوقدوا الوقود ونصبوا الاعلام  
فقال حماد ومن هو يا ترى امير هذه الحملة العامة خاند بن الوليد  
قال ان خاندًا في العراق على ما علمت واكن الامراء غيره كثيرون

## الفصل السادس والسبعون

\* فتح بصرى \*

وباتوا تلك الليلة بالجند يستعد للخروج وفي الصباح افاقوا على دق الاجراس<sup>(١)</sup>  
واذا بالجند خارج وفيهم اثنا عشر الف فارس والقميس امامهم بالصلبان والمباخر<sup>(٢)</sup>

فسار عبدالله وحماد الى الاسواق فرأوا الناس يسرعون الى الكنائس فيسبون الصلاة باليونانية (١) ويدعون لخدمهم بالعر وصد الكهنة على الاسوار بالصلبان والشموع ورشوا الجند بماء المعمونة واخذوا يرغون ويشدون الاناشيد المسيحية وفيهم الرجال والنساء والاولاد يدعون بصوت واحد بالنصر لخدم الروم

اما جند العرب فكان قائد شرجيل بن حمته كاتب وحي النبي وجمعة عبيدة بن الجراح في اربعة آلاف فارس للفتح بصرى وكان عبيدة قائداً عاماً لجنود المسلمين في الشام ولاء القهادة العامة الخليفة ابو بكر الصديق

فوقعت بين الجيشين عدة وقائع ظهر فيها الرومانيون في بادىء الراي ولم يجب عبدالله لصق الروم لما يعلمه من كثرة عددهم

وفي ذات يوم القم الجيشان فظهر الرومانيون باخذل امر المسلمين حتى كادوا يمدون الى الفرار وعده الله يرانف حركاتهم وحماد الى جانبه واذا بخبار يتصاعد من جهة الافق ويان من تحته جند عرفت من نوع نظامه وشكل اعلامه اجد المسلمين فعلوا انها نجدة جاءتهم ولم يلبثوا ان رأوا في مقدمة ذلك الجند رجل ضخم عريض اللحية طويل القامة تحق فوق رأسه راية سوداء وهو خالد بن الوليد فاستداز المسلمين واعادوا الكثرة فتقهروا الروم حتى دخلوا الاسوار واقتلوا ابواب المدينة فلقى تراجان رومانوس راجعاً فذكره بصيحه ففضض رومانوس لسانه به

فلما علم عبدالله بما تمكن من الثغور بين القائدين خاف سوء العاقبة

وفي صباح اليوم التالي برز خالد يطلب التزل فتزل اليه رومانوس والناس ينظرون اليها وما ياول اليه نزاهتها وبعد براز طويل عاد كل منها الى معسكره فدخل رومانوس بصرى وعلى وجهه ما يدل على تغير في مناصبه وقد فترت همة عن الدفاع فلحظ ذلك فيه الذين يعرفون اخلاقه ولما عبدالله فاجتمع بجناد وقال اني خائف من هذا الرومي فوالله لا يلبث ان يسلم المدينة لاني رأيت من مطاولته في التزل ما يوقع الشهية فيه

فقال حماد ولقد سمعت من بعض اصدقاء تراجان اليوم انه جادل رومانوس

(١) وكانت خدمة الصلاة في سائر كنائس المشرق اذ ذك باليونانية وامانة رجال الحكومة

واعيان المملكة فكانت اللاتينية ولغة الشعب اللغة الوطنية او اليونانية (جيبس)



ووبحة وشمت ، ولما آل أبو خروجه فشق ذلك على رومانوس وتوعدك بغير ينويه له وقال له اذا كنت افرس مني نازلم فاجابه تراجان وشمة وعلا الخصام بينهما وتحزب رجال الروم بعضهم لرومانوس وبعضهم لتراجان وتوعدوا رومانوس بالقتل طامعوه بالخيانة وقالوا له لا رضاك حاكماً علينا وقد ولينا تراجان فسكت ولم يجهم وعلامات الغدر ظاهرة على وجهه ولكنه قال فليزل هو ونرى بطشه

فلما اصبحوا نزل تراجان على جماده بعد تو وسلاحه وطلب المبارزة فخرج اليه فارس علماً من لباسه وكبير جنوده خالد بن الوليد فطال التزال بينهما والجيشان ينظران وكان على رؤوسهم الطير فضى معظم النهار ولم ينل احدهما الآخر بشر فرجع كل منهما الى معسكره<sup>(١)</sup>

فلما رجع تراجان الى المدينة اسرع الناس للناس وسؤالوا عما اتى من عدوه وكان اول من لاقاه رومانوس وقد نظر ابو مسنهزناً ضاحكاً كأنه ينتقم منه لشانهو بو قبلاً فانتهم وعده بأنه مخلوع فقال رومانوس ستري من هو المخلوع منا وتركه وبضى

وكان عبد الله وحامد ينظران الى ما دار بينهما فلما رآيا من رومانوس ماراً ياه وسماهم يدان خافا فقال عبد الله لقد زاد خوفي الآن من مقاصد هذا الرومي فلا اظنه الاً فاعلاً شراً

فقال حماد وما شأنا في ذلك

قال عبد الله انما بعيننا من الامر المحافظة على حياتنا مخافة ان يدخل العرب المدينة فيصيبنا منهم سوء ولا ناقة لنا في الدفاع ولا جمل الانظننا كنا آمن على حياتنا لو اقمنا في دير بجرا

قال حماد وكيف تكون آمن هناك والدير لا حصن فهو ولا جند ونحن الآن في امنع مدن الشام<sup>(٢)</sup>

قال لم اقل ان الدير احصن من بصرى ولكننى علمت ان خليفة هؤلاء المسلمين لما خرج لوداعهم يوم تسيرهم الى الشام اوصاهم بالرهبان والديور خيراً فهم لا يسيثون راهباً ولا يجرئون ديراً

فقال حماد لو ذكرت ذلك لفضلت البقاء في الدبر ولكن المهم قد نفذ ونحن الآن في بصرى وهي في ما تراه من المحصار فما الرأي  
ففكر عبد الله فابلاً ثم قال ان سر المسألة يا سيدي عند رومانوس هذا فلو  
استطعنا استطلاع شيء منه لعلنا طريق النجاة فارى ان اسير اليه الليلة لعل  
انتسم خبراً

قال حسناً تفعل

وقضيا بقية يومها في المنزل وبعد العشاء سار عبد الله الى دار رومانوس وبقي  
حماد وحده ولم يضر الا الليل حتى عاد عبد الله وعلى وجهه ملاح البغنة  
فقال حماد ما وراؤك

قال لا اظن الامر الا عظيماً فاني سألت عن رومانوس في منزله فقبل لي انه  
نائم فلم اصدق انه ينام الآن فخرجت استطلع خبره من بعض الحرس فعلمت انه  
خرج الى حيث لا يعلم احد ويجهل لي انه سار ليدبر مكيكة ويسلم بها المدينة و...  
فقطع حماد عليه الكلام قائلاً اجل اطمنه سيفعل ذلك لان هذا القصد كان  
ظاهراً على وجهه فما الحيلة

قال لا حيلة لنا يا سيدي الا التربص الى الصباح فاذا تحققتا عزمه على ذلك  
دبرنا حيلة نجو بها بانفسنا  
وبانا تلك الليلة على مثل الحجر

وفيما هما نائمان بعد نصف الليل سمعا طارقاً يطرق الباب فهبّا من رقادها  
مذعورين فسألا من الطارق فسمعا صوتاً يقول افتحا اني انا خادمكما سلمان  
فهزول عبد الله للحال ففتح الباب والبيت مظلم فاذا برجل عايد لباس اهل  
الحجاز وفي يده مصباح فبغتاً لمنظره ولكنه ناداهما اني عبدكما سلمان لا تخافا  
ورفع العمامة عن رأسه فبان وعرفاه فصاح به حماد ابن كنت يا سلمان  
وما الخبر

قال جئت من معسكر خالد ولا بليث هو ورجاله ان يستولوا على الاسوار  
فجئت لاعاينكم بالامر لئلا تكونوا على بصيرة وهذا علم من اعلام المسلمين انصبوا على  
باب منزلكم لئلا ينزل من سوفهم اذا دخلوا المدينة

فقال عبد الله بورك فبك انما الصديق الامين فدخلوا جميعاً واوصلوا الباب وسأله حماد ان يقص عليهم الخبر فجلس وهو يلهث من النعم والغبنة وقال اخبركم بالاختصار ان رومانوس صاحب بصرى خرج الى معسكرنا في هذا المساء من مكان في السور مخوفة غلته فاعتنق الاسلام وقال لخالد بن الوليد ارسل معي من تعتمد بتسليم المدينة فارسل معه عبد الرحمن بن ابي بكر ومئة من المسلمين فجئت انا معهم فادخلنا من خرق في السور واخذ الامير عبد الرحمن ورجاله الى قصر ليسانهم ويسير بهم لقتل تراجان وقال انه مناظر له في الحكم وكنت لما جئت مع جيش خالد كما سأخبركم سألت الراهب الشيخ عنكما فاخبرني انكما مقيمان في بصرى وداني على هذا المنزل فمهرولت اليه لاعلمكما بجاية الخبر وانتهت بهذا العلم انصبه فوق الباب حماية لكما وبعد قليل سمعان تكبير المسلمين على اسوار المدينة من كل جهاتها وهي علامة بينهم وبين الجند خارجا فيهم الجميع وتكون مذبة هائلة

فانها على همة فترامى هو على يد حماد فقلها وقال لقد دددت لو تكونون معي في معسكر هؤلاء الحجازيين لترى ما رأينا من شجاعتهم وصبرهم واتحاد كلمتهم واطاعتهم ان خالد وجدده لولم يصلوا بصرى الآن لذهب جند شرحبيل ايدي سبا وارتدوا عن المدينة خاسرين فقد كانوا في شدة وضك لفلته وكثرة الروم

فقال عبد الله وهل خالد وجدده من التمدد العظيم قال ملان وفيهم ايضاً عبد الرحمن بن خليفته ابي بكر وهو الذي جاء معنا لاستلام المدينة وغيره جماعة كبيرة من الامراء والقواد

ولقد رأيت من حربهم وبطولهم في العراق ما سأقصه عليكما ان شاء الله فهم حمادان بمأله عما فعله خالد في العراق فسمعوا الضوضاء والضحج وبين الاصوات صوت التكبير

فقال سلمان ان المسلمين الآن على الاسطار وعما قليل ينفتح اولاد رومانوس ابواب المدينة فيدخلها المسلمون فالبنا هنا لنرى ماذا يكون فالله ان سمعوا ضجيج الناس وبكاء النساء والاطفال فتمزقت الشفقة في قلوبهم وثار الحمية في رؤسهم ولكنهم لا يستطيعون الخروج خوفاً على حياتهم فما طلع النهار الا وقد فتح المسلمون بصرى واعملوا بها الدف ثم سكنت الغوغاء بعد قتل تراجان وتسليم اهل بصرى

فتفتح سلمان الباب وخرجوا الى شرفة من شرفات المنزل بطل على الشارع  
فراوا جنث بعض الفتلى هناك بين ميت ومنارح وقد تلخخت الاثواب بالدماء  
المسلمون قد توغلوا في المدينة وامتلكوها ولكنهم لم يقربوا منزل عبدالله لوجود  
العلم على بابو

وفيا هم في الغرفة ينتظرون ما تنتهي اليو حال بصرى وقد اطمأن بالم سأل  
سلمان حماداً عما تم من امر هند فاخبره بجاية الخبر وكيف شغلتهم الحرب عن الافتران  
وعبدالله يسرع ويخجل حتى انتهى الى عودهم من صرح الغدير بخني حنين وحاول  
حماد اذ ذاك ان يبين لسلمان ان عمه جملة اصاب بذلك وأنه لا يزال على حي  
واعتباره وعبدالله لا يوجب ولا يعترض

اما سلمان فتكدر لهذا التغيير وقال وما هو موعد الافتران يا مولاي

قال حماد لما تنتهي الحرب ويرجع جملة واهله الى البلقاء

قال ومن يعلم متى يكون ذلك

قال الله يعلم

قال اتعلم ابن عم الان

قال اظنهم في البلقاء

قال سلمان لا اظنهم هناك فقد أنبأنا جواسيس العرب ان جملة سار برجالو  
الى اليرموك لصرع جند الروم في حرب المسلمين ولا يلبث جند خالد بعد قليل ان  
يذهب الى هناك لنصرع المسلمين فاذا كان جملة في اليرموك لا اظنهم يترك اهل منزلو  
في البلقاء وفي عرضة اقزوات العرب  
فقال سلمان وما ظنك بو اذا

قال اظنهم يصلحهم الى دمشق ومع ذلك فاني ارى ان اسير مع خالد حتى آتي  
اليرموك وابحث عن جملة واهله واعود اليكم بالخبر اولي اعود اليك برسالة من هند  
قال ذلك وتبسم كأنه يريد ان يعث بمجاد فاجابة حماد بمثل ابتسامه وهو ينظر الى ما  
يبدو من عبدالله فاذا هو في شغل عنهم ينظر من نافذة الغرفة الى الشارع والامام  
ظاهر على وجهه وسما قرعة اللجم وضوضاء الناس فالتفتا الى ما هو ناظر اليو فاول  
ما وقع نظرهما على راية سوداء تحتمها جند من العرب في وسطهم بعض الفرسان وفي

مقدمتهم فارس كبير المجنة عربى اللحية طويل القامة بعيد ما بين المنكبين واسع  
الميكل كبير العمامة واسع العينون كثيف الحاجبين على وجهه اثر الجدي<sup>(١)</sup> وقد ركب  
على جواد أشهب خفيف العضل يتنقل بهذين كالعروس ويكاد الشرر يتطاير من  
حدقته ووراءه فرسان حولهم الأعلام وهم فرحون بما اوتوه من النصر فالتفت سلمان  
الى عبدالله قائلاً اعرفت من هو هذا الفارس يا سيدي  
قال عبدالله قد عرفته من يوم كان في وقعة مؤنة وكنت انا اسيراً عندهم اليس  
هو خالد بن الوليد

قال بلى هو هو بعينى انظر الى هذه القامة وتلك الطلعة ان خالدًا يا مولاي من  
مجهزات خلق الله لم أر ولم اسمع بمنل شجاعته وشدة بطشه فلا غرو اذا سموت سيف الله  
لقد رأيت منه أعمالاً تعجز عن فعلها الابطال في حروبه بالعراق وسمعت من اخباره  
ما تدبسه لمولو الاطفال فقد كان قبل املامه هو المقدم على خيل قريش في الجاهلية فاسلم  
في السنة الثامنة للهجرة مع عمرو بن العاص ولم يزل منذ اسلم بولوى الرسول اعنة التحمل  
في مقدمتها<sup>(٢)</sup> وقد علمت ان في عامته خصلة من شعر النبي يبرك بها . وقد شهد  
وقعة مؤنة بالبقاء وعلى اثر ما اظهره من البسالة هناك ساء الرسول سيف الله<sup>(٣)</sup>  
ثم كان عوناً عظيماً للمسلمين في كل حروبهم حتى تولى ابو بكر فانتهك الى فتح العراق  
كما علمت

فقال عبدالله وما هذه الراية السوداء

قال سلمان هذه راية ذات شأن عظيم عندهم ويقال لها راية العقاب  
فقال حماد لم تخبرنا بما فعله المسلمون في العراق هل فتحوا المداين ودوخوا الفرس  
فقال سلمان لو بقى هناك لفعلى ذلك ولكن خليفتهم استفد منهم لخدمة جند الشام  
ولولا قدوم خالد على بصرى لما استطاع شرحبيل فتحها ففد وصلنا اليهم وهم في شدة  
وجهد وضيق



## الفصل السابع والسبعون

## \* فتح الحيرة \*

فقال حماد اخبرنا يا سلمان عما فتحه خالد من العراق وكيف رأيت حال الفرس  
قال أما خالد فانه من اعظم القواد وخيرتهم وقد لقيناه في الحيرة يوم فتحها وكان  
قبل ذلك قد استولى على بلاد كثيرة بلا حرب لان العراقيين قد ملوا من حكومة الفرس  
وظلمهم وعنوم واحقروهم لاختلال امورهم . فاول مكان وصل اليه خالد بلاد بانقيا  
و باروسا والليس فصالحه اهلها على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى وفي فريضة  
كان يتنصها الفرس عن كل رأس اربعة دراهم . ثم ساروا الى الحيرة وعلمها اياس  
ابن قبيصة كما تعلمون ( قال ذلك وتهد ) فانه تولاهما بعد ما قضى الله من امر  
مولانا رحمه الله ( فتهد حماد وعبدالله وهما صامتان بسمان حديث الحيرة ) فقال  
سلمان لم يكده يصل خالد الحيرة حتى خرج اليه اياس وسائر اشراف حكومتها كأنهم  
كانوا منه على موعد فاستقبلهم كما يستقبل الغالب المغلوب ودعاهم الى الاسلام او  
الجزية او الحرب فاخترنا الى البقاء على النصرانية ودفع الجزية فبلغت جزيتهم ثمانين  
الف درهم وقد اخبرني بعض رجال خالد من يقرأون له القرآن انها اول جزية  
اخضعها المسلمون من الفرس . ثم تحولوا عن الحيرة وحاربوا الفرس في عدة مواضع  
وفازوا في اكثرها وما فازوا فيه وقعة النبي وقعة اليمامة وقعة الليس<sup>(١)</sup> كل ذلك  
قبل وصولي

أما انا فلما دعيتكم سافرت الى الحيرة فوصلتها والناس يفتدون بها ثم من  
صلحها واهلها بين راض بالصلح وناقم على اياس وخصوصا الفرس منهم فقد سمعهم  
يتذمرون وكانوا بذلك كسرى ابرويز وكان يتولى عرش الاكاسرة اذ ذلك وشكوا  
ما كان من ضعف ابن قبيصة فانفذ جندا بقيادة رجل من مرزبة اسمع الازاذه  
لحاربة العرب فوصل اليه وانا في الحيرة وكان خالد قد برحها الى بلاد اخرى فانفس

(١) ابن الاثير

النخ ثم سمع الاذابه بقدموه فخرج اليه وعسكر عند الغريبين وخرجت انا معهم وعلم ان خالداً ورجاله قادمون بالسنن الفرات وارسل ابنة ليفضع الماء عليهم فوقفت السفن على اليبس فتركها خالد وخرج برجاله على الخيل حتى قبل ابن الاذابه وتقدم خالد نحو الحيرة

ومن غريب الاتفاق اننا بينما نحن في الغريبين وصل ساعي البريد من المدائن يحمل كتاباً الى المرزبان فلم يكذبته وقرأ ما به الا وقد تغير لونه واستولى عليه الجزع فخاف كل من رآه ولم نعلم ما دعاه الى ذلك الا في اليوم التالي اذ شاع في المعسكر ان كسرى ابرويز قد مات فوقع الاضطراب في الجند وانقلب الاذابه واضطرب ثم جاءه الخبر بقتل ابيو وتقدم العرب نحوه فتهقروا نحو الحيرة وعسكر العرب عند الغريبين أما انا فمما رأيت اختلال احوال النرس قلت في نفسي لقد آن الوقت الذي فيه استطع القيام بالمهمة التي جئت لأجلها فخرجت من الحيرة في ليلة ليلاء حتى اتيت معسكر العرب فالتفت الامان وان ارى الامير خالداً فاخذوني في اليوم فطلبت الخلوة به فخلونا فقلت اعلم ايها الامير ان حال النرس في اختلال لموت ملكهم وانقسامهم فيما بينهم فقد صالحك ابن قبيصة وهو على صلحك مع سائر العرب واما النرس فهم في شغل عن الحرب بارتباك داخلينهم واطاعته على خنايا كنت عالماً بها فصر في كثير من اثنائي علي فقلت في نفسي هذه فرصة اغتصبها لحظ ما مولاي هناك من الاموال والعقار وكنت قد تفقدت المزارع فرأيت الجميع في انتظار عود الامير عبدالله فطبيت خاطرهم وقلت لهم اني انما اتيت الحيرة لتفقد حالهم واوصيتهم بالمعابة في استغلال الارض فلما اتيت من خالد ارتياحاً الى خدمتي التفتت منه حماية تلك المزارع فوعدني وقبل هبهم على الحيرة اخذت علماً مثل الذي نصبته على هذا البيت ونصبته هناك وبعد قليل هم المسلمون على المدينة فتفخروا فطلعت في مية خالد حينما ذهب

ويسرني ان اخبركم بان سقوط الحيرة كاد ينفضي على دولة النرس كلها لان الدهاقين وهم ولاة النرس كانوا ينتظرون ما يكون من حرب الحيرة فلما علموا بسقوطها وهنت عزائمهم فجاؤا وصاحوه وسلموا اليه فاخذ الجزية منهم وكتب الى اهل فارس يدعهم الى الاسلام ويهددهم بالقتال فلم يكن يرضونهم لانهم قادمين زرافات ووجداً وخصوصاً عرب العراق وهم النصارى وبعد قليل سار خالد وانا

معه ففتح الانبار ثم عين النمر وغيرهما وقد لحظت منه انه لم يتجراً على المحير الى المدائن  
فمل الاسعداد الكافي

وفيا هو في ذلك ورد عليه كتاب من الخليفة ابي بكر يأمُر بالذهاب الى الشام  
لنصرة جند العرب على فتحها فجنبت اما معه حتى اتينا بصرى وهي محاصرة وانا لا اعلم  
متركما فخطرت لي ان اسأل راهبنا الشيخ فاخبرني بمقامكما هنا فتربصت حتى تم الفتح  
كما قدمت

وكان عبدالله وحماد صامتين بصغيان لما يقصه عليهما سلمان فلما انتهى الى هناك  
قال حماد وما ظنك بتمه فتح العراق فان خالد لم يفتح منها شيئاً كثيراً والمدائن لا  
تزال على ما هي والفرس لا يزالون حاكمين

قال رويديك يا سيدي ان العرب لا يلبثون ان يعيدوا الكوفة واطنهما تكون  
الفاضية وخالد لم يأت بصرى الا مدداً لجند الغمام فطلب نفياً ان الله سينم انتقامه  
من اولئك الغمام

فقال عبدالله وما العمل الآن

قال سلمان ارى يا سيدي ان ابقى اما مع خالد كما كنت فاسير معه الى اليرموك فند  
سمعت ان العرب معسكرون هناك يتوقعون قتالاً شديداً وسيسير خالد لجندهم  
فقال حماد وابن اليرموك

قال هي على مفرقة منا غرباً على نهر يقال انه نهر اليرموك يصب في نهر الاردن  
وقد عسكر العرب عند مائه

فتنهده حماد وفي نفوسهم يكتنه

فادرك سلمان انه يفكر بهند وجيلة فقال ولا بد من ان يكون جيلة مع جند الروم  
اذا جاء اليرموك فلا اعدم وسيلة استطلاع بها مفرهند فابعث اليكم بجيهرها  
فقال حماد الا ترى ان نسور جميعاً مع خالد

قال سلمان لا ارى حاجة الى ذلك بعد ان اوعز اليك جيلة بالاقامة هنا رغماً  
يبعث اليكم فلعله ان يفعل ذلك وانم بعيدون عنها فتتوت الفرصة واما اذا سرت انا  
وبقيتما انتما هنا فنكون قد امسكنا الحبل من الطرفين

اما عبدالله فظل صامئاً وحماد ينظر اليه فادرك انه غير راضٍ عن كلام حماد



فقال ما رأيك يا والداه

فقال عبدالله الرأي رأيك يا سيدي ولكنني ارى جبلة واهل منزلولا بينهم شيء من امرنا اقمنا في بصرى ام رحلنا عنها بذلك على ذلك سكونهم عنا وقد اصاب بصرى ما اصابها من الحرب ولولا ذلك لبعثوا لينتقدونا

فقال حماد ولا نظنهم علموا بما آلت اليه حالتنا وهب انهم علموا فكيف يستطيعون الوصول اليها والمدينة محاطة بالعدو . فلما رأى حماداً بدائع عن جبلة قال لعل لم عذراً وسكت

ثم خرج سلمان الى معسكر خالد ليرى ما تمّ عليه الامر فرأى العرب قد ولوا رومانوس بصرى<sup>(١)</sup> واخذوا يستعدون للمسير فعاد فاخبر عبدالله وحماداً بذلك وهم يودعها فقال له حماد لا ارى ان اوصيك بانقاذ خبر جبلة اليها على عجل واطلاعتها على ما تمّ لاهل بيتي وابنيهم

قال سمعاً وطاعة وسيأتيك الخبر سريعاً ثم ردها وخرج ولم يكن سلمان اقل من حماد قلماً على هند وقد شارك عبدالله في ارتياح من جبلة فعول على استطلاع كيد الامر وانقاذ ذلك الى سيك وفي اليوم التالي اقلع خالد وشرحيل وجنداهما الى اليرموك

## الفصل الثامن والسبعون

### ❖ وقعة اليرموك ❖

ولما تكامل جمع المسلمين في اليرموك بلغ عددهم ٢٦ ألفاً منهم تسعة آلاف بقيادة خالد فبهم ألف من الصحابة من جملتهم مئة من شهدوا وقعة بدر الكبرى<sup>(٢)</sup> ومن قوادهم ابو عبيدة بن الجراح وعمر بن العاص وشرحيل وابو سفيان بن حرب وكانت الحرب بينهم وبين الروم قبل قدوم خالد تسانداً اي كل امير على اصحابه لايجمعهم احد<sup>(٣)</sup> وكان ابو بكر قد ولي خالداً القيادة العامة على جند الشام كافة والناس بحسبون

ابا عبيدة بن الجراح اولى منه بتلك القهادة فوقع بين المسلمين اختلاف من هذا القبيل فلما جاءهم خالد حاول جمع كلمتهم وقد ادرك ما في نفوس بعضهم فوقف في الجاهل وقد اجتمع الامراء حوله وقال « ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا الذي اخلاصا جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعد ولا نقانلق قوما على نظام وتعبية وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان من ورائكم لو يعلم ذلكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما تؤمرون به بالذي ترون انه رأي من واليكم ومحبة » قالوا « مات فما الرأي » قال ان ابا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنبتاسر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين ما قد غشبهم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا يتنقص منه ان دان من الامراء ولا يزيد عليه ان دانوا له . ان تأمروا بعضهم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد يهملوا وان هذا يوم له ما بعد ان رد دنائهم الى خندقهم اليوم لم تنزل نردم وان هزمونا لم نفلح بعدها فلهلموا فلتتعاور الامارة فليكن بعضنا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني انا امر اليوم » فامروهم وهم يرون انها كخرجاتهم وان الامر لا يطول <sup>(١)</sup>

فعجب سلمان الجمارة خالد وحزمه ولكنه اخذ منه وصوله بجاول الخروج الى معسكر الروم ليرى جيلة او يسمع خبرا عن منه فصعد الى ربيعة على ضفة ذلك النهر ونظر الى معسكر الروم فرآه قد ملأ الفضاء وفيه الرايات والصلبان فامعن نظره فيه فرأى معسكر الفسانيين منفصلا الى جانب وشاهد راية جيلة وفسطاطة في وسطه فحدثته نفسه ان يسير اليه ولكنه خاف ان يستغشاه المسلمون اذا رأوه فوقعوا به شررا فرأى ان يذهب اليهم بجيلة الجاسوسة فعول على ان يخاطب خالدا في ذلك فسار الى فسطاطه فرأى الامراء تتزاحم فيه وقد اجتمعوا للمناوضة في امر الحرب فهاب الدخول مخافة ان يسمع انتهارا فصبر حتى ارضى الجميع وبقي خالد وحده فالتبس الدخول عليه فاذن له فدخل وقبل بده فقال خالد ما خبرك قال هل يا ذن لي . ولاي بكلمة اعل فيها نفعاً

قال قل

قال هل بعثتم من يستطلع اخبار العدو ويسبق قواتهم وموافعهم وعدد جندهم

قال لقد فعلنا ولكنني ارى انك اجدتهم بذلك

قال اني عبد مطيع فاذا رأيت ان اسير في الامر فعلت

قال سر وافعل

فقبل بئس وخرج فتزبنا بزي الغسانيين وسار حتى اختلط بالغسانية فالتقى بأناس عرفهم في البلقاء فظنوه كان معهم من ذي قبل فاستطلعهم خبر هند فعلم انها مع والدتها في دمشق ثم استخبر عن قوات الروم فعلم اهتم في كثرة وفيهم عشرون راية بعضهم لاهل الدولة وبعضها للجنادات من الارون<sup>(١)</sup> والسريان والمصريين وان جملة الجند ٢٤٠ ألفاً ما عدا العرب المنتصر من الغساسنة وغيرهم<sup>(٢)</sup> فوعت في نفسه من ذلك رهبة وخاف انتصار الروم وتردد في الرجوع الى خالد ولكنه قال في نفسه اذهب الآن الى المسلمين فاذا رأيت فيهم تضعفاً فررت الى الغساسنة

فلما سدل الليل نقابة عاد الى معسكر المسلمين واطاع خالماً على حال الروم

فقال خالد لا يهنا امر كثيرتهم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله

فقال سلمان ليست القوة في الكثرة يا مولاي ولكنها في الانجاد فقد علمت ان

هؤلاء الجند منقسمون فيما بينهم لا فئلاف اغراضهم ومشاربهم ثم ودعه وخرج

وهو يفكر في طريقة بوصل بها خبر هند الى حماد

فلما اصبح الصباح سمع التكبير والاذان في معسكر المسلمين وقد قام الناس وقعدوا

واخذوا يتأهبون للقتال فوقف ينظر الى كثرة نظامهم فرأى خالد قد وقف في وسط

الامراء وامران تظم الجيوش كراديس فقسم الجند ٢٦ كردوساً وجعل قلب الجند

كراديس واقام فيه ابا عبيدة وجعل المينة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل

ابن حسنة وجعل الميمنة كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجعل على كل كردوس

رجلاً من الشجعان وفيما خالد يعي الجند على هذه الصورة سمع بعضهم يقول ما اكثر

الروم واقل المسلمين فقال خالد بل قل ما اقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود

بالصبر وتقل بالخذلان فوالله لو ددت ان الاشقر ( يعني فرسه ) يراى من توجهه

وأهم اضعفوا في العدد وكان الأشقر قد حفي في مميم. ثم امر ان يبدأ بالقتال فحاذر سلمان ان تصيبه نيلة فتنفي وهو خائف ان تعود العائلة على المسلمين لقتلهم وكثرة الروم فوقف في معطف يؤدي الى جند الغساسنة فرأى على مقربة منه رجلاً من جند المسلمين وثوقاً فتألمهم فرأى بينهم ابا سفيان وكان قد عرفه في بعض اسفاره مع سيد عبد الله الى انجاز فتذكر ما كان من حديثه في بيت المقدس وكان قد رآه يوم اعتناقهم الاسلام عند فتح مكة فاستغرب وقوفه هناك والحرب منقضية فدنا منه وأبو سفيان لا يراه فسمعته يخاطب رفقاءه فيقول « يا مشيخة قريش ومهاجري النج (وم الذين هاجروا يوم فتح مكة واسلموا) لا يهتبا من هذه الحرب الا الانجاز الى الغالب فاذا غلبت الروم كما معهم واذا انتصر المسلمون فاننا معهم » فحجب سلمان لكلامه وعلم انه اذا اسلم خرقاً على حياته لا رغبة في الاسلام ولكنه ظل في ريب من هذا الامر فصاح بسمعه لما يقربه بعد ذلك فرآه اذا تهيأت العرب وتقدم الروم قال « ايه يا بني الاصفر » (يعني الروم) واذا مالت الروم وتقدمت العرب قال « وحب بني الاصفر »<sup>(١)</sup> ولم يكذبوا سفيان يتم كلامه حتى صاح باعلى صوته آه فنظروا واذا بنيلة احصبت احدى عينيها فقفاها فقال سلمان في نفسه لقد قال هذا الرجل جزاءه. وخاف سلمان البقاء هناك ثلثا يصاب بنيلة فصار الى ناحية اخرى والحرب قد حسي وطيسها فرأى بريداً قادماً من جهة البلقاء فعرف صاحبة وكان قد عرفه في انجاز فعلم انه بريداً قادم من المدينة فحذر جديد فمفرس سلمان في صاحب البريد فرآه مسرعاً وعلي وجهه امارات البغية فتأداه فوقف فقال سلمان هل تريد الامير خالداً قال نعم ابن موقال في المعركة ولحي اوصالك الى فسطاطه فصارا معاً وعينا صاحب البريد على الجند وحركا تو فلما رأى جند العرب ظافراً لم يتمالك ان قال « ألم يكن مقدوراً لابي بكر ان يسمع بخبر هذا النصر قبل موتو » فقال سلمان وهل مات ابو بكر

قال نعم لقد مات ولنا انما جئت بخبر

فقال سلمان ومن تولى بعد

قال تولى الامام عمر بن الخطاب وهو رجل ذو بطش وقوة وحزم

فبغت سلمان لذلك الخبر وقال الا نظن وفاته توثر شيئاً في مجرى الاحوال  
قال كلاً ولكن عمر يفضل ابا عبيدة على خالد وقد اتفدني بعزل خالد عن قيادة  
هذا الجند ونولية ابي عبيدة على انني لا ارى ان ابلغهم الخبر قبل انقضاء الواقعة لئلا  
ينفعلوا ويختلفوا فيما بينهم . فقال سلمان حسناً تفعل فقل لي ما الذي حمل الخليفة  
عمر على نقل القيادة الى ابي عبيدة الملاء اشجع من خالد  
قال كلاً ولكن ابا عبيدة رجل كرم الاخلاق لهن سهل حلیم رؤوف وهو اقدم  
في الاسلام من خالد والقيادة تحتاج الى حكمة وتأن اكثر من حاجتها الى الشجاعة  
قال سلمان نعم ولكنني علمت ان النبي سمى خالداً « سيف الله » أفليس هو  
احق بالقيادة . قال ولكنه ( صام ) سى ابا عبيدة « امين الامة » وكان يحب صحبة  
والانصاق به <sup>(١)</sup> والحق يقال ان كليهما فرد ولكن للخليفة رأياً في ذلك فانه ساخط  
على خالد بسبب حكاية وقعت منه في ايام ابي بكر  
فقال سلمان هلم بنا نجلس في ما من ريثا تنقضي الحرب لانهم اذا رأوك لا ينفكون  
عن موالك حتى تغربهم يموت ابي بكر وعزل خالد  
فاستحسن صاحب البريد الرأي وعرج مع سلمان الى شجرة زاربا وراء جذعها  
فاخذ سلمان يستفهمه عن كيفية موت ابي بكر وولاية عمر  
فقال صاحب البريد لما احس مولانا الخليفة ابو بكر بدنو الاجل واسفاه عليه  
دعا كاتبة عثمان بن عفان وقال له اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر  
بن ابي قحافة الى المسلمين اما بعد . . . » ثم اغي عليه وكان عثمان وسائر الصحابة لا  
يرون احق في هذه الخلافة من عمر بن الخطاب لاشتهاره بالعدل والحزم فانتم  
الوصاية عثمان من عهد نفسه فكتب « اما بعد فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب  
ولم آلكم خيراً » ثم افاق ابو بكر من غشبه فقال لعثمان اقرأ فقرأ ما كتبه فكبر ابو  
بكر وقال « اراك خفت ان يخاف الناس ان يموت في غشبه هه » قال « نعم »  
قال « جزاك الله خيراً عن الاسلام واملو » ثم قرأ هذا العهد على الناس ولما قضى  
ابو بكر بايعه عمر وهو الآن خليفة خليفة رسول الله وقد سموه امير المؤمنين مخلفاً  
من تكرار انظ خليفة لمن يتولى الخلافة بعد

وفيها في الحديث واعينها شائعة نحو المعركة رأيا جند الروم قد تتهفروا وعبر  
العرب خندقهم واستولوا على اسلحتهم وفرّ الروم ومن نصرهم من العرب المصرة وغيرهم  
ونعم النصر للمسلمين ولم يمسّ إلا القليل حتى عاد المسلمون بالغنائم من الاثاث والحلى  
والاسلحة وغيرها . فمضى سلمان وصاحبه نحو فسطاط خالد فرأياه عاتداً وحوله الامراء  
على غير نظام لما دار بينهم من احاديث النصر

فحالما وقع نظر خالد على صاحب البريد عرفت فبعث اليه فتيحة الى انفسطاط  
فاذن بدخوله فدخل وانبا خالداً بموت ابي بكر وخلافة عمر وعزل وولاية ابي عبيدة  
فاوصاه خالد بكتمان الخبر عن كل انسان <sup>(١)</sup>

اما سلمان فانه عاد الى مشاغلو بامر هند وشق عليه انهزام جيله وخاف ان يكون  
قد قتل ثم علم ببقائه حياً قال بكتبتو للدهاب اني حماد بطلمة على ما علمه عن هند  
ولكنه اراد استطلاع نية المسلمين ووجهه مديهم قبل ذهابه وقضى اياماً يبحث عن  
ذلك فعلم انهم عازمون على دمشق فخاف على هند لعلوا انها فيها وودّ لو يعلم ابن  
والدها وما هو عازم عليه بعد شقوص العرب الى الشام فعول على استطلاع ذلك من  
جيلة وقد علم بانهم زامو فخرج من معسكر العرب يبحث عن جهة مديهم فقبل له انه سار  
في جملة منزهي الروم الى حمص والامبراطور هرقل فيها فنصد حمص

## الفصل التاسع والسبعون

### \* خبر مفاجئ \*

تركنا حماداً وعبدالله في بصرى ينتظران عود سلمان بخبر اليرموك ومقام هند .  
وحامد كثير الفتى لا يرتاح له بال على هند وقد حدثته نعمة بفرّ اصابتها او بفشل  
ينهدده على اثر ما فاساه في سبيل الحصول عليها من الاسفار والاختطار ونهباً له انها  
خرجت من يد ذميت مفاعيو كلها ادراج الرياح فعظم عليه الامر فأنس في نفسه

(١) ابن الاثير وابن خلدون

مبلاً الى المسير اليها واستطلاع ما في نفسها من قبله ولكنه لم يكن يعرف مقرها فلبث ينتظر رجوع سلمان بالخبر اليقين  
وكان يتلاهي بالخروج الصيد ونحوه وهو لا يهدأ له بال وادرك عبدالله في ذلك وهو يتجامل و ينتظران بفرحا من هند ويلبس العدول عنها من تلقاء نفسه وقد فاته قول القائل

واذا تألفت القلوب على الهوى \* فالناس تضرب في حديد بارد  
فكان بصاحبه الى الصيد ويكثر من محادثته في شؤون مختلفة الا مسألة هند فانه لم يكن ينفعها قط . ولم تض ايام حتى سمعا بانهمزام الروم في الهرموك فصارا يتوقعان سرعة رجوع سلمان

ففي ذات يوم نهض حماد صباحاً واخذ يتأهب للخروج الى الصيد وفيما هو يفتش بين اشل و ملاحه عثر على السرع التي البسته اياما هند يوم المباح ولم يكده ينظر اليها حتى اخذت قلبه لما مر في ذاكرته من حوادث الحب فعمم عليه احباسة في بصرى لا يعلم مفر حبيته مع ما ظهر له من جناء والدها وفنور والد ( عبدالله ) وما قام من الحروب مما زاد الامر اشكالا . فوقف برهة ينظر الى الدرع ويقلمها بين يديه وهو غارق في بحار الهلجس حتى غلب عليه اليأس وكادت الدموع لتناثر من عينيه وكان عبدالله غافلاً او متغافلاً عن ذلك وقد خرج لنضاء حاجة له وترك حماداً في الغرفة وحده

فلم يكده حماد يحلو بنفسه حتى سمع صهيل جواد غير جواد وغير جواد عبدالله فانبه بغنة واطل من النافذة فاذا برأكب ترجل ودنا من الباب وهو في ريب من امر اهله فامعن حماد نظره فيوه فلم يعرفه فلما فاه الرجل بالباب وقال هل هنا منزل الامير عبدالله العراقي

قال حماد نعم هو هنا

قال وابن ابنة الامير حماد

قال هو انا ماذا تريد

قال ان بعض الناس في حاجة اليك ينتظرونك في دير مجبرا

فلما سمع حماد ذكر الدير خفق قلبه وانهش بقدم القادم فقال للرسول اني سائر

الى هناك على عجل فودعه وركب وعاد حالاً  
فاصرع حماد في لباسه قبل ان يأتي عبدالله ولكنه لم يكذب يخرج حتى لقبه عبدالله  
فاستغرب ركوبه قبله فاعنذر بانه بود الخروج لزيارة الدبر وحده فاذعن له وهو في  
ريب من الامر

فهمز حماد جواده ولم ينف الا امام باب الدبر فرأى هناك فرساً عرف انه من  
افراس اهل صرح الغدير فاستبشر ودخل الدبر بطاول بعنفه وبحق بعينه فرأى  
امراً عرفها لاول وهلة انها من خادمت همد وهي التي حملت اليه الرسالة الاولى  
قبل ذهابه الى بصرى

حنيفة وهمت بتقبل بك فرد السلام واسان حاله يقول قولني ما خبرك . فحشت  
امامة الى غرفة هناك فبعها فلما وصلا الغرفة مدت يدها الى انيابها واستخرجت مندبلاً  
دفعته اليه وهي تقول ان هديتي هداً تعلم عليك وقد ارسلت اليك هذا المندبل .  
فقلب المندبل بين يديه فاذا فهو كتابة كتهت بالدم بالاحرف النبطية وهي قولها  
« لم نكد نفرح بنجاتنا من ذلك الثعلب حتى عاد الى مصاحبة والذي وعاد الى مطالبه  
الاول وانت تعلم ان الموت امون مراً علي من ذلك فادركني فل فطأت الفرصة  
فاني مقبلة في دمشق ولعل حامل كتابي ان يذكرك ايضاً » فلم يفرغ من  
قراءة هذه الكلمات حتى ارتدت فرائضه والتفت الى المرأة بمطلة الخبر فقالت ان  
مولاتي همداً مقبلة في دمشق في منزل قرب كيسة مريم وقد بعثني بهذا الكتاب  
واوصني بان اسلمه اليك يداً بيد في هذا الدبر فبعثت الرجل حتى اتى بك من  
بصرى وهذا هو الكتاب

قال نعم قد قرأته ولكنني لم افهم حنيقة المراد فهل تعلية الآن في دمشق

قالت كلاً بل هو مع سيدي جبلة في جد الروم بمحبص

قال وما الذي جمعه بالامير جبلة وقد كنت اعلم انها متجاسان

قالت نعم انها كانا متجاسمين ولكنها تصافيا بعد انكسار جنودها في واقعة اليرموك

فقال حماد وكذلك يتصافى العدوي ان اذا اصيبا بسوء معاً وماذا جرى بعد ذلك

قالت وكنا متيمين في دمشق مع سيدي همد والدتها وسائر الهاشية كما ذكرت

لك فلم ندر الا وكتاب وارد من سيدي الامير جبلة الى سيدي الاميرة سعادتي يندبها



بقرب قدومو مع ثعلبة الى الشام لعقد اقتراحو على هند في اثناء مهادنة العرب فلم تنالك  
سيدي عند تلاوة الكتاب عن ان تخبر هنداً بو فاسرت سيدي هند الي واقعة الحال  
وبعثني في هذه المهمة وواوصني ان التي اليك الامر كما وقع لتدبر في انقاذها فانها  
تنفل الموت على الاقتران بو

فلما سمع حماد ذلك الحديث ثارت الحمية في رأسه وانقذت نيران الغيرة  
في قلوب وودّ لو ان له اخنوخ ليطير الى دمشق حالاً ولكنه لبث برهة يفكر ثم قال  
للرأة وابن ثعلبة الآن

فالت هو مع سيدي جبلة بجوار حصص ولكنني اضنه افلح فاصداً دمشق  
فازداد قلقاً واخذ يحظر في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم قال لها ارجعي الى سيدتك  
واخبريها اني قادم اليها على عجل وربما وصلت دمشق قبلك  
فالت وماذا يؤكد لها اني اتيك وقصصت عليك الخبر ألا تذكر لها علامة  
تبين لما ذلك

ففكر قليلاً ثم قال قولي لما ان صاحب البرد والخاتم قادم اليك وهذا ياتي  
فودعته وركبت وركب الخادم ورجعا  
اما هو فوقف يفكر في حاله مع عبد الله وتردد بين ان يعود الى مصر فيجوز  
بجيلة الخبر او ان يسير تنقياً الى دمشق فليتب به في حيرة حتى خاف ان تنوء الفرصة  
فذهب الى غرفة الراهب الشيخ فاذا هو متكئ في عجاة فرحبه بو وسأله عن امره فقال  
لقد جئت بك بوصية ارجو ان تبلغها الى الامير عبد الله  
قال وما ذلك

قال اذا اتيت قل له اني سرت الى دمشق لامر هام وساعدوه اليه فاذا استبطأ في  
فلهدركني هناك

قال سافعل ذلك ان شاء الله  
ودّعه حماد وخرج على جواده فاصداً دمشق



## الفصل الثامن

## \* هند في دمشق \*

فلنترك حماداً سائفاً فرسه الى دمشق ولنذكر ما تمّ له بعد سفرها من صرح الغدير فقد تركها بعد وداع حماد حائرة متقبضة النفس وقد خافت ذهاب آمالها ادراج الرياح لما آمنت من جفاء والدها على اثر ما سمعته عن نسب حماد . فلم يكده ينطاري حماد عن عينيها حتى احسبت بانغلاخ قلبها فانزوت في غرفتها وعادت الى البكاء وكان والدها في شغل بأمر اهل النصر بالاستعداد للمسير في صباح الغد فجاءت سعادى الى غرفة هند وقد ادركت حالها وتوقعت بكاءها فأخذت تطيب قلبها وتوحيها بالوعد وهند لا تزداد الا بكاء فقالت سعادى لا يفيدنا البكاء يا ولدها وإنما نحن في موقف حرج لا بد لنا فيه من الحكمة فاصبري وتبصري عسى ان تكون العاقبة خيراً

فتنهدت هند وصاحت بها « دعيني يا امه لقد كفاني ما قامته من انواع الشقاء وما سمعته من الوعد فقد كان عذركم في رفضو جهلكم نعمة ثم قبلتوه على غيوض نسو فما بالكم وقد علمتم بشرى اصابو تترددون اليس ذلك لسوء حظي وللشفاء الذي كتبه الله عليّ » قالت ذلك واوغلت في البكاء فبكّت سعادى لبكاها ولكنها تجادت وطببت خاطرها وقالت لها اسكني لئلا يسمع والدك صوت البكاء فيزيد الخرق اتساعاً اما انا فاني ضامنة لك ما تريد فان حماداً لك وانت له فلا تجزعي واخذت تخفف عنها حتى سكن روعها ومسحت آمانها ولبثت صامئة وقد ذبلت عنهاها وتعمكتا وتكمرت اهدابها واخذت تراجع في ذاكرتها ما مرّ بها من الاطال بسبب الحب وكيف كانت قبل ذلك المباح خالية الذهن ساذجة لا تعرف مناعب الهوى وكانت تتعزى بها ترجوه من لفتها الحبيب ولكنها تذكرت انه خرج من الصرح متقبض النفس منكمر القلب فكشبت اليه ذلك الكتاب الى دير بجهراء تلتبس صبر

وفي اليوم التالي سافر اهل الصرح جميعاً الى البلقاء فاقاموا هناك الا جيلة فانة سار الى الامبراطور هرقل في حصن فامس باعداد الرجال من غسان وغيرهم وكان

ثعلبة قد ضعف امره واهله جيلة لما قام بينها من الضغائن بعد وفاة الحارث ولكنه اصبح بعد ما عرفت عن نسب حماد مبالاً الى مضافة ثعلبة لعله يتزوج هنذا فينجي ملكة من الخروج الى المناذرة . فلما احتاج الى الرجال من غسان اضطر الى استئجار ثعلبة فكسب اليه فجاءه برجاله وانضم الى رجال جيلة وما على ظاهر النور ثم علم جيلة بقدم المسلمين الى اليرموك وبصرى فخاف على اهلها في البلقاء فاستقدمهم الى دمشق واسكنهم بيتاً مع نساء بعض اصديقاته من رجال الروم هناك بنرب كنيسة مريم . واشتغل هو في حرب اليرموك وغيرها فلما قضى على جنده بالانهزام في وقعة اليرموك شعر بزيادة الميل الى مضافة ابن عمه ثعلبة وذلك طبعي في جسم العراني بل هو جاري في سائر انواع الحيوان فاذا رأيت ديوكاً في منزلك لتخاصم وتضارب وقد عمر عليك مضافتها اجمعها في قفص وامنع الطعام والماء عنها فلا تلبث ان تراها قد اصطحبت ونصافت . كذلك الناس فانهم لا يزالون في خصام وتناحر حتى يصيبهم . ولا يفترقون جميعاً في مصيبة واحدة فتراهم قد تألفت قلوبهم واغضط عن العداوة . فلما اصيب الفساسنة في اليرموك اجتمع جيلة وثعلبة للنظر في احوال المجد وكان ثعلبة قد ذاق مرارة الجفاء وصغرت نفسه فلما رأى من ابن عمه مؤانسة وتقرباً زاده رقة وامتناساً فاجتمع قلوبها . ولم تطل المضافة قبل ان جرئتها الى حديث الاقتران فتعانتا وتذاكبا لما مر من الجفاء بينهما فاعندركل منهما عذاراً انقلها لفرسه وكان ثعلبة اكثرهما مروراً بذلك لانه اصبح بعد موت والده ضعيفاً مريضاً . وقد علم انه اذا تزوج هنذا كان الحارث الوحيد لرئاسة غسان جميعاً وكان قد درس اخلاق عمه جيلة وعرف احوال قلبه فتظاهرها ينطبق على نياتو حتى حجب اليه مصاهرته ووعده بهد

اما جيلة فانما حمله على مصاهرة ثعلبة استئفاء الحكومة في بني غسان وانقاذها من المناذرة ولولا ذلك لما رأى في ثعلبة ما يقرب منه او يفضل به حماداً فلما تحقق ثعلبة رضا عمه سألته عن يوم الاقتران فقال جيلة اري ان يكون بعد انقضاء الحروب بيننا وبين المسلمين

فقال ثعلبة ولكن تلك المدة لا حد لها يعرف وما ادرانا متى تنتهي وكيف يرتاح بالناس واهل البيت مقيمون في دمشق ونحن لا نستقر على حال فاذا رأى عي ان نستعمل الاقتران كان ذلك اقرب الى جمع الشمل

فاجابه جيلة الى مرأوه وكانا يجوار حص بعد وقعة اليرموك فكاتب جيلة الى سعدى بنيتها نتيجة ما دار بينه وبين ثعلبة وبين الوجه الذي حمله على اختياره دون حماد فقال « وفي زواج هند بعلبة نعتني الملك في العساسة ومخلصة من خطر الوقوع بين ايدي المناذرة » ووصاها بالذهاب لعقد الاقتران قريباً ولم تتم سعدى قراءة ذلك الخبر حتى تناثرت الدموع من عينيها لما تخشعاً على هند اذا علمت بما نواه والدها واعادت تلاوة الكتاب بتمعن فادركت سبب تغرر زوجها على حماد وندمت على ما فرط منها من اطلاقه على حقيقة نسب حماد وشمرت انها في السبب في كل هذه المتاعب فرأت انها مطالبة شرعاً بانقاذ ابنتها من مخالب ثعلبة فضلاً عما في نفسها من الاحقارلة فاخذت تفكر في طريقة نصل بها الى ذلك والوقت ضيق لا بأذن بالصبر والثوادة وكانت هند تلاحظ فيها ارباباً كما ونساء ما عن السبب فتتجاهل وما زالت سعدى في مثل ذلك يومين كاملين حتى خافت فهاضت الفرصة فرأت اخيراً ان تستقدم حماداً على عجل وهند لا تعلم فاذا حضر شاورته في الامر . فكاتب الى حماد الكتاب الذي تقدم ذكره بجبر من الدم استغنائاً له على القدوم وبعثت الكتاب مع خادمة يعرفها حماد كما تقدم

## الفصل الحادي والثمانون

### \* حصار دمشق \*

ولم ينهار حماد عن بصرى حتى ادرك صعوبة المسير الى الشام وحده وهو لم يترك تلك البلاد الا قليلاً . واقرب الطرق بين هاتين المدينتين تمر في حوران والحما وكلا الصغين وعمر خطر وهناك طرق اخرى تختلف بعداً ووعورة فلم ير له بداً من اصطحاب الدليل فاختر دليلاً من سكان بصرى فمارشلاً يقطع الجبال والودية والسهول والغابات لا ينال الا قليلاً ولكنه ناه من فاضاع يوماً كاملاً حتى اهتدى الى الطريق فبعد بضعة ايام اشرف صباحاً على غوطة عظيمة وقد استقبلها بوجهها والشمس من ورائها فظهرت له ظهوراً واضحاً فاذا في مسانين واسعة الاطراف فيها الاغراس

المشمس والرمان واللوز والبرتقان والخوخ والعنبر والكرم وسائر اصناف الفاكهة تجري بينها الانهار وتناغي فوقها الاطيار وظهراؤه من وراء تلك القوطة ابنة تطارت وراء الغبار فوقف بنظر الى ما حوله وقد تعجب جواده فسأل دليلاً عن تلك الابنة وهذه الغبطان فقال انك يا مولاي في شوطة دمشق المشهورة بغضاها وبساتينها وبهاها وما تلك الابنة التي تنبدي لك من وراء القوطة الا دمشق النخياء مقر والي الروم فقال حماد وما هذا الغبار الذي يكاد يحجب المدينة عنا

قال لا ادري ما هو ولعله غبار جنود الروم وقد خرجوا للمبايع او هو غبار جنود المسلمين فقد بلغني بالامس من بعض القادمين من جهات الرومك ان المسلمين لما غلبوا الروم هناك عزموا على دمشق ولا يبعد انهم جازوها وحاصروها

فاستعاذ حماد بالله وخاف ان يكون كلام الدليل صواباً فيمتنع عليه الدخول الى المدينة وربما وقع بين ايدي المسلمين ابراً ولا بدري ما ينجم منهم فنذكر سلمان لاحتياجه اليه في تلك المحال وتدم لهجته منفرداً ولم ير له ديو من دمشق ويعتمد عليه غير ذلك الدليل وكان الدليل شاباً من عرب القساسة المتبين في بصرى في العشرين من عمره يتكلم العربية واليونانية فقال له حماد اتعرف دمشق وهل دخلتها قبل الآن قال اعرفها جيداً وقد اتمت فيها اياماً وكثيراً ما جئتها مع والدي لوفاء

النذور او الصلاة في كنيسة ماري يوحنا المهدان

فقال حماد وهل تعرف كنيسة مريم

قال نعم اعرفها فانها في شارع مستقيم طويل يقطع المدينة من طرفها الغربي الى الطرف الغربي اي من الباب الغربي الذي يستقبلنا عند اول وصولنا المدينة الى الباب المقابل له في الطرف الآخر منها في الغرب ويقال له باب الحماية

فاستبشر حماد باصطحاب هذا الدليل ليضمنه في الوصول الى منزل هند فاخذ يخلط في معاملته ويسترضيه بالاكرام والمدايا وهو يزداد رغبة في خدمته وبعد ان وقنا برهة ركب حماد وسار الدليل في ركابه وسارا في القوطة والاشجار وظللها ولم يمسرا قليلاً حتى غابت المدينة عنها ثم اشرقا على مرتفع اطلأ منه على سهل امام دمشق فرأيا بالبحام والاعلام والخيول والرجال قد ملأت ذلك الفضاء

فامعن حماد نظره فاذا في اعلام المسلمين وخيامهم وتحقق ذلك ما شاهدك وراهما من مراض الجمال ومساكن النساء فابتن بعرقلة مساعيه وعلم انه لن يستطيع الدخول الى دمشق وخاف المسير الى معسكر العرب اثلاً بمنغشوه فيلجأ الى ضرراً فوقف حائراً لا يدري ماذا يعمل وفيما هو بهم باستنهام الدليل عن سبيل يدخل في المدينة سمع قرعة لجيم ووقع حوافر خيول على الحصى في جدول جف مأوى بين الأشجار فأوحس لحيفة وحول عنان جواده نحو الصوت ونهبا للدفاع وار الدليل فالتهدر بين الاشجار ينشوف من خلاها وحماد يصيح بسمعه فلم يكذبف هنيهة حتى سمع صوتاً ينادي باسمه فتحقق قلبه لاستنماسه بذلك الصوت فاجابه للعل « من انت » ثم ادرك انه صوت الامير عبدالله ولكنه استبعد ان يراه هناك وعهده يوم مقيم في بصرى ثم ما لبث ان رآه قادماً على جواده ووراءه فارسان عربيان فتحقق انه هو بعينه وأوحس بأفراج الازمة واستغرب مجيئه فاذا بعبدالله قد ترجل وضّم حماداً وقبله .

فقال حماد ما الذي جاء بك يا أبتاه

قال جنث لحراستك يا مولاي وقد علمت من الراهب الشيخ انك شخصت الى الشام فاسرعت اليك لعلني بما قد تلقاه من العراقل في سبيل الدخول اليها وقد صادف ظني محلة وشكرت الله لمجيئي لاني رأيت العرب محدقين بالمدينة وقد حاصروها حصاراً شديداً ولولا سابق معرفتي بجنايد بن الوليد لما تمكنت من خدمتك وقد مضى عليّ يومان اطوف هذه البقاع ومعني هذان الفارسان تتوقع وصولك لنشير بك الى خالد وقد امنّا ووعد بمحاطتنا

ففكر له حماد واثني على غيبتوه وسأله عن حال المدينة فقال انها في حصار شديد لا يدخلها ولا يخرج منها احد . وانت ما الذي جرّك الى هذه المخاطرة . فنصّ عليه حكاية واطلعه على كتاب هند والتجمل ظاهراً على وجهه

فحدثته نفسه ان يلقي عزمه عن هند ولكنه علم انه لن يصادف منه اصفاً فضلاً عما قد يلجئه اليه من التستر في اعماله فشجعه وقال له لا بأس عليك يا ولدي فان ثعلبة لم يستطيع دخول المدينة ولن يستطيع

فقال وما الذي انبأك بعدم دخوله

قال لم يبتني احد واكنفي عرفت ان الفاسنة كلهم وفيهم جيلة وتعلبة مقببون في حصص خوفاً من هجمات المسلمين وكان هرقل قد انفذهم مع جند الروم لتجدة دمشق فلم يستطعوا دخولها فعادوا على الاعقاب<sup>(١)</sup>  
قال وما العمل الآن

قال هلم بنا الى معسكر خالد فانهم يتوقعون عودتنا لنقيم بينهم ونكون في ذمتهم اذا احببت الرجوع الى بصرى فان ذلك آمن لنا وايضي

فصمت حماد ولما ن حاله يقول « كف اعود عن دمشق وهذا محصورة فيها » فابتدعه عبدالله قائلاً لا بل ارى ان نقيم مع المسلمين لعلنا نستطيع امرًا ننفذ به وهذا من الخطر . فابرت اسرع حماد لما آتته من مجارة عبدالله فقال . نعم الرأي رأيك فلم يبا . وهو بالمرحوم دمشق فقال الدليل هل ترى حاجة اليه بعد الآن يا سيدي قال حماد . نعم ارى ان تبني معنا لعلنا نحتاج اليك في شيء ونحن في مأمن ولك طلبنا خير مكافأة

فاذعن وسار معهم وفيما هم سائرون بين الفياض خاطب حماد عبدالله بلما ن اهل العراق لئلا يفهم الفارسان . هل ترى جند العرب كثيرين حول دمشق

قال هم عديدون وقد تفرقوا فرقا احداها فرقة خالد عند الباب الشرقي في الشرق والاخرى فرقة ابي عبيدة عند باب الحماية في الغرب والثالثة فرقة عمرو بن العاص عند باب الفراديس وفرقة شرحبيل بن حسنة عند باب آخر وفرق اخرى عند الابواب الاخرى وهناك فرقة يقودها جبار عند بنال له ضرار بن الازور تطوف حول الاسوار<sup>(٢)</sup> ويحجال لي ان الروم لا يستطيعون الصبر على الحصار

وما زالت سائرين حتى اشرقا على معسكر العرب عند الباب الشرقي فرأوا الخبول والجمال ترعى في البساتين ومعا العبدان والخدم ورأى النساء في اخيهن يفتدن بامر المجاهد ومن مشغفات اليواشيق الابطال الى ساحة القتال

فلما وصل المعسكر انما فسطاط خالد فدخله عبدالله وحماد بلا معارض وكان خالد جالسا في صدر المكان فرحب بها ودعاها للجلوس فنظر حماد الى من في الفسطاط فرأى روماس صاحب بصرى الى جانب خالد وقد نعم بالعمامة وتزمل

بالرداء العربي وغادر القنصوة والطياصان وكان خالد قد استقدمه معه لينزجم بينه وبين الروم فتهرب حماد من مجلس خالد ومن احدثق يوم من الامراء وفيهم جماعة كبيرة لم يعرفهم ولكنه رأى الشجاعة والافدام تلوحان على وجوههم فنفذهم عبدالله الى خالد فعرفه بمجاد فأنى خالد عليه وقال ان غلامك سيزداد زينة بالاسلام . فسكت عبدالله ولم يجب .

اما حماد فلم يكن همه الا هند وحالها في دمشق ولولم يطمئنه عبدالله ببعد ثعلبة عنها لما صبر على البقاء هناك ولكنه ما فني يفكر بحيلة بدخل بها المدينة ليرى هنداً وبطنها ويسعى في انقاذها

وبعد قليل استأذن عبدالله خالدًا بالخروج الى خيمة اعنت له فخرج وخرج حماد معه حتى اتيا الخيمة فقال حماد وما الرأي الآن اني ارى هنداً في خطر ونحن في مأمن فلا بد من حيلة ندخل بها المدينة

قال تمهل يا سيدي لعلنا نتوقف الى ذلك في الغد . وباتنيل تلك الليلة وافاقنا في الصباح على اصوات الاذان والصلاة فقال عبدالله لا ارانا نستطيع شيئاً طالما كنا في هذا المعسكر فلم بنا الى معسكر ابي عبيدة عند باب الجابية لعلنا نؤانس خبراً فمتعبا كائنا من الجند وتركنا الدليل في الخيمة حتى اتيا معسكر ابي عبيدة فدعاها الى خيمته وكان عبدالله قد عرفه وسمع بسهولة اخلافه وطول اناته ورغبته عن منك الدماء فبعد السلام والترحاب قال عبدالله الا يرى مولاي مخافة هؤلاء الروم بامر الصلح عسى انهم يسلّمون ويكفونكم مؤونة الحرب

قال ابو عبيدة اني ارجب الناس في ذلك ولكن خالدًا يطرب لمفارقة الصوف ومصادمة النبال

فقال عبدالله وما ضرّ لو انفذت اليهم احداً يستطلع رأيتهم وانت رئيس هذه الجنود ولما تنصرف فهم

فقال لا ارى بأساً في ذلك الا انهم يجمعوننا خائفين  
قال ارسلنا من يستطلع رأيتهم اذ قد يكونون راغبين في الصلح وهم يجمعونكم لا ترضون به فاذا صار اليهم احد فليكن كلامه من عند نفسه  
قال ومن لنا بهن يعرف لسانهم



قال لا اظننا نعدم وسيلة . وكان حماد قد تعلم شيئاً من اليونانية في اثناء اقامته في بصرى وهم عبدالله بان يثير بارسال حماد ولكنه جزع عليه فابت صامتاً فابتدعه حماد قائلاً اني اقدم تنس هذه المهمة

فقال ابو عبيدة ولكنك تسير اليهم سرّاً فاذا فزت بهم بك انجحيت الدماء على يدك والّا فاننا باقون على حالنا من الحرب . واعلم ان قائد جند الروم هناك رجل اسمه توما هو مهر الامبراطور هرقل<sup>(١)</sup> فسر اليو واستطلع رأيه من قبلك فاذا رأيت فيه ميلاً الى التسليم انيني

فسرّ حماد مهمته وخرج من فسطاط ابي عبيدة وعبدالله معه فناداهما ابو عبيدة فعادافقال لحام اذا سرت انت بقي والدك عندنا رهناً فان النفس امانة بالصوم . فرضيا وخرج حماد وحده وفي عبدالله هناك وقد ندم لما جرّه على حماد وعلى نفسه من الخطر وضاق صدره وخاف العاقبة

اما حماد فانه حمل علماً ايض وركب جواداً واسع نحو المدينة فلم يبين الاسوار حتى رأى جماهير الناس عليها وفيهم النمس بصلبانهم والجد باعلامهم ورأى بعضهم يهيم ان يرموه بالنبال فاشار اليهم عن بعد انه اذا جاء مسلماً فكفوا عن اذله حتى اذا دنا من الباب هاله عظمة فقد كان عبارة عن ثلاثة ابواب صفاً واحداً المتوسط منها كبير ذو قنطرة واسعة وإلى جانبيه بابان صغيران وفي اعلى الباب صورة النسر الروماني تحته كتابة باليونانية وفوق النسر جدار السور وفيه مراحي النبال والناس يتزاحون فوقها تلالاً البسنتهم بالطين المحمر والزرقاء ما يدل على البذخ والترف وفوق رؤوسهم الخوذ من النولاذ . فناداهم بلسانهم انه يريد الوصول الى رؤسهم

## الفصل الثاني والثمانون

### ❖ داخلية دمشق وحال الرّوم فيها ❖

فنزل اليو جماعة فتعلّموا لاهوت البابين الصغيرين فدخل بمجاد وسلاحه فاحدق به الرجال فتهب لذلك الموقف ولكنه تجاد وطلب ان يرى البطريرق توما فقال له في قصر

بالقرب من كنيسة ماري بوحنا فترجل ومشي في شارع عريض قد استطل على  
استقامة واحدة يتدنى بالباب الاوسط ولا يكاد يرى اى اخر وارضه مرصنه بالحجارة  
الصوانية الضخمة والى كل من جانبيه رصوف عريض اوله عند احد البابين الصغيرين  
وعلى الرصيف عند فمخمة من الرخام متراسة على طول الطريق . ولم يكن حماد دخل  
الدام قبل ذلك المحزن فرأى فيها من العظمة ودلائل المدينة مالم ير مثله في بصرى  
فما زال مائراً وحوله المخروامل المدينة بطلون من الدرفات والتوافذ ينظرون  
البه ويحدثون بامر وهو يلفت يمينه ويساره لعله يرى هناء بينهم وكلما وقع نظره على  
انثى ظنها هي وكان يفتقر الصوف بلعظه لعله يرى قبة او كنيسة على امل ان تكون  
كنيسة مريم حيث نقيم هند حتى مر بكنيسة علم من بعض حديث القوم انها الكنيسة  
المشار اليها فحقق قلبه وشاعت عنه وهو يلتفت الى ما حوله من التوافذ فرأى جموعاً  
ولكنه لم ير هناء بينهم فمارى الاس حوله يحدثون بلسانهم وقد علت الضوضاء يتخللها  
قرقرة حوافر الخيل على البلاط

وبعد ان ساروا برهة انعطفت الى شارع آخر فاخر حتى وصلوا الى باب كبير  
يحف به الخدم والاعوان فوقوا عندك فعلم انه باب القصر فانفذوا بعض الحرس يتي  
البطريق بقدم الرسول فانباوه فامر بادخاله عليهم فجددوا من سلاحه فدخل  
وركبناه ترتعشان هول ما يتوقعه بلافاء ذلك الرجل فدخلوا الى صحن الدار فاجبة  
ما رآه في ارضها من النفوس الجميلة وفيها صور وقائع وهبات آدميين وحطانات  
بالمنمنمات بالوان بدبعة متراسة قطعاً صغيرة بصناعة فائقة . وفي وسط الدار بركة  
من الرخام يتدفق الماء منها . ثم دخلوا الى قاعة مفروشة بالرياش النخين ما يبهير  
النظر وعلى جدرانها وسقفها صور بعض القديسين وصورة الامبراطور هرقل بتاجه  
وصولجانه وصور اخرى دينية . ورأى على التوافذ الاستار من الدباج والحريير المزركش  
بالنصب والارض مكسوة بالسجاد والطنافس عليها رسوم الاسود واليهود والمخول في  
أبداع ما يكون . فدعوه الى الجالوس هناك ريثما يخرج اليه البطريرك فيجلس يتوقع قدومه  
وهو يهون على نفسه ويتجدد حتى سمع وقع اقدام كثيرة ورأى اهل النصر في هرج  
وتراحم فعلم ان الرجل قادم ثم رآه وقد دخل القاعة فاذا هو طويل القامة عظيم الهامة  
كثير الهبة وطلسانة بكاد يجر وراءه وسيفه الى جنبه وهو في رداء قصير الى ركبته

كثير الالوان مزر كرش بالذهب . وعلى رأسه قلنسوة اشبه بالناج مرصعة بالحجارة الكريمة  
فحالمًا رآه حماد وقف اجلالاً له وتقدم نحوه منادياً فنظرنوما اليه بعينين حادتين يكاد  
النور ينبثق منهما فهاب حماد منظره ولكنه تظاهر بالتجاذب وحباء بعبهة الملوك وصبر حتى  
جلس واسرله بالجلوس فجلس حماد وهو يفكر في ما يبدأ به من الحديث  
فابتدعه البطريرق قائلاً العلك من هؤلاء العرب المغتربين

قال كلا يا مولاي اني غريب الديار وقد وقعت بين ايديهم بالاتفاق  
قال لقد لاج لي ذلك من شكل لباسك فاني اراك حسن البنة وهؤلاء على ما  
اعلم حفاة عراة ولم يسمهم اليانا الا قرب آجالهم . هل انت على دينهم الجديد  
قال كلا يا مولاي اني على دين النصرانية قال ذلك واستخرج من بين اثنا عشر صليباً  
من الذهب معلقاً بسلسلة في عنقه  
قال العلك من الغمامنة

فخبر حماد في الجواب مخافة ان يكون في تصريحه بالصدق ما يوغر صدر البطريرق  
عليه فقال اني غريب الديار ولكنني مقيم في بصرى الآن  
فقال ومن اي البلاد انت

فتذكر حماد الصلح الذي أبرم بين النرس والروم على اثر الحروب الاخيرة فقال  
اني من اهل العراق ولما تم الصلح بين ملكنا وجلالة الابراطور هرقل قدمت الى البلقاء  
فقال توما وما الذي جاء بك الينا . قال ذلك ودلائل الاهتمام ظاهرة على وجهه  
باقطاب حاجيه وتفرسو

فهاب حماد منظره ولكنه تذكر انه ملك ابن ملك فعادت اليه ائنة الملوك فقال  
اذا اذن مولاي بخاتمة بسطت له بها رأيي وكان في مجلس البطريرق بعض الحاشية  
فاشار اليهم فخرجوا وجلس البطريرق الى جانبه . فقال حماد اسم مولاي بجرمة الصليب  
واليهودية اني انا جئت اليه انوي له والدولة الروم خيراً  
قال لقد صدقت قل ما في نفسك

قال اني رأيت معسكر هؤلاء العرب وخبرتهم صبرهم في ساحة القتال واستهلاكهم  
في سهل الجهاد ففنت ان بطول الحصار فيصيب هذه المدينة جهداً وقد عرفت قائد  
جند العرب الاكبر وهو رجل يمال الى السلم رغب في حجب الدماء فقلت في نفسي لعلني اذا

توسطت في امر الصلح بينكما ان افعل خيراً فاحملت في دخول المدينة لاعرض هذا الامر عليك

فلم يكده حماد يتم حديثه حتى بدت ظواهر الغضب على وجه توما وقد افطس حاجبوه وتلجلج في مقعد ونظر الى حماد بعينين برافنتين يكاد الثرر يتطاير منها وقال وحرمة الصليب وصاحب هذه الكنيسة (واشار الى كنيسة مار يوحنا بالقرب من النصر) ورأس الامبراطور هرقل لولم نمتني الى اقناعي بنصرانتيك لارتيت بمخوفة مقاصدك كيف تدعونا الى صلح قوم ساقهم القدر البنا وغرم الجهول في منازلنا انحامهم بحسبونا مثل حامية بصرى التي خانت ملكها وسلمت اليهم ألم تكن لم عرفة برجوعهم عن اسوار هذه المدينة خاسرين منذ بضعة اسابيع<sup>(١)</sup> (ثم نهض وهو يقزل) اني ساعلمهم كيف حرب الروم منذ اليوم . قال ذلك ويد على قبضة حماد وهو يحيط في الغرفة غضباً فكبر ذلك الانتهاز على حماد وجرت دماء الملوك في عروقها وحدثة نعمة ان يغلظ له بالمقال ولكن لم علم اذا فعل ذلك انه مائت لا محالة فصر نعمة وكظم غبطة وقال ان الصلح لا يحط من قدر رجال الحرب ولا اخال سيدي بمخديني اجهول بهلش الروم وشك باسهم ولكنني ظننت في الصلح حجة لدماء فاذا كنتم ترون الحرب فانتم اصحاب الامر

وكان توما لا يزال واقفاً فلما سمع مقالة حماد جلس الى مقعد آخر ويد لا تزال على قبضة حماد وقال لولا علمي بمخمن نيتك لما اقبلت عليك ولكنك مع ذلك سنبقى في حاشيتي حتى ترى عاقبة الغرور وتري حال هؤلاء العرب في حربنا فاستعاذ حماد بالله من هذا السجين وكان في حشباته ان يطلق سرعته فهتس عن هند فندم على عيبه وظل صاماً فسمع البطريق ينادي بعض رجاله فلما حضروا صاح ان يحفظ بالرسول ويدنقيه في حاشيته ريثما يأمن امرآ آخر . قال ذلك وخرج محرراً غضباً وسيفه يفرقع على البلاط وراؤه وطيلسانه يكاد يتطاير عن كتفيه وتفي حماد وخنيز في القاعة برهة ثم اشار الخنيز اليه فخرجا واختلط حماد بالحاشية كعادته منهم لا يؤذن له بالخروج من النصر الا معهم فلبث بصبر نعمة ويتوقع القدر وفي مساء ذلك اليوم سمع اهل النصر يتعدون بهزم توما على السلافة في كنيسة

يوحنا في صباح الغد وهو صباح الاحد وانه دعا رجال حكومتهم واعيان المدينة  
للاجتماع فيها فأمل حماد ان يتنسم خبراً عن هند هناك

## الفصل الثالث والثمانون

### \* كنيسة ماري يوحنا \*

ولم يكذب يوحنا في صباح اليوم التالي حتى سمع دق النواويس في مائر كنائس  
المدينة ورأى اهل النصر يتجهون الى الكنيست فسأل خنبره عن ذهابه  
فقال تعال معنا ان الصلاة لا تمنع عن مطالعها ولم تمنع برهة حتى خرج نوما باحسن  
ما يكون من اللباس فمشى وحوله الاعيان والوجهاء ورجال الدولة بالفخر الالبسة  
من الحرير المزركش على اجمل اللوان وازهارها

وكانت الكنيسة على مقربة من القصر فلم يكن الا القليل حتى وصلوها فاذا هي  
محاطة بسور عظيم الارتفاع يوقع في النفس رهبة فدخلوا منه الى باب الكنيسة الجنوبي  
وهو كبير مرتفع الاعناب فدخلوا منه الى صحن الكنيسة وهو فسيح مبلط بالرخام  
الملون طوله نحو ٢٠٠ خطوة وعرضه ١٥٠<sup>(١)</sup> وتخطيطه الاروقة وفيها الاعمدة  
الماننة من الرخام الابيض النقي او الغرايت الملون باحسن ما يكون من الدقة تعلوها  
نيجان جميلة الصنعة على النمط الروماني اكثرها مغطى بالذهب حتى اذا اشرف على  
المبكل حيث تقام الصلاة بهر ما على جدرانها من الصور البديعة بالالوان الطبيعية  
وفيها الذهب فضلاً عن النقوش الجميلة من النعشساء البلورية بالالوان البديعة  
وكان حماد كنهها النفث فتمثلت له عظمة الروم في ابان مجدهم فيها لانه لم يشاهد مثل  
هذه الكنيسة قط

فادرك خنبره ذلك منه فقال له ما بالي اراك مندهلاً قال اني لم ار  
مثل هذه الكنيسة في الشرق الا بانطاكية من هو الذي بناها من الملوك قال انه بناها  
اقدم من النصرانية عهداً فقد كان هيكلًا وثناً من ايام الآراميين الذين ورد ذكرهم  
في التوراة بني على اسم اله من آلهتهم اسمه رامون وكان له مذبح جميل امر آحاز ملك  
يهودا ان يبني مثله في هيكل سليمان باورشليم

فلما استولت دولتنا الرومانية على الشام قبل النصرانية اتخذوه معبداً لاوثانهم حتى اذا تنصرت قهاصرتنا جملة اخدم ارخادبوس قبصر كيسة على اسم يوحنا المعمدان وكان قد تخرب بعضه فرمته ونقش فيه صور القديسين ومن جملة ما نقشوه آيات من الكتاب المقدس نرى كثيراً منها على الجدران والسقف واطلك قرات ما هو منقوش على الباب عند دخولنا فقد كتبت عليه هذه العبارة ( باليونانية ) « ملكوتك ايها المسيح ملكوت ابدى وسلطانك يمتد مدى الابد » (١)

ولم يكذب بتبني الرجل من حكايتي حتى انتظم عقد الصلاة وقام الاساقفة بهاخرم وصلبانهم وعلت اصوات الترنيم والترنيم والجدران تردد الصدى حتى صمت الآذان وتفتش الناس ونظر حماد الى الجناح مرمر مرمر وقفاً وقد ولط وجوههم المفرق وبني مقدمتهم توما في كرسي من العاج المرصع بالفضة فوقه قبة من العاج بديعة النقش ولما انقضت الصلاة حول توما وجهه نحو الجناح مرمر مرمر صليبي من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة وامامة طاوله طاوله فوقها كتاب مغشى بالذهب عرف حمادة الانجيل الشريف والتفت توما وقد تغير منظره وهو يهني كلاماً بقوله فاصنى الناس منغ الانجيل ووضع يده اليسرى عليه وفي يده اليمنى الصليب بشير يو وهو يتكلم وقال ما معناه « اعلموا يا معشر الصرانيه ان عبي ومولاي جلالة الامبراطور هرقل قد كتب اليها يستغنى على دفع هؤلاء الاعراب عن اسوار دمشق واخراجهم من بلاد الشام فقد التفت الفتى فيها وماسم بالحقيقة الا قوم جباة عراة ساقهم فقر بلادهم وجذب ارضهم الى التماس الغزو من غياض الشام وخيراتهما وقد اطعمهم فيها ما لا قوة من ضعف حامية بصرى وقائدها روماس اليعين الذي قاده الانتقام الى التسليم . اما انتم فانكم رجال اشداء قائمون على الولاء فلا يهكم من امر هؤلاء شي . ولا احرضكم الا على الاتحاد ونبد الاختلافات المذهبية فقد ان لنا ان نفقه حالنا ونعتبر بما صار اليه الناس قبلنا وما هؤلاء العرب بشي . يذكر اذا نحن اتحدنا والا فان العاقبة وخيمة فاذا رايتهم الخروج اليهم خرجنا واذا قنهم مرة العذاب »

( ١ ) الروضة القناء للقساطلي . ( ولما فتح المسلمون الشام اتخذوا بعض هذه الكنيسة جامعاً

ثم استقلوا جامعاً وعرفت بالجامع الاموي )

فقال رجل واقف بالقرب منه « ما لنا وللخروج اليهم ونحن آتون في اسرارنا  
فلنهمهم حتى نرى الاقامة فينقلب على اعقابهم »

فقال حماد في حال ذلك الجميع وفيهم خيرة رجال الدولة فرأى التردد والخبول  
مستولين عليهم وكان يحسب كلام توما يثير فيهم حمية فاذا هولم يسمع منهم الا نسيمة ولم  
ير الا تفاعداً وقد فقدوا الحمية بما انفسوا فيو من الترف والبدخ والرخاء وفسدت  
اخلاقهم وساءت آدابهم فقابل ذلك بما آتته في جند العرب من الانفة وعزة النفس  
والنشاط ووجدت الكلمة فتمثلت له عاقبة الامر جلياً وابقن انها عاقبة على الروم اذا  
هم لم يصالحوا العرب فلبث ينتظر ما يأتي به القدر

وعادوا من الكهنة وهم يحدثون بما سمعوه وحماد مستغل بهند وقد حاول  
الخروج منفرداً الى كهنة مرم فلم يستطع لما ضيقه عليه توما من الحجر فان  
خفيه لم يكن يرافقه لحظة وخاف اذا خرج خلسة ان يرتكب ذنباً يستوجب عليه القتل  
فصبر نفسه رغماً عنه وفي صباح القدر خرج توما ومعه رجاله الا الخنزير فانه بقي في القصر  
وحماد معه واتس في خروجهم حركة غير اعتيادية فاستطلع الخبر فقال الخنزير ان  
البطريق سار الى الاسوار يرمي العرب منها بالبال ولم يأت المساء حتى عاد الروم  
وفهم توما ويد على عينه وقد جاءت الاطباء مسأل حماد عن حاله فقبل انه اصيب  
بنبله من نبال العرب ففأت عيته <sup>(١)</sup> وانه تدهام من ذلك كثيراً فقال حماد في نفسه  
فعمى ان يرجع الى صوابه ويرغب في النصيح

## الفصل الرابع والثمانون

### \* باب الفرج \*

ومضت بضعة ايام مع الحرب بحال بين الجاليين والروم ينتظرون نجدة من  
مرفل والنجدة تبع عنهم حتى اذا كان ذات صباح وحماد جالس في بعض غرف القصر  
يقسم اسيفاً اذ جاءه رسول يستدعيه الى توما فصار اليه وقلبه يخفق مخافة ان يكون  
في الدعوة ما يدعوه الى الخطر

فلما دخل عليه رآه جالسا على سرير، قطب الوجه فحياه فاجلسه نوما الى جانبه وهو يشله فأنس حماد منه رقة لم يبعدها فيه . ثم اشار نوما فخرج كل من في الغرفة ولم يبق غيرها فقال نوما دعني اتص عليك خيرا اقلني وهو حلم رآته امرأتى في منامها البارحة وهي حامل انا الحلم فانها رأت الداء تتدفق عن اسفار دمشق والاسواق مزدحمة بالقتلى فأفاقت . من نومها مرعوبة فنصت على الحال وهي ترتعد وتقدمت اليه ان اقبل بصاح هؤلاء العرب حبيبا للداء ولندساء في اقتراحها لاني راغب في الحرب الي آخر نسمة من الحياة ولكنهما ابنة الامبراطور صاحب الامر والنهي فضلا عن منزلها عندي وهي حامل . ولذا ذكرت لك اخبرني عن ابي عبد قائد فقة باب الحامية انه ميل الى السلم فهل تظن اذا خابره ان يوفى بفعل ويحفظ عهدك .

فاستبشر حماد بذلك وانترجت كربة وقال لا ريب عدي بحفظ العهد اذا عاهد

قال اتذهب اليه وتستطلع رأيه في ذلك سرا وتعود بالخبر

قال انعم ذلك ما مورا طائعا فذن من يرشدني الى الطريق ويخرجني من

الباب ولنا اسير الى الرجل واخطبه

قال قد اذن لك بذلك ولكنني اشترط في امر الصالح شرطا لا بد منه

قال وما هو

قال اريد من هؤلاء العرب اذا دخل المدينة ان يفظلوا راجع ويحجوا الدماء

وان يتركوا لنا كنائسنا ولا يفصلوا علينا منها كيسة

فقال حماد لا اظنهم يخلفوننا في ذلك وعلى كل فاني اسير اليهم بالامر والعود

اليك بالجواب . وكان حماد يكلم نوما وهو مجيب بقتازله الى هذا الحـ على ان خيال هند

ما زال نصب عيني فخطرت له ان يضمن تلك الفرصة للاستعانة به على تسهيل زواجه بها

وقال في نفسه لا اخلني ارى رجلا أقدر على مساعدتي من صهر الامبراطور وهو الآن

في حاجة اليه فاذا استعنته ووعدي بقوله فاذن على جيلة وغيره

فتوسم نوما في حماد توقفا وترددا فقال له ما بالك لتردد عليك خفت الذهاب

الى العرب . قال كلاً يا مولاي فاني اقيم المخاطر في سهول انقاذ امرك ولكن لي امرا

بهمني ليس هذا محل الكلام عليك على انني لا ارى بك من استعانتك فيه وهو من اسهل الامور

عليك فاجعل مساعدتي في انمامو مكانا لي اذا قربت في عند الصلح على ما تريدون



فقال توما وماذا عسى ان يكون طلبك  
قال اخاف اذا ذكرته ان تضحك مني وتظنني مشغولاً بعيب الغلمان ولكل الامر  
با مولاي قد اقلنتني ولا ارى بدا من استعانتك فيو فاعذرني  
قال قل ما هو

قال أنعرفون الأمير جبلة الغماني  
قال اليس هو ملك الغساسنة حلبنا  
قال لي يا مولاي هو هو بعينو  
قال وما خبره

قال حماد اقول بالاختصار اني خطبت ابنته هنداً ثم ان ابن عم لها يقال له تعبارة  
يسمى في الحصول عليها وقد قبل والدها ولكن الفتاة لا تريد ونظراً لما اعهدت من  
نفوذكم على جبلة ارجوان توعظني الرب ان يعطيني الفتاة

فبسم توما وقد تذكر ايان شابو وزمن عفو فعدر حماداً وطيب خاطر وقال  
انه امر سهل لك عابنا تضاعف فانبسطت نفس حماد ومال الى مفارقة هند وتشيرها  
بذلك الوعد وهم بالتمتدان توما ان يرب بكيسة مريم اثناء ذهابو فاذا هو قد ابتدره  
قائلاً « فاقدم اليك ان تسرع في مهنتك فتسير حالاً الى مخاضة ابي عبيدة فاذا  
عقد الصاب وهدأت الاحوال زفنا اليك هذا رضي والدها او لم يرض »

فشكر له حماد شكراً جزيلاً وقد عول في باطن سره على ان يجال في المرور  
خلسة ثم سمع توما ينادي اثنين من حاشيتو فانها فقال لها اعدا مركبة من مركبات  
النصر احملها هذا الشاب العراقي الى باب الجابية حالاً وافتحا له الباب وليركب  
جواده هناك ولما انتما فانتظرا رجوعه فتى عاد ارجعوا به الى هنا

فقالا سمعاً وطاعة وخرجوا جميعاً وحماد آسف لمعين في المركبة اذ لا يتأني له  
الوقوف عند الكيسة

وبعد برهة اعدت المركبة فركبها فخرجت مصرة وقد تعاطمت قرعتها على بلاط  
الدوارع وخصوصاً الشارع المستقيم حتى اذا دنت من كيسة مريم خفي قلب حماد  
وشاعت عينا رمو بلبنت نحو النوازل والدرفات لعله يرى هنداً او احداً من اهلها  
فغاب رجاءه وتجاوزت المركبة الكيسة وهو يصيح بسمعه مخافة ان يناديه احد وتحول

فرقعة المركبة دون سماع النداء ولكنه ما لبث ان وصل الى باب الجابية فوقفت المركبة وكان جواده هناك فركبه وخرج والعلم معه حتى اتى معسكر ابي عبيدة فلم يستغنى احد من العرب فسارنوا الى خيمة عبدالله وهي في الطريق فرآه جالسا حزينا لا تشغال بالو فمالا وقع نظره عليه فنهض مسرعا وضمه الى صدره وسأله عن سبب ثوبه فقص عليه الخبر فحمد الله على سلامته ثم سأله حماد هل سمع شيئا عن سلمان فقال لا لم اسمع عنه شيئا ولكنني ارسلت دلهما الى بصرى لعله يراه هناك فيجدهم بمقرنا ولم بعد الدليل بعد . فاندخل بال حماد وليثا برهة يتحادثان في امر جليلة وجند فقال عبدالله اظننا اذا تم الصلح بين العرب والروم لا نعدم وسيلة في العثور على سلمان فيها بنا الآن الى ابي عبيدة ثم نهضا معا حتى اتوا فسطاطة فرحسب بها فقص حماد ما اشترطه ثوما من امر الكنائس والاموال فقال ابو عبيدة لقد قبلنا بذلك فليرسل من يعتمد من رجاله لعقد الشروط

فودعهم حماد وداد الى دمشق وقد مضى معظم النهار فوصل القصر فرأى اهله في هرج وضجة فسأل عن السبب فقبل له ان امرأة الطريق توما تتهخص والطريق عندها ينتظر ساعة الولادة<sup>(١)</sup> فقال ابعتلي اليه من بيته يرجوعي فأنأوه فخرج اليه وامارات الغنى ظاهرة على وجهه فقال ما خبرك فقال ان الامير ابا عبيدة قبل بالصلح فارسل من تعتمد لعقد . فامرته من كبار القصر ان يخرجوا في صباح الغد ومعهم حماد وقال لم اني مشغول في ما تقاسمو ابنة الامبراطور من آلام الخاض وعسى ان يأتي النرج قريبا

## الفصل الخامس والثمانون

### ﴿ صلح الشام ﴾

وكان الليل قد سدل نقابة فباتوا تلك الليلة واصبحوا وقد نهبا مئة منهم بالالسة الرسمية وحملوا الاعلام والصلبان وساروا حتى اتوا باب الجابية وكان حماد اكثر

الناس رغبة في ذلك الصلح ائلاً بقرب الوصول الى هند  
فلما وصلوا الباب كان بعض العرب هناك وعليهم ابو هريرة قد قاموا ينتظرون  
وفد الروم فأنبأهم حماد بما اتوا من اجله ففتحوا الابواب وخرج الوفد باعلامهم  
وصلبانهم وقد تكسرت اشعة الشمس عن خوذهم وفلانهم واردينهم المختلفة الالوان  
وصلبانهم المرصعة بالبحجارة الكريمة مما يبهر الابصار ومشي ابو هريرة ورجاله في مقدمتهم  
حتى اتوا معسكرا في عبيقة فلما اشرفوا على المضارب اوعز اليهم ابو هريرة ان يتزعوا  
الصلبان<sup>(١)</sup> فزعموها حتى وصلوا الى فسطاط ابي عبيقة فاستقبلهم بالحنافة وعقد مجلساً  
امضوا فيه الشروط وفي جملتها ان يتركوا الكنائس على ما هي . وكان في دمشق عدة  
كنائس منها كيسة مريم وكيسة يوحنا المجدان المنتمين ذكرهما وكيسة سوق الليل  
وكيسة انذار<sup>(٢)</sup> فكتب لهم ابو عبيقة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيو اسمه ولا  
اثبت شهوداً فتناولوا الكتاب ودعوه لصحبته ليدخلوا المدينة معاً فقام ابو عبيقة ومعه  
٢٥ من اعيان الصحابة وسار الجميع وفيهم عبد الله وحماد . فلما وصلوا باب المدينة  
وقف ابو عبيقة وقد تذكر امرأه اماً وذلكت انة املاة يتو رضي بالصلح وقبل بدخول  
المدينة مع عدوه ولم يخاف من ريب من غدر او نحوه ولكنه لما وصل الابواب ورأى  
الاسوار وفوقها الجند بالاسلحة تخوف وتحذرفقال لمن معه من الروم اننا نطلب منكم  
الرهائن قبل الدخول فبقى منكم اناس رهناً عندنا حتى اذا حدث غدر ذهبنا ضحية  
القدر . فتركوا بعضاً منهم وسار الباقون حتى دخلوا الابواب واقبلوا على الفارغ  
المحتنمين وقد تزاخم فيو الناس وفي مقدمتهم الاقمة والرهائن فلما دخل ابو عبيقة  
استقبلوه بالاناشيد واعندوا عن تخلف البطريق ثوما لانغفالوا باهل بيوتهم ثم مشوا  
بين يديهم على مسرح الفجر وقد رفعوا الاناجيل والماخر وقبها النجور يتواعد دخانة  
حتى حجب عنهم الطمر الفارغ فساروا يهتفون شكراً لله على حجب الدماء والاعلام  
تخفى فوق رؤوسهم وبينها اعلام المملوكين والروم معاً  
وكان الدمشقيون بطلون من النواقد وعن الاسطحة والشرفات رجالاً ونساءً واولاداً  
وكلمهم فرحون بنجاة انفسهم واموالهم لان اهل البلد اكثر الناس نفوراً من الحرب لانها  
عائنة عليهم بالحنسارة في اى حال

لما حماد فكان مغتلاً عن تلك الضوضاء يعلى نعمة بقرب اللقاء. وعبد الله الى جانب وكان الموكب مائراً ببطء فغدا صبر حماد وهو يتخوف من خلال الاعلام والصلبان الى كبسة مرم عن بعد وقد عول على ترك الموكب ودخول الكبسة خلسة ليرى هنداً ويغيرها بانفراج الازمة

## الفصل السادس والثمانون

### \* خصام ابي عبيدة وخاله \*

وفيما هو في ذلك تراءى له في آخر الدارع جموع فادمون نحو الموكب فراراً من اناس يطاردونهم فامعن نظره فرأى مع المطاردين اعلاماً اسلامية ورجالاً من المسلمين في ايديهم السيوف والرماح وقد ابعثوا في الناس قتلاً ونهباً ورأى في مقدمة الاعلام عالماً اسود عرف انه راية الغائب خالد بن الوليد ثم ما لبث ان رأى الفارين يتقدمون حتى التقى بالموكب عند كبسة مرم ثم دنا خالد فلما رآه ابو عبيدة عجب لامر وناداه قائلاً « كف يا ابا سلمان قد فتح الله على يدي المدينة صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال »

فصاح فيه خالد « وما الصلح لا صلح الله بالم وامن لم الصلح وقد فتحها بالسيف وخضعت سيوف المسلمين من دماهم واخذت الاولاد عبيداً ونهبت الاموال »

فقال ابو عبيدة « اعلم ايها الامير اني ما دخلتها الا بالصلح »  
فقال خالد « انك لم تزل مغتلاً واباً ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لم حماية فكيف صالحهم »

فقال ابو عبيدة « انى الله ايها الامير والله قد صالحت القوم وتقد المهر بما هو فيه وكنيت لم الكتاب »

فاعترضه خالد وارتنع الصباح بينهما وقد شخص الناس اليهما واصحاب خالد لا يزالون يقتلون وينهبون وكانوا قد دخلوا المدينة من الباب الشرقي وهم لا يعلمون بصالح ابي عبيدة ولكنهم اغتصبوا الفرصة باشتغال توما ورجالو بالفصر والولاد<sup>(١)</sup>

فقال ابو عبدة « وانكلاه حفرت والله وتنقض عهدي » وجعل يقسم على المسلمين ان لا يمدوا ايديهم نحو الطريق الذي جاء هو منه حتى يرى ما يتفق هو وخالده عليه فمكثوا عن النهب واجتمع رجال المسلمين هناك وتنازضوا في الامر فتم الرأي على التبول بالصنح على ان يخرج ثوما وهرمس ( وهو وائل على نصف الدمام من قبل ثوما ) وفيما هم في الجدال جاء ثوما وهرمس وذكرا ابا عبدة بالعهد وقالوا اذا ايتم صلحنا فاننا نخرج من المدينة ونكون في ذمتكم نحن واهلنا واموالنا وبعد جدال طويل قبل خالد بذلك (١)

فاخذ ثوما يتأهب للخروج وكان حماد في جملة الوقوف يسمع ما دار من الحديث فلما علم بخروج ثوما على هذه الصورة ارتك في امره وعلم انه لن يرجو منه نفعا ولكنه عول على دخول الكنيسة ومقابلة هند فاستأذن عبدالله فقال له ندخل معا وتركنا الدار في تراحمهم وعرجا نحو الكنيسة فاذا هي مقفلة فلتمسا مفتاحها فظن السوابق انها يريدان بها اذية فذكرهما بالعهد فقالا اننا لا نريد امرا غير الزبارة ونحن مسيبيون . فلكم ففتح لما الباب فسأل حماد عن قيم الكنيسة فنقدم ابو قميس شيخ وكان غنيبا في المهكل وهو يخاف الفتك فلما رأى الرجلين برسان علامة الصليب اطمان بالة فسألما عن مرادهما فنقدم ابو حماد وقيل به وقال هل بقيم في هذه الكنيسة احد من الغرباء . قال القميس لم نخرج العادة ان يقيم الناس في الكنائس قال وانما اريد هل بقيم احد في بعض الغرف التابعة للكنيسة

قال لا يا سيدي ولكن اهل ملك غسان وكلهم من النساء كنن مقبات عندنا ومعهم الخدم ولكنهم خرجوا جميعا منذ بضعة اسابيع

فاضطرب قلب حماد وقال وقد ظهرت الغنة على وجهه وإلى اين خرجوا قال لا ادري ولكن رجلا جاء من قبل الامير جيلة اقام على هنا ساعات قليلة ثم خرجوا جميعا . فوقف حماد برهة صائتا وقد نسي موقفه وغلب عليه اليأس وجعل يفكر في ماذا عسى ان يكون سبب رجوعهم . فاعاد السؤال ووضحه فلم يفهم شيئا آخر فقال وهل تذكر انهم خرجوا من هذا المكان قبل حصار المدينة او بعد قال اظنهم خرجوا قبل الحصار

فبغت حماد وقد استقط بهن ونظر الى عبدالله كأنه يستطلع رأيه فقال عبدالله  
اظن الملك جيلة انفذ في طابهم لما سمع بقرب الحصار فمارط اليو  
فتعاطم الهأس على حماد ومكر في الامر يدير ملاح له ان هنذا لا تخرج على هذه  
الصورة مالم تترك له خبراً او اشارة وخصوصاً بعد ان كتبت اليو تستعجل قدومه اليها  
فقال للنسيس الا ترشدنا الى المنزل الذي كان يقيم به اهل جيلة

## الفصل السابع والثمانون

### \* الاستطلاع \*

قال القميس سمعاً وطاعة وخرج بهما من بعض ابواب الكعبة الى رفاق ضيق  
لكنه مرصف بمجاعة عظيمة شأن ارفة دمنق على اختلاف عرضها واستطرق من  
الرفاق الى منزل لا يظهر من بابو وصوره انه يلق بمسكى الملوكة على انهم ما لبثوا ان  
دخلوا داره حتى تبينت لهم منزلته من الاتقان والزخرفة ولكنهم لم يسمعوا غير خريز  
الماء في بركة تدلت فوقها اغصان الصنصاف وفاحت رائحة الازهار لما احاطوا به  
جواب المكان من اغراس الرياحين فوق حماد وهو يتوقع ان يرى احداً او يسمع  
صوتاً فلم يولّس غير المكوت فبش الى باب رآه في صدر الدار فتفتحه وصعد في سلم  
ومعه عبدالله فانتهى الى رواق مشي فيه فاطل من نافذة منووحة تطل على غرفة مقفلة  
الابواب فتناول بهنو يستطلع ما فيها فرأى شجراً منزوياً في بعض جدرانها عليه لباس  
النساء فتادها فصاحت وصوتها يرتجف فائلة ليس في هذا المكان احد من الرجال  
فاذا كنتم تريدون النهب فاشفقوا على النساء

فاختلج قلب حماد لما سمع ذلك الصوت وتنسم منه شخصاً بهرقة فقال لا تخافي  
يا خاله فإنحن من الاعداء ولا تريد بك شراً وإنا نحن نسأل عن اهل ملك غسان  
فلما سمعت المرأة صوت حماد دنت من النافذة وتقرعت فيه فعرف انها خادمة هند  
التي حملت اليو الكتاب في دهر مجبراه وإما في فحالما عرفت قالت الملك ميدي حماد

فقد كدت التي حنفي في انتظارك

فقال انفي الباب ولا تخافي واخبريني خبرك

فتحت الباب وهت بيك فقبلتها وقالت والبقعة لا تزال ظاهرة على وجهها وقد امتنع لونها « لقد خرج اهل الملك من دمشق منذ اسابيع وتركوني هنا في انتظار قدومك لاطلقك على خبرهم فطال غيابك حتى يثمت من لهابك ثم حوصرت المدينة ووقع ما وقع فيها من القتل والنهب . ولما سمعت وقع اقدامكم الآن حصنكم من العرب الفاتحين فحننت واخبيت في هذه الغرفة فنشكر الله على ما حصل »

فقال حماد اخبريني يا خالة ابن سيدتك هند

فالتت لقد خرجت من دمشق مع والدتها وسائر الخدم بامر والدتها قبل الحصار

قال وابن في الآن

فالتت اظنها في بيت المقدس لان سيدي الملك بعد ان انفذ اليها ان تغادب للاقتراح بالامير ثعلبة عاد فكتب الي سيدي سعدى ان تأتي صريحا الى بيت المقدس لانها ابعد عن الخطر من دمشق والظاهر انه سيعبزم العرب على حصارها . ففقد ذلك على سيدي وخافت ان تأتي انت ولا تعلم بصيرها فاستفتني ما لاقص عليك الخبر فنظر حماد الى عبد الله وقال ما الراي يا امير

فقال لا حملة في الواقع يا مولاي فان مقامنا في دمشق لا يجدينا نفعا وارى ان نغتنم اول فرصة للخروج الى بيت المقدس

فالتت حماد الى المرأة وقال لها وانت ماذا تفعلين

فالتت اذا بقيت حية سأذهب الى بيت المقدس

قال ان الحرب قد انقضت وتم الصلح فلا بأس عليك ولكنني لا اظنك تستطيعين الذهاب وحدي وانت امرأة

فالتت انما استطعت ذلك لاني امرأة لان هؤلاء العرب شديدو المحافظة على الاعراض فاذا اتيت احد منهم كان لي عونا في اصابي الى حيث اريد

فقال اوصيك اذا اتيت بيت المقدس وكانت هند لا تزال هناك ان تقر بها مي السلام وتخبرها اني قادم اليها على عجل ان شاء الله

قال ذلك ونحوه مسرعا وعبد الله معه ثم قال علينا بالاسراع الى بيت المقدس

قال عبدالله علينا قبل الذهاب ان نحمل امنعتنا فانها في معسكر ابي عبيدة  
قال لا بد لنا من الانظار ريثما يبدأ الليل ونسكن الاحوال فودع ابا عبيدة  
ونشكروا على حسن وفادته ونصرف ولعلنا يصحبنا من يدفع عنا خطر الطريق  
فخرجوا من المنزل فالتفتا التمس فودعا وخرجا الى الشارع وكان الناس قد  
استأمنوا وهدأت الاحوال فعارا نوا الى قصر الحاكم فرأيا المسلمين قد تغلوه ووضعوا  
أيديهم على ما فيه وامل توما يحملون الاحمال ويخرجون مهولون وفيهم النساء والرجال  
فأسفا لما انتهت البو حال هؤلاء وتذكر حماد انه توما يوم لقته في ذلك القصر  
فاعتبر رثا مل

وفضا بنية ذلك اليوم والناس في هرج بين مهاجرون وسلم ولم يستطعا مقابلة  
ابي عبيدة ليخاطباه بشأن الذهاب

وفي اليوم التالي دخلا عليه فاذا هو قد ازداد رفعة بعز البصر وكان جالسا يلي  
على كاتبة وهو يكتب الى الامام عمر بن الخطاب ففتحها حتى انتهى من الكتاب فدخلا عليه  
فرحب بهما ونش لما وخاطب حمادا قائلا انك خدمت هذه المدينة خدمة تستوجب  
الثناء عليها لانك كنت الماسطة في حجب الدماء

فنجبل حماد لذلك الاطراء وقال اني لم افعل شيئا استوجب عليه ثناء وان ما  
حصل من الصالح انما كان من رغبة الامر في السلام ثم هم حماد ان يذكر له عزمة على  
الخروج الى بيت المقدس واكبه لم ير قبلا الى ذلك فصمت فادرك عبدالله ذلك فيو  
فخاطب ابا عبيدة قائلا لقد اتينا يا مولاي بمثلك بالفتح الذي هم على يدك ونمنا ذلك  
بالانصراف

فقال ابو عبيدة والى اين تنصرفون  
قال ان لنا في بيت المقدس املا نريد النزوع اليهم  
ففكر ابو عبيدة مدة ثم قال لم بأن زمن الانصراف بعد فالربط في ضيافتنا اياما  
نعمن وفادتك بعدما عانهم معنا في زمن الحرب ثم تنصرفون ومعكم رجال منا حتى  
تبلغوا ما منكم

فلم يغيرا عبدالله على مراجعة ابي عبيدة ولبث صامتا على نية العود الى الامتدنان  
في فرصة اخرى ولكنه استأذنه في الخروج الى المعسكر ليستولي على الامتعة



فقال ابو عبيدة ان امتعكم وخبوكم في ما من مع امتعنا في المعسكر ونمى خارجون اليها لاننا لانحب الاقامة في القصور خوفاً من الانغاس في الترف

## الفصل الثامن والثمانون

### \* مهمة خطرة \*

وفي الغد خرج الجميع الى المعسكر وقد اتسموا الغنائم ونزل كل في خيمته وكان عبد الله يتوقع عود الدليل من مهمته التي سار فيها الى بصرى فلم يعد فعلم انه انما رغب في الذهاب فراراً من غائلة ذلك الحصار فلما وما فلان على سلمان وهند فحاولا مخاطبة ابي عبيدة مرة ثانية في الممير الى بيت المقدس فلم يملكا فرصة لانفعالوا في تعبير الجند لفتح ساحل الشام وغيرها من البلاد فصبرا ريثما تسخ الفرصة فمضت ايام وما على ذلك حتى اصبحا ذات يوم وما على مثل الجمر في انتظار الخروج الى بيت المقدس يتوقعان حملة يخرجان بها فرأيا بعض الجند في هرج وساعة فخرجوا فاذا بها بهجان قد دخل المعسكر وعليه غبار الاسفار فعرفا انه رسول من الامام عمر الى ابي عبيدة ثم رأياه ترجل ودخل فسطاطه فلبثا ينتظران ما جاء و

وبعد ههذه خرج الرسول وجاء بعض الفاتحين في خدمة ابي عبيدة والتمسوا من عبد الله وحداد الذهاب الى فسطاط الامير حالاً . فاجمعا خيفة اثلا يكون في تلك الدعوة ما بدعوا الى التأجيل

فلما دخلا رأيا ابا عبيدة في صدر الفسطاط والى جانبه خالد بن الوليد وعمر بن العاص وغيرها من الامراء فحيام فامرهما بالجلوس

ثم قال لهما مخاطباً عبد الله « لقد انأ في اخي ( وشار الى خالد ) انكم من اهل العراق ولم اكن اجهل ذلك ولكني دلمت منه انكم من امراء العراق العارفين باحوال تلك البلاد وقد شاهدنا من اخلاصكم في خدمتنا ما دنا الى تكليفكم امراً نموجودون عليه الاجر والكتاب

فازداد عبد الله خوفاً من تلك الدعوة ولكمة نظاهر بالارتياح وقال اننا في

خدمة الأمير طوع اراد تو

فقال لقد جاءنا رسول مولانا امير المؤمنين الآن يدعونا الى نصره اخواننا في العراق وان ننفذ اليهم جنداً من خبرنا تلك الارض<sup>(١)</sup> فاريد ان تسيروا مع تلك النجدة وفي ذهابكما خير لكما وخدمة لجند الجهاد

فقال عبد الله ان امره وولاي الامير مطاع ولو انتدني الى حيث اراد لفعلت ولكنني خرجت من العراق منذ اعوام ولا ادري ما طرأ عليهما من التغيير والتبديل فاختشى ان لا يكون في ذهابي فائدة لكم وزد على ذلك اننا ممتنعون الببال على بعض اهلنا في بيت المقدس

وكان خالد مصغياً لما يهدون عبد الله وكان يتوقع ذلك الجواب منه فقال له لقد سمعت من خادمك سلمان يوم صالح الحيرة انك صاحب عقار وكلمة نافذة وقد حيناً لك مالك واهلك في ذلك الصلح فكيف تعذر عن الذهاب . قال خالد ذلك وعلامات الغضب تكاد تظهر على وجهه فخاف عبد الله عاقبة اعتذاره فابتدره قائلاً اني لا اعتذر عن الذهاب فان ذلك فرض علي ولكنني اود ان انتقد الذين في بيت المقدس ايضاً

فقال ابو عبيدة فليذهب اليك حماد الى بيت المقدس ونحن نصنع به بن بوصلة اليها وسرانت الى العراق وكن وانما اننا نحافظ على اهلك وولدك معانظتنا على اهلنا لا بك في ذمتنا واعلم ان سفرك الى العراق لا يطول لان الفتح قريب ان شاء الله فاذعن عبد الله صاغراً العلو ان تردده ربما هاج غضب خالد لما يعلم من شدته وتصارعه

اما حماد فشقى عليه فراق عبد الله ولكنه نأسى بقرب مشاعته هند

فقال عبد الله هل يا امر مولاي بتسيير والدي هذا قبل خروجي

قال نعم سنميرن في القدر واما انت فلا بد من بمائك بضعة ايام ريثما يتأهب الجند للذهاب

ثم خرج عبد الله وحماد الى الخيمة لا يلويان على شيء وباتنا تلك الليلة لا حديث لم الا حديث ذلك التراق وفكرا طويلاً في الفرار ولكنها خافنا العاقبة فضلاً عما

حسبها من نجس العيون وما قد تكون عاقبة الفرار لو قبض عليها . ولو كان حديثها مع ابي عبيدة لمان الغناص لما يعلمانو من سهولة اخلاقه اما خالد فانه سريع الانتقام وفي الغدر كبح حماد وودع عبدالله وتواعدا على اللقا . في بيت المقدس واذا اضطر حماد للخروج قبل محي . عبدالله فليترك له خبراً في كهنة القمامة هناك . ثم سار حماد الى ابي عبيدة فودعه فقال ابو عبيدة وهو يتهم سر بحراسة المولى ورجوان نلافك قريباً في بيت المقدس وقد نحتاج الى خدمتك هناك مثل حاجتنا اليها في دمشق . فادرك حماد انه يدبر الى قرب ذماهم لحصارها فتجاهل ولم يجب فامرا وعبيدة ببعض الرجال يسهرون معه لحمايته اثناء الطريق فصار وعبيدة عبدالله تراعيانو حتى تبارى اما هو فلما ابتعد عن دمشق تذكر هذا وحالها وخبيل له انها تزوجت بنعلبة فارعدت فرائصه ولكنه قال في نفسه انها لو كانت تقبل . لما انتذت في طامبي الى دمشق ثم احتبقت خادمتها لاستداعي الى بيت المقدس ثم فكر في طول مدة غيابها فغلب له انها يمست من قدومه فاضطرت لجارة والدها والقبول بنعلبة فنضى معظم الطريق في مثل هذه المحاسن

## الفصل التاسع والثمانون

### \* خيبة المسمى \*

وصل حماد بيت القدس فنزل في دير بالقرب من كهنة القمامة حتى اذا استراح قليلاً خرج للبحث عن هند في دير القمامة نفسه فاخذ يفتش ويمتطلع لعله يتفهم خبراً فلم ير احداً يعرف جبلة ولا اهله ولم يكن حديث انوم الا الحرب وعطافها وكلهم خائفون مما سمعوه عن سقوط دمشق فقال في نفسه لأذهبن الى قيم ذلك الدير لعله يبيننا نبأ وكان يونانياً فصار اليه فقال له القيم ان اهل الملك جبلة نزلوا هنا اياماً ولكنهم مافروا منذ اسبوع فاجل حماد وقال هل مافروا جميعاً نساء ورجالاً قال لقد كان النساء فقط عندنا ولكن رجالهم انما منذ اسبوع واقاموا هنا ساعات قليلة ثم اقلعوا جميعاً الى حيث لا يعلم احد

فقال حماد ألم يتركوا شيئاً من امتعهم هنا . قال تركوا منها ما لا قيمة له من ثقل الاحمال هبةً للمدبر ولم يأخذوا الا ما خف حمله وغلا ثمنه

فبهت حماد لذلك الخبر وقال في نفسه وهل ثعلبة معهم ثم لم يردّ من اعادة الموال فالتفت الى القيم وقال له انقدم اليك ان تعبرني سمعك ولا يثقل عليك سؤالي لان هؤلاء القوم بهمني امرهم وقد كنت في دمشق افاضي عذاب الحصار فلما تم صلحها انتهت لافتش عنهم فهل عرفت اشخاصهم جيداً

فاهتم القيم لمحدث حماد عن حصار دمشق وكان شديد الرغبة في سماعه

فقال له وهل عابنت الحصار بنفمك ورأيت جند العرب رأي العين

قال نعم رأيتهم واخطلط بهم وسمعت احاديثهم

قال الا قصصت علي حديث الحصار

فاضطرب حماد ان يقص عليه الخبر مختصراً استيلاً لرضاه لعله يصبر علي استئذنه

فلما اقتضى الحديث امتنع لون القيم وهو راهب طاعن في السن فقال وما ظنك بهم هل باتون البنا

قال اظنهم باتون اذا لم يجدد الامبراطور هرقل الهبة في التجديد والتزيم فان

هؤلاء العرب اشداء صبورون على القتال ولكن الله يجزي عبادہ . فاخبرني الآن عما

تعرفه من امراهل الملك جبلة

قال اما وقد اصحت لي عن رأيك بعد ان خبرت الامور فاخبرك يا ولدي ان

سقوط دمشق اوقع الرعب في قلوب رجالها فاصبح كل منهم خائفاً لا يأمن على نفسه

ولا اهلوه وكذلك جبلة فانه اسكن اهله في هذا الدبر وفي عزمو ان يعقد لابنته الوحيدة

علي ابن عمها . . . فهل بينك وبينهم قرابة

قال لمست بيننا قرابة ولكن لي مع الامير جبلة شغلاً هاماً قال ذلك وهو ينتظر

بقية الخبر ليرى ماذا تم من امر الاقتران

فقال الراهب ولكنني لحظت من الفتاة نفوراً شديداً من ابن عمها هذا وكان

والدهما قد كنني باقناعها

فارت الغيرة في قلب حماد واصبح كله آذاناً لسمع نهاية الحديث فقال وهل

القيمت

قال كلاً يا ولدي لانبا كنت شديدة النور وكنت اذا سالها اجابني والدموع مل عينيها تعتذر والدمع لا تأومها

ولم يتم الزامها كلامه حتى نثار الدمع من عيني حماد فضاغل باصلاح كونه و اخفاء لعلاطفه وقال لقد هني امره انثاة وارى من الظلم ان تجبروها على الافتران برجل لا تربك

قال الزامها بعد صدقت يا ولدي ولذلك فان العنابة الصمدانية حلت هذا المشكل على امون سهل فقال حماد وكيف ذلك

قال الزامها ان ابن عمها المذار ابو قتل في بعض المواقع الاخيرة فاجعل حماد اجفال البغية وقال هل تعلمت ذلك يا مولاي لعل الذي قل هو غير الخطاب

قال بل تعلمت انه مولاني سمعهم يتعدون بمكائيد وكانهم يمشون هداً بذلك فقال حماد الا تذكر اسمها قال اذكر ان اسمها ثعلبة

فايقن حماد بخبايا من ذلك المناظر ولكنه ما زال في ريب من مقرهه والدمع فقال وماذا تعلل مد ذلك

قال الزامها وفي اهل جملته عندها بعد ذلك ايماناً حتى شاع سقوط دمفق ونصرة المسلمين فوقع الرعب في قلوب الناس وجاء جملة ومعهم بعض الحاشية من رجاله فاسرعوا في حمل اسلحتهم ما خف حمه وغلا ثمة وخرجوا لخروج الماردين من الموت ولا ادري الى اين

فوقف حماد صامتاً وقد تجبر في امره لا يدري ماذا يعمل فتدبر بافتناره الى عبد الله وولممان وهو بعيد عنها فاظلمت الدنيا في عذو وضاق صدره فنهض للحال فودع الزامها واصرف الى حجرته وهو غارق في الحج الموحس لا ينفقه جهة مسير



## العصل التسعون

## \* سلمان \*

وكان حماد في أثناء مسيره الى الدير نائماً في بजार الملاجس يفكر تارة في هند وطوراً في سلمان وآونة في عبدالله حتى عظم عليه الامر وخيل له ان المسالك سدت دونه فضلاً عما كان يمرض سبيله من احوال الحرب وقد اصبح اهل اللثام في مروج على اثر مقوط دمشق واخذ في المهاجرة زرافات ووجداناً الى مصر او بلاد الروم او غيرها فوصل الدير وهو لا يدري انه وصل حتى اذا كان على مقربة من غرفته رأى عند بابها رجلاً كان جالماً ثم مرةً ملاقاته وحالماً وقع نظره عليه علم انه سلمان فناداه باسمه فترامى سلمان على يده يقبلها ويشكر الله على لقاءه فقال حماد اهلأ بك ايها الصديق لقد اطلت الغياب علينا فاذا قمنا من الوحشة مالم يبق لنا صبراً عليه فنجعل سلمان لذلك الاطراء وقال لقد غمرتني ايها الملك بفضلك فدعوتني صديقاً لك وما انا الا من بهض خدمك

فلما سمع حماد لفظ الملك تمثلت له حالته وتذكر حكاية النذر والانتقام وما شغله عن ذلك من شطغل الغرام وما انتهت اليه حالة من الهأس حتى كاس الايام قد كسبت عليه الشقاء فلا يكاد يقترب من نصيبه حتى يفاجئه عارض يحول دون مراده وأفضت به المحطات الى ضباع كل آماله بفرار جيلة واهله الى حيث لا يدري احد ولكن ظلمات تلك المخاوف كان يثقلها بعض النور ما يتوقعه من معاندة سلمان ومغفرتهم فزاد استئناسه به ولما رآه ينكر عليه ذلك الاطراء مال اليه وصانحه وقال له لا بل انك صديق طاهر من الصديق وما نحن في معرض الانساب وانما ينضل احدنا الآخر بما طبع عليه من مكارم الاخلاق والثناء وصدق المودة ولقد رأيت فيك من ذلك ما بهز مثالة

فاطرق سلمان خجلاً وميضاً حتى دخلا الحجرة وكل منهما يتوقع سماع حديث الاخر فلما استتب بها المقام قال حماد اين كان مقامك كل هذه المدة وما الذي جاء بك

الى هنا حتى التقينا على هذه الصورة  
قال سلمان ان لقاءنا يا سيدي لم يكن على سهيل الصدفة ولكنني قطعت القنار  
وطالعت البحث حتي علمت بمفرك وجئت على ما ترى . وقبل سرد حديثي الطويل  
ابشرك بموت ثعلبة

فتنهد حماد وقال لقد عرفت ذلك يا سلمان ولكنه جاءنا متأخراً وقد كادت  
تقطع منا الآمال

فقال سلمان وكيف ذلك

قال لاني سمعت بمقتل ثعلبة وفرار جيلة في وقت واحد في هذا اليوم

قال سلمان واي فرار

قال لقد تحققت فرار الابر جيلة من بيت المقدس بالامم الى حيث لا يعلم احد  
ونص علي مغنصر الحديث من يوم يجيئوا الى دمشق وسقوطها وسماعو مقام هند في  
بيت المقدس وما سمعته من قيم الدبر

وكان سلمان شاخصاً بصراً مصيحاً يسمعو حتي اتى على آخر الحديث فامتنع لونه  
وظهرت عليه مظاهر الاسف والبطل ولبث صامتاً كأنه اصيب بصدمة وكاد الدمع  
يتناثر من عينيه ثم تنهد وقال ألم تعلم الى ابن سافر جيلة يا سيدي

قال كلاً ولولا ذلك لمان الامر

قال سلمان لا نهأس يا مولاي اني غير تارك وسهله لا استقدمها في سهيل البحث  
عنه وبكفها الآن أما نخلفنا من ثعلبة

فقال حماد وكيف عرفت بمقتلك ومن هناك الى مكاني

قال متعلم ذلك من سباق حديثي عن سبب تقبي عك

قال افصص علينا خبرك

قال تركتكم في بصرى وجئت اليرموك فشهدت حربها وكان جيلة في الابر جيلة  
الحاربين فلما عقد لواء النصر المسلمين وقد علمت ان مدياً في دمشق همت بالمسير  
اليكم ثم حدثني نفي ان استطلع مقاصد جيلة وكان قد فر الى حصن برجاله وفيهم  
ثعلبة فما التفتيت بهم حتي أمرت بالمسير للقاء المسلمين في اجنادين فسرت اليها  
وشهدت موقعة هائلة وقعت بين الروم والعرب هناك تقسم لمولها الولدان وفي

تلك المارعة قتل ثعلبة وفشل جند الروم وفر الغساسنة . وكنت قد سمعت بحصار دمشق فآن لي ان اسير اليكم بالخبر فاسرعت الى بصرى فلم اجد احداً منكم فظننت الراهب الشيخ ينيثي بيجيركم فمرت اليوم فاذا هو قد مات فاسنت لوفاتو لعلمي انه لو كان حياً لهداني الى قركم فمكثت في بصرى مدة ابحت عنكم واسأل كل من عرفته فلم يرشدني مرشد فظننت انكم في دمشق ولكنني استبعدت ذلك لما دلت من حصارها ثم ما لبثت ان سمعت بمقطوعها فهمت بالمعبر اليها اعلي ارى احداً استطاع منه خبركم وفيما انا اهتم بذلك رأيت جنداً من المسلمين قادماً الى بصرى فقلت لعلي اتسم منه خبراً فلقيت اميرة مالك بن الحارث بن هشام وقد وجهه ابو عبيدة اميراً على حوران بعد سقوط دمشق<sup>(١)</sup> وكان الحارث بن هشام والد الامير مالك قد جاء مع ابي عبيدة اميراً في بني مخزوم لحصار دمشق<sup>(٢)</sup> فقتل في بعض الوقائع فلما سقطت دمشق تعين ابنه مالك اميراً على حوران لينجد الجند الذي يقوم من الحجاز مدداً لابي عبيدة في حروبه بالشام<sup>(٣)</sup>

فلما وصل هذا الجند الى بصرى تمكنت بطرق مختلفة من الاجتماع بالامير مالك فاخبرني عما كان من نزولكم على ابي عبيدة في الجابية والمهمة التي انفذك بها هذا الامير الى حاكم دمشق الى ان اتينا في بصرى وجئت الى بيت المقدس وخروج الامير عبدالله الى العراق فهروا حتى انتهت هذه المدينة وما زالت ابحت عن مفرك حتى علمت اليوم انك مقيم في هذا الدبر وانك خرجت منذ الصباح ففقت هنا في انتظارك حتى انتهت فاحمد الله على سلامتك وارجو ان تلقي بسودي الامير عبدالله قريباً

فقال حماد لقد نفذ الصبر يا سلمان واحتملت من غدر الزمان ما تعلم واراني قد مللت هذه الحياة المحنوقة بالمتآمره المزوجة بالمشاق ويحال لي ان الله لم يكتب لي نصيباً بهند مع ما تعلمه من تعاقب قاذبنا . قال ذلك وتزفرقت الدموع في عينيه . فنارت الحمرة في رأس سلمان حتى كاد ينفذ غيرة ونظر الى حماد وقال دع ذلك اليّ يا مولاي وانك على الله واذا كانت لك على ابي عبيدة دالة فلنذهب ابو اعلمنا

( ١ ) تاريخ الاعيان في جبل لبنان ( ٢ ) الوافدي ( ٣ ) والحارث بن هشام هو جد

الامراء الشهابيين من عشائر لبنان ويقال . ضم سمو بالشهابيين نسبة الى قرية شهاب من قرى حوران اقام بها مالك بعد ذلك ( ذكره تاريخ الاعيان نقلاً عن سجلات محكمة صيدا الشرعية )



نمتطلع منه خبراً

فقال حماد ان لي عليه دالة عظمى واقد اصبح بعد ما تم علي يدي من صلح  
الغام كثير الوثوق بي حتى اشار بوم قدومي الى بيت المقدس الى انه ربما يحتاج اليّ  
فيها مثل حاجتي في دمشق فلا اظني اذا استعنته في البحت عن جيلة الا فاعلاً ما ار يد  
قال سلمان وابن هو الآن

قال تركته في دمشق بيعت البعوث لنفخ ما بقي من بلاد الغام

قال اذا اذنت ان نذهب اليو غداً فعلنا

قال حسناً

فقال سلمان والاهتمام ظاهر على وجهه اتقدم اليك يا مولاي في امر ارجو ان

تطعنني فيه

قال وما هي

قال ارجو اذا نحن ظفرنا بجيلة هذه المرة ورأينا منه تردداً او سمعنا منه وعوداً ان  
لا نضع الوقت في الانتظار طالما طلة عبداً

قال حماد وما معنى ذلك

قال معنى ذلك يا سيدي ان تأخذ هنذا من بين يدي واراد هو اولم يرد  
فضحك حماد وكان قد قضى زمناً لا يضحك وقال سئري في ذلك يا سلمان .  
ونضاً بقة ذلك اليوم في الاحاديث المتنوعة وبانا على نية الاهتمام في الركوب  
الى دمشق في الصباح

## الفصل الحادي والتسعون

### \* حصار بيت المقدس \*

ولما اصبحوا أخذوا يهتفون في الخروج وكان ذلك اليوم من الاحاد فقال حماد لهم  
بنا ندخل كيسة القمامة تبرك بساع الصلاة قبل ذهابنا فخرجنا حتى اتينا الكيسة فرأينا  
جماهير الناس في صحنهم ينتظرون قدوم البطريرك لاقامة الصلاة فوقنا بينهم فلم ينمعا

من احاديثهم الا ما يتوقعونه من قدوم العرب لتفتح بيت المقدس ثم ما ج الناس وتزاحموا  
بما سبق بعضهم بعضاً فلما ان البطريرك قادم ولم تفض برهة حتى اطل بموكبه يتوكأ على  
عكازه يحف به الاساقفة والقسيسون وقد اوقدت الشموع وفتح الناس طربقاً في  
وطهم مرّ بها البطريرك وهم يتبركون بلمس رداؤه حتى دخل الكيسة فقبضوه حتى وقف  
عند المهيكل فبدل ثيابه بما يلبسه البطاركة اثناء الصلاة وعلى رأسه تاج مرصع  
بالحجارة الكريمة وعلى كتفيه فباء موركش بالذهب والنضة وفي عنقه صليب مرصع  
يتدلى على صدره بمسلسلة من الذهب وقد اوقدت الشموع واحرق البخور وعلت اصوات  
المرثمين والصلين ثم وقف البطريرك على عرشه وهو كرسي من العاج مزين بالنسبم.

الجميلة والتفت نحو الحماهير فاعلموا انه بهم بالكلام فاصطف اليه فقال بعد البركة  
« اعلموا معاشر الصرانية ان رجال العرب الحجازيين الذين قد سمعتم بقدومهم  
هذه البلاد وامتبلاهم على بصرى ودمشق قد استنجل امرهم حتى فقموا حلب وحمص  
وبعلبك وقيسارية وقسرين وانطاكية<sup>(١)</sup> وغيرها وقد باغى في هذا الصباغ امهم  
قادمون الى هذه المدينة المقدسة بمجد كبير وقد بلغكم على ما اظن خروج مولانا  
الامبراطور هرقل من بلاد الشام الى القسطنطينية لاحوال اقتضت ذلك وقد فوض  
اليها النصر في امر هذه الحرب بالتي هي احسن ففاوضنا حاكم هذه المدينة فرأينا  
من الحكمة ان لا ندع لاولئك العرب سبيلاً لتقريب شيء من ابنتها المقدسة فان  
فيها كموز الصرانية بل ندافعهم بالامر الممكن فاذا رأينا خطراً في مقاومتهم عقدنا معهم  
صلحاً نحتفظ به الارواح والاموال ونمنئي كرامتنا لا كما فعل اهل دمشق . فاعلموا  
ان نصلي الى الله ان يؤيدنا بالنصر في الدفاع عن قبر ابنا المخلص وهذه حصوننا متينة  
وعندنا العدة والرجال فانهدم الفخاق والطريق اولي الامر واعلموا ان الله لم يكن هؤلاء  
العرب من بلادنا الا لما اردناهم من الانغماس في دنائنا والانغمال عن طاعة الله  
بالفخاق والاقسام فلنجمع قلوبكم ولنُدافع جهد طاقتنا والله يفعل ما يشاء . »

فلما انتهى البطريرك من خطابه وضع الناس وهم بين مصوب ومضطرب أما حماد  
فلما انقضت الصلاة خرج وهو يقول لاهلنا لم تعد ثمة حاجة بنا الى دمشق فاننا  
لا نلبث ان نرى ابا عينك هنا وبالحق لي اني سأخدم في هذه المدينة خدمة اعظ

شأنًا من خدمتي في دمشق لأن أهلها على ما يظهر أقرب إلى الصلح من الدمشقيين .  
وسارا إلى مرتفع من المدينة بطل على ضواحيها وقضا بقية ذلك اليوم يتفوقان لهما  
بريان جند العرب قادمين وأهل المدينة بنأهبون للدفاع وفي صباح اليوم التالي رأيا  
الغبار يتصاعد في الأفق وبانت من تحته أعلام المسلمين وفي مقدمتها راية الققاب  
فعلم حماد أنهم رجال خالد بن الوليد وفي اليوم التالي جاءت فرقة أخرى نزلت في  
جانب آخر من المدينة وما زالوا يرون كل يوم فرقة تأتي بأعلامها وخيماها وتنزل  
في ناحية من المدينة حتى صارت عدة الفرق سبعة كل واحدة منها خمسة آلاف وجملة  
المجدد ٢٥ ألفا عليهم سبعة قواد عرف حماد بعد ذلك أنهم خالد بن الوليد وشرحبيل  
والمروال وهزید والمحبوب وقيس المرادي وعروة بن ماهل <sup>(١)</sup> فلما تحقق حماد  
ولمان انحصار المدينة على هذه الصورة جملا يبحثان عن أبي عبيدة لعله جاء معهم فلم  
يريا رايته هناك ولكن حماد كان يظن ان لابد من حضوره فخرج تلك المدينة

وقضا أياما يترددان بين أسوار بيت المقدس والدير يستطلعان مقاصد الروم  
فرأيا الخوف مستولاً على الخاصة أما العامة فكانوا لا يزالون مصرين على الدفاع فرموا  
المسلمين بالنشاب عن الأسوار فاجابهم المحملون بمثله ومضت ايام والحرب سجال بين  
الجهنميين حتى مل حماد الانتظار وعزل على الخروج إلى الشام للملافة أبي عبيدة وسأله  
عن جبلة فقال له سلمان ان الطريق لا يتخلو من الخطر يا مولاي واخشى اذا خرجنا  
من المدينة ان يستغشنا أهل فريدول بنا سوءا ولا فليكن خروجنا بجيلة فتربصا  
بضعة ايام وهم في كل يوم يتفان في مشارف المدينة يطلان على ما وراء الأسوار من  
السهول والممالك فرأيا يوما جيشا جديداً قادماً من جهة دمشق عرفا انه جند أبي  
عبيدة وفيهم رايته فاستبشر حماد وقال تدآن الوقت يا سلمان فلنسمع في سبيل إلى  
الخروج فما الرأي

قال الرأي ان نحرص حاكم المدينة على محاربة العرب بشأن الصلح فلملة ان  
يأذن بخروجنا او يخرج احدنا للمحاربة  
قال حماد ومن يوصلنا اليه ولنا لا اعرفه ولا هو يعرفنا ولا يثق بنا

(١) الواقدي . وذكر ابن الأثير عمرو بن العاص وبين روايته ورواية الواقدي تباين

قال سلمان دع ذلك اليّ فاني ادين باذن الله . وإطاعته علي ما ينوي اجراؤه .

## الفصل الثاني والتسعون

### \* صلح بيت المقدس \*

ورجعا الى الدير وليس سلمان احسن لباسا وسار يلمس الحاكم فقبل له انه عند الطربك في الكيسة فصار اليه فرأى الخدم والحاشية وقفوا امام غرفة الاستقبال لا ياذنون لاحد بالدخول فتقدم الي كبيرهم وقال له اني آت بهمة ذات بال الي حضرة الحاكم فاستأذنه بالدخول علوه . فاستأذنه فأذن له فدخل سلمان فاذا هو في غرفة قد خلا فيها البطريرك والحاكم وعلي وجهها دلائل البغنة وكأنها كانا في جدال فبعد بدخولوا امام البطريرك فقبل يدهو ثم قبل يدي الحاكم ووقف متأذبا فأذن له بالجلوس فجلس فقال له الحاكم وهو مقطب الوجه ما غرضك

قال ان غرضي بامولاي سلامة هذه المدينة من سلاح الاعداء وصيانة قبر السيد المسيح من الامانة والاحتفار  
قال ومن انت

قال اني تابع لامير من امراء العراق كان في جملة من شهد فتح دمشق وتوسط في صلحها بين الروم والعرب ولولا توسطه لاهرقت الدماء . وخربت تلك المدينة وله مع امراء جند المسلمين معرفة ودالة

فقال الحاكم اتريد ان نلتص الصلح من عند انفسنا ونحن لم نبد دفاعاً بعد فقال سلمان كلاً بما يودي انما اعرض عليكم الامر عرضاً ولا غرض لي فيه سوى حجب الدماء

فقال البطريرك بورك فبك يا بني ولكننا لا نرضى بما رضى به اهل دمشق فان بيت المقدس قبر سيدنا ومخلصنا وما نُسليمه بالامر السهل فقال سلمان اذا امر مولاي بسلام رأيت لا اظنه الا رضياً به  
قال قل

قال اري انكم اذا خابتم هؤلاء العرب بامر الصلح ان لا ترضوا بمقتك علي يد احد

منهم اجلاً لتمام هذه المدينة المقدسة وحفظاً لمنزلتكم ولكتمكم تطلبون ان يتم ذلك على يد امير المسلمين الاكبر وهو سلطانهم وخليفتهم ومقامه في يثرب بانجاز فاطمى ان يكون الصلح على يد فاذا رضوا به وأنى الخليفة بنفسه من كرمي ملكوا الى هنا كان في ذلك حفظ لكرامة هذه المدينة وامتيازها عن كل ما فتح من مدن الغمام قبلها

فامعن البطريرك بفكرتو قليلاً ثم قال ابن هو مولاك الامير

قال هو في منزله هنا فاذا امرتم باستقدامو فعلت

فامر باستقدامو فذهب سلمان وقد سرّ بنجاح مهمته حتى اتى حماداً وكان في انتظاره فلما قص عليه ما دار من الحديث نهض فلبس الامراء وسار مع سلمان حتى دخل على البطريرك والحاكم فلما رأياه استأنسا بطلعتو وما يجلى في وجهو من المهابة والجلال فاذا نجلوسو ثم قال البطريرك هل تعرف قائد جند هؤلاء العرب

قال نعم اعرفه جيداً ولي معه صداقة

قال هل انبأك تا بملك بما استقدمناك بدأ نو

قال نعم وهو الامر الذي اراه انا ايضاً وقد شهدت حرب هؤلاء في دمشق وبصرى وغيرها ورأيت من ثباتهم وصبرهم ما لا اقول ان الروم يعجزون عن مثله ولكهم قد يفلتون راحة الناس فتنف حركات الاعمال بلا فائدة وخصوصاً بعد ان رحمت أقدامهم في كثير من البلدان وزد على ذلك ان السهل الذي تطلعون محاربهم به يحفظ مقام هذه المدينة وكرامتها الى الابد اذ لا يجنى على حضرتم ان امير المسلمين المقيم في يثرب رجل عظيم جداً قد اقرب بظنه القريب والبعيد وهو عندهم في ارفع منزلة بعد نبهم لانه خليفة والقائم بأمرهم ولم يسبق انه قدم هذه البلاد لمثل هذا الشأن فقدمو بنفسو على ما ذكرت استنار خاص ونظر الما لي من الصداقة لدى الامير ابي عبيدة كبير امراء هذا الجند سأحب اليو ان يحجب طلبكم ولا اغلثه الا فاعلاً

فالتفت البطريرك الى الحاكم كأنه يستشير فقال الحاكم لا بأس من ذلك غير

اني لا ارضى ان ينهم هؤلاء انا خائفون او انا تطلب الصلح لعجزنا عن القتال

فابتدرو حماداً قائلاً لا تخف يا مولاي فاني اذا خابرتهم انما اجعل ذلك من

عند نفسي على اصلوب ليس عليكم منه بأس غير اني اتيسر ان يصحبني من يخرجني من

الاسوار قليلاً يستغني احد من رجالكم

فقال الحاكم لك علينا ذلك ونحن نطلب ان يبقى تابعك هذا هنا ريثما تعود  
قال لا بأس بذلك وخرج حماد حالاً فركب جواده ومعه بعض اهل النصر  
حتى اوصلوه الى باب المدينة فخرج الى معسكر ابي عيينة فلما رآه ابو عيينة استقبله  
باسماً ورحب به وقال له ألعلك جئت بمهمة اخرى .

قال اني لا آلو جهداً يا مولاي في كل ما يأول الى حجب الدماء .

فقال ابو عيينة هل جئنا اهل بيت المقدس الى السلم

قال نعم يا سيدي اظنهم يريدون الصلح ولكنني فهمت انهم رفعة لمقام هذه المدينة  
المقدسة يريدون ان يكون صلحها على يد خليفكم الامام عمر بن الخطاب ألا ترى  
انه يقدم اليها بنفسه وهي مدينة مقدسة يحترها كل طوائف الناس

قال لا اظنه الا قابلاً بذلك . وما بعد قبوله .

قال اذا اكدت لي قبوله جعلت الخابرة في ذلك رأساً بينكم وبين حاكم المدينة  
او بطريركها على مشهد من الناس واني انما جئت نوطنة للامر بمهمة خصوصية

فأتى ابو عيينة عليه وقال له لقد سمعت سعيماً حسناً بورك فيك واذا تم  
الصلح وقدم امير المؤمنين الى هنا سأقدمك اليه واذكر له شهادتك

قال ان ذلك شرف كبير احسبني سعيداً اذا حصلت عليه وانقدم الى مولاي  
الامير بسؤال ارجوان لا ينقل عليه

قال قل وما هي

قال اتعرف جيلة بن الاهيم امير الغساسنة الذي كان يجارهم مع الروم

قال نعم اعرفه وما حديثه .

قال ان لي معه امراً مبهيناً وكنت احسبه في بيت المقدس فجئت كما علمت فلم  
اجد ولا احداً من اهل وقيل لي انهم كانوا هناك وخرجوا لخروج الفارين لا يعلم  
احد بمفرهم فهل يعلم مولاي شيئاً عن هؤلاء الغساسنة

قال ابو عيينة ان الذي اعرفه من امر هذا الامير انه خرج من بلاد الشام جملة  
هو واهله وقد بعثت العيون عليه فاذا عرفت مفره انبأك به او ربما سمعت بقتله  
بسيننا الا اذا سلم صاغراً

قال وكيف تقتلونوه وهو انما يجارب بسيف مولاه الامبراطور ولعله اذا خبر لا  
بخنار غير التسليم

قال اما اذا سلم فهو في ذمتنا له ما لنا وعليه ما علينا والآن فان السيف بيننا وبينه  
واخشى مع ذلك ان يكون قد قتل في بعض الاماكن ولم يعلم به احد

فاضطرب قلب حماد وخاف ان تلك الحجازيون بجيلة واهله اذا التقوا بهم في  
مكان وقوع في حيرة ونظر الى ابي عبيدة وهو بهم ان يخاطبه في الامر ويوقفه الحذر

فلحظ ابو عبيدة ذلك فيه فقال ما لي اراك تحاذر ان تحاطني فهل يسوءك قتل جيلة

قال نعم يسوءني يا سيدي

قال وهل بينكما قرابة

قال وقد تلجج في الجواب نعم بيننا شبه قرابة

قال واي قرابة بينكما وامت من لحم وهو من غسان فالظاهر انها قرابة المصاهرة

فقال وهو مطرق نعم يا مولاي ثم رفع نظره اليه وقال هل يا ذن لي الامير بأمر

أقدم اليه فيه

قال قل ما بدالك

قال ان امر جيلة بهمني كثيراً وحياته اختدبها بجياني

قال وما معنى ذلك اني لم افهم السر فاذا كانت بينكما هذه العلاقة فما بالك لم

تدافع عنه في شيء ولا ذكرته امامي في مثل هذا المعرض قط

قال ان الاحوال لم تلجني الى ذلك قبل الآن اما وقد آتست فيك هذا

الانعطاف فأجتاسر في بك امرأ بهمني كتمان الآن ولكنني ابسطه لديك عساه ان

يعود علي بالفاثنة

قال قل ما هو

قال اعترف لمولاي الامير ابيك الله ان لي في جيلة مأرباً بهمني كثيراً ولا اخني

عنك اني خاطب ابنته وقد قضيت بضعة اعوام في انتظار وقت القران فحالت الحروب

بيني وبينه وكان آخر عهدي بالامر ان اجتمع بواباً هلو في بيت المقدس فلما جئتها

رايتهم قد رحلوا الى مكان لا يعلمه احد فجمت استنهم عن مكانهم قال ذلك وقد

ظهرت علي وجهه علامات الاهتمام بمازجها الحياء

فقال ابو عبيدة وهو ينظر الى وجهه يراعي حركاته « كيف هان على ملك غسان ان يزوجك ابنته وانت غريب ولست من سلالة الملوك »

فتغير حال حماد وعلا وجهه الاحمرار لما تذكر من حقيقة نسبه ولكنه تجاهل وقال « لقد عابنا في سبيل ذلك مشقة ولعله السبب في تأخير الاقتران الى اليوم »

فقال ابو عبيدة طب نفساً يا حماد واعلم اني نصيرك في الحصول على مرامك ولا يبقى لجلبة ان يفاخرك في النسب وانت شهم هام قد رفعنك هنك الى اعلى من مقام الملوك وما اني باث العيون والارصاد للبحث عن جيلة وساحملة على ما تريد فهاً فأتى حماد على غيرته وشكره وهمّ بوداعه على ان يعود الى حاكم بيت المقدس

بنتيجة الرسالة . فقال له ابو عبيدة تمّل ريثما اشاور الامراء في الاهر وامر فجاء خالد وسائر الامراء وخرج حماد فعقد ابو عبيدة مجلساً شاور فيه اصحابه فلما انتهض المجلس استدعي حماد فدخل على ابي عبيدة ولم يكن في الخيمة غيره فراه عابساً فقال له ما بال مولاي مقطب الوجه

فقال ليس بي بأس ولكنني لقيت من الامراء رغبة في اجراء الصلح على بدنا استعجالاً للفتح . لان استقدام الخليفة من المدينة يستغرق زمناً طويلاً وقد يمتنع عن المجيء لما يحول بينه وبين ذلك من المشاغل الهامة فادرك حماد ان البادي في ذلك الرأي خالد بن الوليد لما يعلم من عجلته ورغبته في الفخر فقال اظن الامير خالداً اكثر الامراء ميلاً الى هذا

فلم يجب ابو عبيدة في بادىء الرأي فصمت حماد ولبت ينتظر الجواب فقال ابن عبيدة عد الى حاكم ابلقاء<sup>(١)</sup> وقل له اننا قبلنا باجراء الصلح على يد امامنا الخليفة امير المؤمنين واذا جاءهم احد من الامراء بغير ذلك فهم مخبرون في القبول او غير

فنهض حماد فودعه واوصاه بالسعي في البحث عن جيلة ثم خرج يريد بيت المقدس فلقبه حماد فأخبره الخبر فسرّ لنجاح مهمته وقال له هلم بنا الى الحاكم فساروا اليه فلما اقبلا عليه استطلعها الخبر فقضّ حماد ما دار بينه وبين ابي عبيدة فقال الحاكم لا نصالح احداً غير الامام



فقال البطريرك ( وكان حاضراً ) وكيف نميز بين الامام واحد الامراء لو جاءنا باسمه  
فقال سلمان اني عالم بصفة امامهم وقد شاهدته بنسي غير مرة في المدينة يوم شهدت  
فتح مكة وكان لا يزال اميراً كسائر الامراء

وفي اليوم التالي صعد البطريرك والحاكم الى اسوار المدينة ومعها حماد وسلمان  
متكرين فلبثوا ينتظرون ما يكون من امر العرب فجاءهم رسول على جواد خاطهم من  
اسفل السور يطلب اليهم التسليم فقال البطريرك انا نقبل بالصلح اذا كان على يد  
اعظم امرائكم

فمضى الرسول وبعد برهة عاد معه فارس آخر علموا من لباسه وحاله انه من  
الامراء فقال الرسول هذا هو كبير امرائنا فصالحوه

فنظر حماد فاذا هو ابو عينة بنفسه فعلم ان رأي امرائه غلب على رأيه فجاء  
يطلب الصلح بنفسه فلما رآه البطريرك استطلع رأي حماد عن الرجل فقال هذا هو  
ابو عينة كبير امراء جند الشام  
فقال اليس هو ملكهم الكثير  
قال كلاً

فنظر البطريرك الى ابي عينة وقال انا لا نصالح احداً غير خليفتم المقيم في  
المدينة فاستقدموه واجعلوا الدماء

فعاد ابو عينة وفي اليوم التالي جاءهم خالد بمنزل ذلك فأبوا مصالحة (١)  
واصرروا الآن يأتهم عمر بنفسه وكان الفصل شتاء وقد تكاثرت الامطار والعواصف  
فامتنع على المسلمين الثبات هناك مثل ثباتهم في دمشق الشام لان اهل بيت المقدس  
مقيمون في البيوت والعرب في الخيام على انهم صبروا على مناجزتهم اربعة اشهر بين  
حرب ونضال ومخافة والروم مصرّون على ان يكون الصلح على يد الامام عمر فلم ير  
ابو عينة بداً من استقدامه فكتب اليه بذلك

اما حماد فكان يتردد الى معسكر ابي عينة يستطلع ما حدث من امر جيلة  
ويستحث ابا عينة على استقدام عمر قيماً بوعده ففضت الاشهر الاربعة ولم يقف لجيلة  
على خير

اما سلمان فانه لم يطلق صبراً في انتظار ابحاث ابي عبيدة فخرج بنفسه يستخير الناس من ظن انهم يعلمون شيئاً عن جيلة واهله فلم يسمع الا اخباراً متضاربة فمن قائل انهم فروا الى العراق او مصر او غيرها وقال آخرون انهم لا يزالون مختبئين في بعض بلاد الشام ولكن الاكثربن على انهم فروا الى العراق فعاد الى حماد بتلك الاخبار المتضاربة فلم تغنوه شيئاً فاشتد اليأس وضاعت دونه السبل ولم يكن برّ تعزية الا بقاء ابي عبيدة . ففينا هو عند ذات يوم وسلمان ينتظر خارجاً اذ دخل عليه رجل منبسط الوجه كأنه جاء ببشارة فقال ابو عبيدة ما وراوك

قال ان بالباب رسولاً من امير المؤمنين جاء يخبرنا بقدموه  
قال فليدخل فدخل الرجل وانار السفر بادية على وجهه وعلي ثياب  
فقال له ابو عبيدة ابن تركت امير المؤمنين  
قال تركته راكباً من دمشق واسرعت لبشارتك

فقال ابو عبيدة ما باله ابطاً علينا  
قال انما ابطاً لما اعترضه في طريقه من المسلمين يستنوثونه وينقضون اليه وهو لا يرى الا سماع اقوالهم والعدل بينهم

قال هكذا يكون الامراء بورك بطن حملك يا عمر . ثم بعث الى خالد وسائر الامراء فجاءه فأنبأهم بقدم عمرو وقال فلنذهب للقاتل والثفت الى حماد وهمس في اذنه لهم بنا لعلنا نسمع من اهل المدينة خبراً عن صاحبك جيلة

فركب الامراء وركب حماد ومعه سلمان وقد شغله ركوبه هذا عن اهتمامه بجيلة وخبره وكان الامراء بلباس الديباج والحبر<sup>(١)</sup> وقد امتطوا خيولاً فوقها السروج النضة<sup>(٢)</sup> ما غموة من دمشق الشام وغيرها الا ابا عبيدة فقد كان على قلوصة ( ناقة ) وفوقه عباءة قطانية وخطام الناقة من الشعر وساروا وقد تركوا الجند في مكانهم حول اسوار بيت المقدس . وكان حماد مشتاقاً لمشاهدة عمر بعد ان نولى امر المسلمين وهو يتوقع ان يراه في موكب حافل كما تعود ان يرى او يسمع عن ملوك الروم والفرس ما يبهز النظر ويستوقف البصر فكان كلما مشوا قليلاً تشوف عن بعد لعله يرى الغبار او نحوه مما يتقدم الموكب فلم ير شيئاً

## الفصل الثالث والتسعون

### \* الامام عمر بن الخطاب \*

وفيا هو يشوف رأى هجنا قادمة فقال في نفسه هذ هي طليعة الموكب قد جاءت  
بشارة فلما اقتربت رأى في مقدمتها هجينا احمر عليه من الجانبين غرارنان وامام  
الرحل قربة الماء ووراءه جفنة للزاد وقد امسك بخظام الناقة بدوي ماش .  
وعلى الناقة رجل ايض الوجه مع حمرة نعلوه شديد حمرة العينين حسن الخدين والانف  
خفيف العارضين ضخيم الكراديس على رأسه عمامة وعلى كتفيه عباءة من صوف عليها  
يضع عشرة رقعة بعضها من الجلد والبعض الآخر من الصوف (١) يحمل بيده درة هي  
عبارة عن سوط عريض من الجلد . فتعير حماد في امر هذا الهجان والتفت الى سلمان  
فابتدعه قائلاً هذا هو الامام عمر يا مولاي ثم ما ليث ان رأى ابا عبيدة ترجل عن  
ناقه واسرع نحوه وترجل عمر ايضاً وتعاقنا فتحقق حمادة الامام عمر فعجب لزهده ثم  
ما ليث ان سمع عمر ينتهر بعض الامراء فتقدم لسمع كلامه فاذا هو يؤنبهم لما اتخذوه  
من لباس الديباج والحرير وقال لهم ما بالكم تمسكنم بالديبا وغفلتم عن الآخرة ما هذه  
الملابس انما البسة اهل الترف وانتم في سبيل الجهاد قال ذلك وحسا عليهم التراب  
فقال ابو عبيدة اهدم يا امير المؤمنين اما اتخذوه كساء خارجياً وتحنه السلاح (٢)

ثم نادى ابو عبيدة حماداً فاقبل فقدمه الى عمر وقال له انه شاب من امراء  
العراق كان لنا نصيراً في حصار الشام واسطة في صلحها  
فرحب به عمر والتفت الى ابي عبيدة وقال لقد اذكرني بحيلة من الابهام الغساني  
الم يملك كناني بشأته

قال كلاً يا مولاي وما خسر

قال له خبر طويل سأقصه عليك بعدئذ وهلم بنا الآن الى بيت المقدس  
وركبوا جميعاً

أما حماد فلما سمع اسم عمو جلة خفق قلبه وتاق لماع حديثه ولكنه لم يجسر على

التماس ذلك فاضطر للانتظار الى فرصة اخرى وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على بيت المقدس وحولها معسكر العرب ورأوا الاعلام عن بعد ولما اقتربوا من الخيام سمعوا ضجيج الناس ورأوا جماعات منهم مهرولين للملافة عمر فرحب بهم وأثنى على غيبتهم وشكرهم لحسن جهادهم وذكر ما فجع من المدن على ايديهم حتى اذا وصلوا معسكر ابي عبيدة نزل عمر في فسطاط من شعر نصوه له هناك ونزل الامراء معه وآراحم الناس للنئين بمشاهدته وسامع كلامه . اما هو فجالس على التراب وجلس الجميع معه وحماد يعجب لزهة وتواضعه ثم نهض وألقى عليهم خطاباً ثم جلس الجميع يتحدثون بامر النفع وما لقوه من الجهد وما كان من فوزهم وكلهم فرحون وامارات الافتخار ظاهرة على وجوههم وكان حماد ينتظر ان يجري حديث جبلة لعل عمران يقص خبره فاشتغلوا عن ذلك باحاديث الفتح ثم نودي بالصلاة

فخرج حماد وقد ملّ الانتظار فقال ما قولك يا سلمان هل نسأله ليفص علينا خبر جبلة قال لا حاجة بنا الى ذلك ولما يكتمنا ان نسأل ابا عبيدة وهو يطلب اليه قال حسناً وسارا الى ابي عبيدة بعد الصلاة فلما وقع نظره على حماد قال له غداً نسمع حديث امير المؤمنين عن جبلة واهل بيته اما الآن فاطلب اليك ان تسير الى حاكم هذه المدينة فنشئ بقدم امير المؤمنين وقل له ليخرج للصلح ومتى عدت من هذه المهمة قدمتك الى مولانا الخليفة فتسال منه بركة وحظوة فخرج حماد وسلمان فانباأ الحاكم والبطيريك بقدم عمر فخرج البطيريك الى الاسوار وطلب ان يرى عمر رأي العين

فعاد حماد بالخبر فرمب عمر ناقته ورفعته ونقدم نحو الاسوار وابو غنيمة الى جانبه وكان حماد قد عاد الى الاسوار وأشار الى البطيريك انه هو الرجل فاستغرب ما رآه من سذاجة لباسه وكثرة زهده واعتبر بما انغمس فيه الروم من الترف والرفاه وما اراد الله من خضوعهم لاولئك العربان ثم نظر الى اعيان المدينة وكانوا وقوفاً معه على الاسوار وقال « اليكم يا اهل بيت المقدس هذا هو الرجل الذي تنفخ بلادنا على يد فاجر جلول اليه واطلبوا صلحه واعقدوا معه الامان والذمة (١) » ففتحوا الابواب وكانوا

قد ضاقوا ذرعا عن احتمال الحصار وخرجوا افواجا وفيهم الرجال والنساء والشيوخ والاطفال وصاحوا بصوت واحد يستغيثون فلما رآهم عمر على هذه الحالة تخشع لله وسجد وهو على قتب بعين ثم اناخ ناقته ونزل وقال للناس عودوا الى منازلكم ولكم الدمة والعهد

فعادوا ولم يقللوا الابواب وعاد عمر الى معسكره وفي صباح الغد دخل عمر المدينة والناس يرحبون به وقد رفعوا اصواتهم بالترنيم والترنيل وفيهم النفس في ايديهم المباخر حتى اتى سراي الحاكم قرب كنيسة القيامة واجتمع اليه الحاكم والبطريرك وكبار اهل الدولة وعقدوا صلحا اقرؤا به على اداء الجزية واوصى بهم الامام عمر خيرا وهدأت الاحوال وسكنت القلوب <sup>(١)</sup> الا قاب حماد فانه ما زال يتقلب على جمر الانتظار والتردد

## الفصل الرابع والتسعون

### \* جيلة بن الایهم \*

ومكث عمر في بيت المقدس عشرة ايام لم يخل يوما واحدا من الوفود من سائر انحاء سوريا وخصوصا البلاد التي خضعت للمسلمين فانهم كانوا في اشتياق لرؤية الخليفة . وفي اليوم الخامس من دخوله وهو يوم الجمعة خط عمر محرابا في المدينة وفي موضعه بني جامع بعد ذلك ففي ذلك اليوم سار حماد الى ابي عبيدة وشكا اليه قلقة ورغبته في سماع حكاية جيلة عن لسان الامام عمر فاستمعه الى المساء وقال له ان امير المؤمنين سيخرج من المدينة بعد صلاة العصر ليصلي العشاء مع باقي الامراء في فسطاطه وسنفضي السهرة هناك فينص علينا الخبر

وفي العصر خرج حماد وسلمان الى معسكر ابي عبيدة حتى اذا كان العشاء وصلى المسلمون سارا الى خيمة الامام عمر فلقبها بالحاجب فاستاذن لها فدخلتا وجلسا في بعض جوانب المكان وكانت الخيمة كبيرة وفيها زهاء خمسين رجلا

وكان الجميع جلوساً على الثرى تمثلاً بامامهم الخليفة وبعد ان قرأ القراء بعض السور وتبرك الناس بذلك المساء تقدم ابو عينة الى الامام عمر ان يقص عليه حكاية جبلة بن الهم ملك غسان وما كان من امره

فقال الامام عمر ماذا تعلمون عنه انتم

قال ابو عينة نعم انه فرّ باهل منزله الى مكان لا نعلمه

فتيسم عمر وقال انه لم يفر ولكنه جاء المدينة بعد فتح دمشق يلتمس الدخول في الاسلام فقبلت منه ذلك فاعتنق الاسلام واقام بيننا في اهل منزله معزراً مكرماً واذا له ان يبقى على ما اعتاده من فاخر اللباس من الحرير والديباج وركوب الخيل مسرجة بالسروج الثمينة عليها سلاسل الذهب في اعتاقها ولذا ركب وركبت حاشيته عقدا اذاب الخيل فسارت تخطر بهم حتى لانبى واحدة من نساء المدينة الا وتخرج لمشاهدتهم<sup>(١)</sup>

ولكننا ما برحنا نرى فيو روح الاستبداد والظلم ما يأنه عدل الاسلام لان هؤلاء العرب المنتصرة عاشروا الروم واعتنقوا ديانتهم وتخلعوا باخلافتهم ولا يخفى عليكم ما في دولة هؤلاء الروم من التفاوت بين طبقات رعاياهم فبا كل القوي منهم الضعيف يغير وجه الحق فاراد جبلة ان يسير على ذلك فاوقفناه عند حد

وما دعانا الى ايقافه خاصة حادثة جرت لرجل من فزارة مع جبلة وذلك اننا خرجنا من الحج وفيما نحن نطوف في البيت ومعنا جبلة وجمع غفير من المسلمين وفي جملتهم رجل من فزارة فوطى الفزاري آزار جبلة فاخل ازاره فغضب جبلة ورفع يده وضرب الفزاري فهشم انفه فجاء في هذا الرجل يشكو ما لم يوقعه الى جبلة فاتي فقلت ما هذا قال نعم اني هشمت انفه لانه تعمد حل ازاره ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عيني بالسيف

فلما قال ذلك علمت انه يريد الاستبداد فقلت اعلم يا جبلة انك مخطى وقد اقررت بما ارتكبت فعليك اما ان ترضي الرجل واما ان يفعل بك مثل فعلك يو . فعظم ذلك على الغساني واستغربه وقال وما ذا . قلت امر بهم انفك كما فعلت

فقال كيف ذاك يا امير المؤمنين وهو سوقه وانا ملك  
قلت ان الاسلام جعلك واباه فلست تنضله بشي \* الا النقي والعافية  
فقال وقد خاب ظنه « كنت ظننت يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام امنع  
مني في الجاهلية »

فقلت دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك  
فقال اذا انتصر

فقلت له ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك  
فلما رأى ابن الایهم ما صممت عليه سكت ثم قال لي اني ناظر في ذلك ليلتي هذه  
قلت انظر ما شئت ثم انصرف ولم اعد اراه ولا ادري مفر . وقد كتبت اليك  
بشأته والتست ان نجث عنه فهل علمت عنه شيئاً  
قال ابو عيينة كلاً يا مولاي انا قضينا اشهرًا ونحن نجث عنه فلم ننف له  
على خبر

## الفصل الخامس والتسعون

### \* مشورة وذكري \*

وكان حماد يسمع حديث عمر وهو شاخص ببصره يتناول بعنقه وقلبه يخفق في انتظار  
آخر الحكاية فلما اتى عمر على آخر كلامه انقبضت نفس حماد وعظم عليه الامر وهم  
مخاطبة عمر يستطلع رايه في مصير جيلة واهلها فاقعده هبة المجلس ومقام الخليفة وما صدق  
ان ارفض الجمع حتى خلا بسلامان ووقفنا بالقرب من معسكر ابي عيينة فقال حماد  
يا رأيك يا سلمان

قال لقد هان الامر يا مولاي والرأي عندي ان نجث عن جيلة في الطريق بين  
المدينة والشام اذ لا اظنه اذا فر من الحجاز الا قادمًا الى اطراف الشام او البلقاء او  
مكان آخر لم يفتحه المسلمون اولعله ينجي في بعض الديور ولا بد له في كل حال من  
المرور بدير مجير ولو متكرراً فلنجث عنه ونستقراهل الدير واذا اشكل الامر أكثر  
من ذلك قصدنا ناسك حوران فان له معرفة وكرامة

فتأفف حماد وتذمر ولكنه فكر في الامر فرأى كلام سلمان معقولاً فظل صامئاً  
برهة وسلمان ينظر اليه ويتأمل حاله فرآه غارقاً في بحار المواجهس وقد تولاه الانقباض  
وغلب عليه اليأس فقال له ما بال مولاي لم يعتد بكلامي العلي مخضئ في ما اقول  
قال لا اقول مخضئاً ونعم الرأي رأيك ولكنني افكر ياسلمان في هند كيف طال  
هذا الامد ولم يصلني منها علم ولم اسمع عنها خبراً مع علمها بذهابي الى بيت المقدس  
بعد فتح الشام

قال لا نلها يا سيدي ألا نعلم انها فتاة لانستطيع المجاهرة بامرها فضلاً عما كانوا  
فيه اثناء فرارهم من الخوف والاهتمام واقاموا في المدينة غرباء ثم عادوا فارين كما قد  
رأيت فهل نستطيع هندامراً

فقال حماد لا ادري ولكنني اراني مقيد الفكر مغلول اليدين والامير عبد الله  
بعيد عنا لا نعلم خبره ولا ما لاقاه في العراق

قال سلمان اما الامير عبد الله فانت تعلم انه من الحكمة والتعقل في ما لا نخشي  
عليه معه بأساً ولا يلبث ان يعود الينا وقد نال حظوة في عيني المسلمين  
ولكن ... وصت

فقال حماد ما بالك صمت قل ما في نفسك  
قال سلمان ماذا اقول ونحن كما قلت مقيدو الفكر مغلولو الايدي  
قال وما ذا نعي

قال اعني يا مولاي انا شغلنا بحروب الشام والتماس ملك غسان عن امرنا  
اتينا هذه البلاد من اجله ولولاه لكان مقامنا في العراق معاً ندافع عن دولة الفرس  
دفاعنا عن انفسنا

فاتبه حماد الى حكاية النذر وحقيقة نسيه وماله من التأر على الفرس فقال  
لقد صدقت يا سلمان انا تقاعدنا عن تأرنا وانشغلنا بهما انفسنا عن وصية والدي  
والله لو اني فرغت من مشاغي المتهاوت وخلوت بنفسي يوماً واحداً لما بقيت في هذه  
الديار بل كنت اول شاخص الى العراق اشهد فتح المدائن عاصمة تلك الدولة الظالمة  
واني لو انني بقرب سقوطها لما نعلمه من بطش العرب وفساد احوال الفرس وانقسام  
حكاهم بعضهم على بعض



فقال سلمان اذا نسير الى العراق ...

قال حماد بصوت مخنق ونفس صغيرة « وهد » ونظر الى سلمان فكان لنظريه وقع السهام على قلب سلمان فنظر اليه وتبسم ثم همّ به وضمه الى صدره وقال له ان هندا في المقام الاول يا مولاي ثم الفأر

فتنهذ حماد وقال لابل الانتقام للملك النعان قبل كل شيء. هكذا اوصانا بصوته المنبعث من ظلمات القبر ولكن ..... قال ذلك وترقرقت الدموع في عيني

فابتدريه سلمان قائلاً ان كلا الامرين مستدرك فلنبحث أولاً عن مفر هندا فاذنا النقينا بها وكان السفر الى العراق مستعجلاً وكان اجل الفرس قريباً أجلت الاقتران الى ما بعد الرجوع منها وسوط دولة الفرس والآن فانك نتزوج ثم نسير فقم بنا الى بيت المقدس وغداً نستطلع اخبار العراق ثم نسير للبحث عن جيلة واهله في اطراف الشام وحوارن ويفعل الله ما يشاء.

فقال حماد حسناً نرى ولكن ذهبننا الى بيت المقدس في هذا الليل لا يخلو من المشقة فضلاً عن الخطر وقد دعانا ابو عبيدة للمبيت عنده فلنبت هنا الليلة وغداً لناظر قريب

قال حسناً ونحولاً نحو النسطاط وقبل الوصول اليه سمعا اصواتاً عرقاً انها اصوات الفراء يملون القرآن والناس يصلون فتنبأ برهة حتى فرغوا من الصلاة فدخلنا على ابي عبيدة فقال لهما ابن ذهبننا وانا ابحت عنكما منذ خروجنا من مجلس الخليفة فقال حماد لقد كنا في شأن جيلة وخبره ولم يزدني حديث امير المؤمنين الا تلبكاً فلا ادري ابن هو هذا الرجل الآن

فقال ابو عبيدة سنبحث عنه في سواحل الشام لعله يقيم في مكان هناك او اذا كان قد خرج منها الى بلاد الروم او مصر او غيرها عرفنا خبره

فقال سلمان ونحن نرى ان نقتس عنه في اطراف الشام وحوارن لعلنا نسمع عنه شيئاً في بعض الدبور. قال ابو عبيدة نعم الرأي رأيت وسيكون بحثنا وبحثكم معاً فمن استطاع امرأ اطلع الآخر عليه

فقال حماد وماذا تعلمون من اخبار العراق وفارس فان والدي لم يكتب اليّ شيئاً منذ سفره

فقال ابو عبيدة ان ما اتانا به مولانا امير المؤمنين يسر كل مسلم فان النصر معقود ولواؤه لجنود المسلمين حينما ولوا وجوههم وقد كان الامام عمر على موعد من موقعة هائلة بين المسلمين والفرس في القادسية فخرج من المدينة وهو في انتظار البريد بخبرها وقد ابطأ عليه فاوعز الى نائبه في المدينة اذا جاء بريد العراق ان ينفذ اليه في بيت المقدس حالاً ف نحن نتنظر ورود البريد<sup>(١)</sup> انتظار الظمان لموارد الماء . وكلنا على يقين من نصره رجالنا مها تكاثرت جنود الفرس وافيالهم ودوابهم فإما اشد وطأة من الروم بل نحن اشد وطأة على الفرس منا على الروم لان هؤلاء اهل كتاب قد اوصينا بهم خيراً وإما الفرس فانهم محسوس يعبدون النار<sup>(٢)</sup> فضلاً عن اختلال احوال مملكتهم وتنازع دعاة الملك على كرسيمهم فقد توالى على ابوان كسرى بضعة ملوك في عام واحد بعضهم نساء والبعض الآخر من الرجال وملكتهم الآن يزدرجدر بن شهر يار ابن كسرى انوشروان وهو ضعيف الرأي لا يستطيع القيادة فهل يعقل ان جند يغلب جند امير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلى كل حال ان موعداً من اخبار النصر قريب ان شاء الله

ثم امر بعض رجاله فاعدوا خيمة للضيفين فباتا تلك الليلة واصبحا وقد قام الامام للخطابة والصلاة فاذن المؤذنون وصلى المصلون ففتحن حماد وسلمان ومشيا خارج المعسكر يقعدان في تلك الشوون فوق نظرم على هجين قادم من عرض الافق بسرعة البرق فقال سلمان هذا هو صاحب البريد على ما اظن فوقنا فاذا به دار حتى اتى معسكر ابي عبيدة وترجل عند فسطاطه فاسرعا الى الفسطاط فرأيا ابا عبيدة خارجاً من خيمته ومعه الهجان وهولا يزال بقباره وقد مشى وهيمته وراءه حتى اتوا فسطاط عمر فدخلوا جميعاً ودخل حماد وسلمان معهم فرحب بهم وخاطب صاحب البريد قائلاً ما وراءك يا رجل . فقال ما ورأى الا الخير . ومد يده فاستخرج من بين اثوابه صندوقاً ففتح واستخرج منه ملفاً من جلد ناوله الى الامام عمر ففضه ودفعه الى بعض خاصته وقال انله علينا لئرى ما كان من امير المسلمين في العراق فتناول الرجل الكتاب ووقف واخذ يقرأ والناس سكوت فاذا فيه :



## الفصل السادس والتسعون

## \* وقعة القادسية \*

« الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من سعد بن مالك امير جند العراق اما بعد فاني اكتب اليك تفصيل واقعة القادسية التي فاز بها المسلمون على اهل فارس واليك هي . جئنا يا امير المؤمنين بمجنود المسلمين من تعلم مع ما انضم اليهم من جند الشام وجملتهم جميعاً ٢٥٠٠٠ و نزلنا في القادسية بين العتيق والحنديك بجبال القنطرة والقادسية يا امير المؤمنين واقعة في راس بحيرة وراءها مضيق من البر يفصل بين البحيرة والفرات فاقمنا هناك شهرين ندافعهم نارة ونطاردهم اخرى حتى ملوا منا فكتبوا الى ملكهم يزدرج وشكوا ما يقاسونه وقالوا اننا اخربنا ما بيننا وبين الفرات ونهبنا الدواب والاطعمة . فبعث يزدرج الى رستم كبير قواده والحق عليه ان يقدم هو بنفسه لقتالنا فحاج وعسكر في ساباط . وقد كتب اليك بذلك في حينه فكتبنا اليها ان لا يكرتنا ما يأتينا عنهم فاستعنا الله وارسلنا نقرأ من المسلمين الى يزدرج في المدائن يدعونه الى الاسلام او الجزية او السيف فاستقدم رستم اليه واستشاره فيما جاؤوا من اجله فلما سمع مقالهم تهدهم وتوعدهم ثم وعدهم بقوت ومال وكساء فاجابوه بكلام شديد فاخرجهم من المدائن مهانين فلما رأينا ذلك منهم جعلنا نغزو ما حولنا من البلاد والقرى نسوق اغنامها وابقارها واسماكها وابلهها . فلما بلغ رسم ذلك حمل بجند عدده مئة الف وعشرون الفا<sup>(١)</sup> اربعون منها بقودها رجل اسمه المجالينوس والباقيون بقودهم رسم فجاؤونا في هذا الجند الثقيل ومعهم الفيلة والخيول وكانوا لا يمرون ببلدة الا اساقوا اهلها وشربوا خورها . واكثرنا من الفساد فيها فقم الناس عليهم وقد علمنا من بعض اسراهم انهم فضلو في انتقامهم هذا من المدائن الى القادسية اربعة اشهر فلما وصلوا القادسية عسكروا بجبالنا ورأينا معهم فيلة بعضها مشهور عندهم بالثك كالفيل الحسي فيل سابور الابيض وغيره . فنظم رستم جيشه فجعل من الافياء ١٨ في الوسط و ١٥ في الجانبين ثم انفرد هو في مكان مشرف ينظر منه الى جندنا وبعث اليها ان

نوافية رجل منا بكلمة فارسلت اليه واحداً فاخبرني لما عاد انه دخل على رسم فاذا هو جالس على سرير من الذهب وبين يديه البسط والفارق والوسائد المنسوجة بالذهب فلما وصل رسولنا بعباءته ودرعه وسيفه لم يبهمة ما رآه هناك من بهارج الدنيا ففاد جواده فوق البسط وثنى وسادتين ربطتهما فساء لوه ان يضع سلاحه فأبى حتى اقبل على رسم فابتدره ترجمائه وهو من اهل الحيرة واسمه عبود فسأله عما جاء من اجله فاجابه بالدعوة التي تعلمونها فعظم ذلك عليهم وقالوا « كيف نطلبون قتالنا او الجزية وقد كنتم في قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً وكنتم اذا قحطت ارضكم استعطيتمونا فناً مر لكم بشيء من النمر والشعير ونردكم ولا ننظنكم قادمين علينا الا من المجهد فاننا امر لا ميركم بكسوة وبغل والاف درهم ولكل منكم وقرنم وتنصرفون عنا » فاجابه الرسول بما اسكنه وبعد جدال طويل غضب رسم واقسم ان النهار لا يطلع قبل ان يقتلنا اجمعين فقال له الرسول من يقتل منا يدخل الجنة وارسلت اليه رسلاً آخرين يدعونه الى ما هو خير لنا وله فاجابهم بمثل جوابه الاول فلم يجيدنا ذلك نعماً

« وفي اليوم التالي جلس رسم على سرير و ضرب عليه طيارة وعين الاقبال كما ذكرت واتخذ في ايصال خبر الحرب الى ملكه يزدرج طريقة اعجبني ولعلي متخذها في بعض حروبي ان شاء الله وذلك انه جعل بينه وبين يزدرج رجالاً على كل دعوة رجالاً او لهم على باب ابوانه في المداين وآخرهم عند رسم فكل ما فعل رسم شيئاً قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا الى ان ينتهي الى يزدرج في اسرع وقت . وكنت يا امير المؤمنين مصاباً بدمامل وعرق النساء فلا استطع الجلوس وانما كنت اجلس مكباً على وجبي وصدرى فوق وسادة على سطح القصر اشرف على الناس وارى قتالهم ولكن الله اعاننا بمنه وكرمه فاننا لما رأينا النرس ينهبون للقتال بعثنا الخطباء في المجند وقرأنا سورة المجهاد ثم صلينا الظهر وكبرنا اربعاً فرحف المجند وتلاحم الجيوشان والله يا امير المؤمنين لقد كنت ارى جند فارس ينهالون كالسيل وفيهم الاقبال كالأماح المتلاطمة وهي تنور فتلتقف الرماح والنبال بجراطمها وتدوس الناس والخيول بخفافها فهالني امرها فقلت يا قوم اما من حيلة لما فرماها بعض المسلمين بالنبل فقتل ركبها وتقدم آخرون فازاحوا عنها

توايئتها فتلبكت حركاتها وفسد نظامها فجاء المساء وقد قتل من الفرس جند كبير وفي اليوم التالي وصلتنا نجدة اهل الشام التي ارسلها ابو عبيدة فهاجمنا الفرس حتى كدنا نقبض على رستم ولكنه نجأ وفي اليوم الثالث لقي الجند ان شدة وجهداً اما نحن فواصلنا العمل في الليل وكانت ليلة سمينها ليلة الهرب لان رجالنا لم يكونوا يتكلمون وانما كانوا يهرون هراً فنقلنا الجند الى مكان يأخذ العدو من خلفهم ففعلنا ذلك وهم لا يعلمون

« ولما اصبحنا هاجمنا اعداء الله من كل جانب ففشلوا واختل نظامهم ووصل بعض رجالنا الى سربر رستم وقد اطارت الرمح الطيارة عنه فاستظل بظل بغل فقتلوه وقتلوا الجالينوس فانهزم الفرس شر هزيمة فتعقبهم رجالنا وغنمنا اسلحتهم واتصرونا نصراً ميئاً<sup>(١)</sup> ونحن سائرون الآن لنقع المدائن بعون الله تعالى » انتهى  
فما فرغ القاري من قراءة الكتاب حتى ضج المسلمون بالتكبير والشكر لله على ذلك النقع اما حماد فانه صبر على سماع الخبر رغماً عنه فلما تفرق الناس خرج حماد وسلمان فقال سلمان بظهر ان اجل الفرس قريب وسيفتح المسلمون عاصمتهم فبندك عرشهم ويكون ذلك جزاء ما كسبته ايديهم من قتل الابرياء  
فقال حماد ولكننا لم نستفد شيئاً عن الامير عبد الله ولا عن جبلة ألا نظن صاحب البريد يعلم شيئاً عن ذلك

قال ربما كان على علم فلم بنا نستطلعهُ وساروا يبحثان عنه فاذا هو قد خرج الى خيمة بعض الجند للاغتسال والوضوء وتناول الطعام  
فقال سلمان اظن صاحب البريد يجناج الى الراحة بعد سفره الطويل فلندعه وشأنه على ان نعود اليه في صباح الغد  
قال حماد لقد احسنت رأياً وانصرفا الى خيمة للاستراحة



\* فتاة غسان \*

## الفصل السابع والتسعون

\* ويا أتيك بالاخبار من لا تسأله \*

تركنا حماداً وسلمان وقد انصرفا الى خيمة بلنسان الراحة ريثما يتمكننا من مقابلة ساعي البريد واستطلاع خبر جلة وعبد الله . وفيما هما صائران الى الخيمة رأيا غموراً حدياء عليها سمات الفقر وغار الاسفار قادمة نحوهما تنوكاً على عكاز وقد آنت راسها بخمار فظنّاهما من المتسولات فلم يعبأ بهما وظلّا في طريقهما حتى دخلا الخيمة وليس فيها سواهما وما لبثا ان جلسا حتى رأيا تلك العجوز قد شئت حجاب الخيمة بعصاها ودخلت بلا استئذان فصاح بها سلمان ما غرضك يا خالة

فلم تخبّه وظلّت داخلّة حتى دنت من حماد وحسرت اللثام عن وجهها فاذا هي خادمة هند التي لقبها في دمشق فحنق قلبه لرؤيتها وشعر بانعطاف نحوها وقد تنسم منها رائحة حبيبته فبغت وصاح بها ما خبرك وابن هند

قالت تمهل ريثما استريح فاخبرك الخبر وقد جبت البلاد وتفحصت العباد وانا في هذا الري اجبت عنك فلم اقف لك على خير وقضيت حول هذه المدينة اياماً لا يخبرني احد عن مقامك ولا انا استطيع المجاهرة باسمك لان حالنا تدعو الى الاستتار . قالت ذلك وهي تبح عن وسادة تجلس عليها وتنظر الى خارج محزنة ان يسمعا احد فجلست وعينا حماد تراعيانها وقد نهد صبره في استطلاع حال هند فقال لها اخبريني عن هند قبل كل شيء هل هي في خير قالت كن مطمئناً انها في خير وسلامة لاترجو الا لقاءك

فقال ابن هي

قالت لا ادري ابن هي الآن ولكنني اعرف المخطّة التي تسير فيها فاذا قصصت عليك الحديث من اوله هان عليك فهم الحقيقة

قال قولي باختصار . وليت صامتاً مصغياً لما نقوله

فقالت تركتني في دمشق بجوار كبسة مريم فاسرعت الى ما بين يديّ ما

بُحِّل وأكثرت بغلة ركبها حتى أتيت بيت المقدس . وكانت سيدي هند ووالدتها  
وسائر اهل القصر مقيمين في دير هذه المدينة فانبا تم بستوط دمشق فخافوا ولكنني طأنت  
هنا وأملتها بقرب مجيئك فها ان عليها كل عسير ولينا ننتظر ذلك اليوم . ولكن الامر  
جاء بالعكس فان سيدي الملك جلة بعث الينا في اليوم التالي ان تنأهب للرحيل سراً  
ثم جاء هو وامو ان يسير على عجل بما خف حملة وغلا ثمة ولم يجسر احد من اهلنا ان  
يسأله عن جهة المسير ولولا ذلك لبقيت انا هنا لآخرك بمكانهم فرجنا وقد اسررت  
مولاتي هند الي انها حالما تعرف المكان الذي سنقيم فيه تبعث بخبر اليك

فسرنا اياماً وليالي ولم نخط رجالنا الا في المدينة مقام خليفة المسلمين الذي سمعتم  
الكتاب يتلى بين يديه الآن وقد كنا في خوف عظيم ولكننا آسنا اكراماً وحسن وفادة  
وبلغني ان سبب سلامتنا اعتناق سيدي الملك ديانة هؤلاء الناعمين . فلما ظننا المقام  
استقر بنا لم يبق على سيدي الا ان تنفذ اليك بذلك . وقد فاتني ان اخبرك وفاة نعلبة  
اولئك سمعت به قبلاً

قال حماد لقد سمعنا خبر رحمة الله

قالت ولم تكذ تتوسم الراحة ونحبي الامل حتى جاءنا سيدي الملك بعجلة وبفتنة كما  
فعل يوم خر ورجنا من هنا فتأهبنا وخرجنا في ليل داس خفنا فيه خوفاً شديداً ولكن  
بعض جيراننا اليهود من اهل المدينة كانوا لنا عوناً في مسيرنا الى ما وراء اسوارها . وفي  
اليوم التالي تحققتنا اننا قاصدون بلاد الشام فرأيت في سيدي هند ارتياحاً الى هذه  
الوجهة على رجاء ان تقرب ملك فنضينا في طريقنا هذه مدطال امدها ونحن نسير ليلاً  
متكررين ونحني نهاراً ولا نقيم الا في الدبور لانها امن مبيت او مقام لاهل الصراية  
وكنا نمكث في بعضها اياماً واساع . قالت ذلك وخننت صوتها لئلا يسمعا احد  
وجعلت تتطلع من باب الخيمة خوفاً من ينجس او يسمع . فقال لها سلمان تكلمي لا  
تجزي فان ليس في هذا المعسكر من يظن بنا سوءاً ولكن اخفي صوتك

قالت وأخر مكان اقمنا فيه دير بجبراء ولا تفعل عن حالنا لما اظلمنا قبل ذلك  
على صرح الغدير وبستانو وميدانو وما امتولى عليه اولئك الحجازيون من المغارس  
والابنية التي بناها الملوك الفساسة منذ اجيال وقد رأيت في وجه سيدي الملك  
علامات الغضب والنشل حتى كادت الدموع تنثاثر من عيني لولا عزة النفس . اما

سيدتي سعدى وهند فقد بكتنا واطن هندا انما بكت لذكراها امرا وقع لها في ذلك الصرح . والحلاصة اننا لم نصل دير بجيرا حتى اخذ البأس من سيدي الملك كل مأخذ لما ذاقه من ذل التنكر في بلاد كانت طوع اشارته لا يرثيها الا محنوقا بالجنود والاعوان فنصب له الاعلام ويحثل اهلها بقدميه فكيف يرثي الآن متنكرا يخاف ان يعرفه احد ( قالت ذلك وشرقت بدموعها فمسحتها بطرف خمارها ) . فتأثر سلمان وحماد لكلامها وغم عليها ما آلت اليه حال الغساسة وتصور حماد ان حال ملوك الحيرة سناول الى مثل ذلك فشكر الله في باطن سره لان سنوطهم سيكون على يد غير يد.

وانت المرأة حديثها فقالت . ففي ذات ليلة دعا سيدي الملك سيدتي سعدى وهندا وخلا بهما في حديث طويل وفي الصباح التالي دعاني سيدتي هند واسررت الي ان ابحت عنك في بيت المقدس فما حولها حتى اقف على مكانك واطببتك عنها واخبرك انهم ساروا الى العراق وسيفيئون في دير هند بعيدين عن الشام والبقاء لانهم لا يستطيعون صبرا على ما خرج من ايديهم ان يروا كل يوم رأي العين وايدي الغالين فوفوا فلما سمع ذكر دير هند اجفل وقال اي دير تعنين قالت دير هند في ضواحي الحيرة

فانظر الى سلمان وقال اعهد دير هند في الحيرة وليس خارجها فما هذا الدير فقال سلمان ان في الحيرة ديرين ينسبان الى هند احدها الاصغر وهو في الحيرة والاخر في ظاهرها اما الاول فقد سمي باسم اخنك هند بنه لما قبض كسرى على المرحوم والدك الملك النعمان في اوائل حكمه وحبس قبل ان تولد انت باعوام فذرت شقيقتك هنه ان رده الله الى ملكه ان نبي ديرا وتسكنه حتى تموت فلما اطلق سبيل والدك فعلت ذلك ومكثت في ذلك الدير (١)

واما الدير الاكبر وهو ما يسمونه بدير هند الكبرى فقد بنته هند بنت الحارث بن عمر بن حجر آكل المرار الكندي بظاهر الحيرة (٢) وهي من كتف وليست من لحم والدير كبير اذكر اني زرته غير مرة وكان رهبانة يترددون على منزل سيدي الامير عبدالله للمداولة بشؤون تتعلق باملاك له هناك . يا أم هذا الدير اس من جهات



العراق وغيره يقيمون فيه اباماً وفيه ما يحتاجون اليه من الزاد ونحوه  
 فنظر حماد الى المرأة وقال هل تظنين هندا في ذلك الدبر الآن  
 قالت لا ادري اذا كانت لا تزال هناك لانها اوصتني بما تقدم منذ بضعة اسابيع  
 قصيتها في البحث عنك . ولكن سيدتي سعادى اسرت الي بعد خروجي من بين يدي  
 هندان مولاي الملك جبلة انما يريد النخوص الى القسطنطينية ليقيم بقرب امبراطوره  
 هرقل معززا مكرما وانه سيجعل طريقه في الفرات ومنه برا في البلاد التي لم يصل  
 سيف المسلمين اليها اما سواحل الشام فانها في ايديهم لا يحلوا المرور بها من الخطر .  
 وقالت لي انها اقنعته ان يقيم في دير هند مدة ليرى ما يكون من حال جند العراق .  
 فاذا طال غيابي عنهم اظنهم يقصدون القسطنطينية وذاك آخر مكان يقصدونه  
 فافعل ما يبدوك

فلما سمع حماد ختام الحديث انقبضت نفسه مخافة ان يقصد العراق فيذهب  
 سعيه ضياعا وادرك سلمان فيه ذلك فقال له الا ترى يا مولاي ان يسيرنا الى العراق  
 في محررا فنصيب صيدين لم تكن في حاجة للبحث عن سيدي الامير عبد الله في العراق  
 فسيرنا الى هناك مجرعنا به وبهند ان شاء الله

فقال حماد لم تسمع ما تبلي علينا اليوم من خبر واقعة القادسية وهي بالقرب من  
 الحيرة الا نضن على الحيرة خطرا

قال سلمان ان الحيرة يا مولاي دخلت في صلح المسلمين منذ اعوام وكنت شاهدا  
 صلحها بنفسي وزد على ذلك ما نعلمه من صيانة الدبور عند المسلمين

فقال حماد وهل تعرف الطريق الى الحيرة

قال نعم

قال وانت ماذا تفعلين يا خالة

قالت لا اظني استطيع المسير معكما لما اننا فيه من الاستعجال ولكي اسعما في  
 طريق آخر اوابني في دير بجيرة انتظر خيرا من عندهم



## الفصل الثامن والتسعون

### ﴿ هند — في دير هند ﴾

دير هند الكبرى بناء واسع شادته هند بنت الحارث الكندية بحجارة ضخمة في بستان خارج الحيرة يشرف عن بعد على بحيرة كانت هناك وفي الحديقة أنواع الرياحين والازهار وحولها كروم العنب والبن وغيرها من الناكهة . يأوي اليه الرهبان من اهل العراق وفيه منازل للاضياف هي دار الضيافة ينزل فيها الغرباء من المارة او نحوهم يقيمون اياماً ثم ينصرفون . ورئيس الدير راهب شيخ سرياني اصله من ساباط . وقد جاء جند المسلمين العراق وحرق ما جرى لهم من الوقائع والدير في مأ من لم يصب بسوء واهله آمنون

ومن يستقبل باب الدير بوجهه يقرأ على عتبة نقشاً هذا نصه « بنت هند البعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر امه المسيح وام عبيد وبنت عبيد في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان في رمان مار افريم الاسقف فالاله الذي بنت له هذا الدير يعفر خطيئتها ويرحم عليها وعلى ولدها ويقبل بنومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر » (١)

في ذات ليلة بعد انقضاء واقعة القادسية وسكون الناس الى الراحة سمع اهل الدير قرع الاجراس وهي اجراس تعلق ببيان بعض الديورحتى اذا مرَّ غريب دفها فيفتحوا له فيبيت هناك يتناول الطعام او نحو . فلما سمع خدام الدير الدق هروا بعضهم الى الباب وكان الباب ثقيلاً مصغياً بالحديد وفيه المسامير الضخمة فاطل من فوقه من غرفة صغيرة فرأى ركاً على افراس ومعهم الخدم والامتعة فتزل الى الباب فتفتحه ورحب بالقادمين واسرع الى قيم الدير بحجة يقدم ركب كبير فدخلوا رفيعهم المشاة والفرسان فلما وصلوا الى ساحة الدير ترجل الفرسان وتقدم بعض المشاة فامسكوا بازمة الخيل ووقفوا جائباً لا ينفخ احد منهم بكلمة . فلما ترجلوا جميعاً تقدم واحد منهم وهو لا يزال ملتأ حتى دنا من قيم الدير فمسه في اذنه فاسرع وسار الكل

( ١ ) دائرة المعارف . ويلاحظ لنا انها كانت مكتوبة بالبريانية خطأ ولفه

وراءه الى غرفة باتوا فيها تلك الليلة واهل الدبر يتحدثون في من عسى ان يكون هؤلاء الناس الذين لتلثمهم لا يعرف النساء فيهم من الرجال ولكنهم عرفوا من قياتهم وسروج افراسهم انهم من اهل الشام وكانوا قد سمعوا بحروب المسلمين هناك فترجح لديهم انهم بعض كبار الغساسنة وهم بالحقيقة جيلة واهله فاقاموا هناك مستترين

اما حماد وسلمان فلما عزموا على العراق سارا لوداع ابي عبيدة فاذا هو يتأهب لوداع الامام عمرو قد هم بالرجوع الى المدينة فوقفنا ريثما ودعه فامتطى عمر جملة وركب معه بعض الامراء وودع الناس وتحول نحو المدينة وسلمان وحماد ينظران اليه ويعجبان بما اوتيوا من رفعة المتزلة مع رغبته في الزهد والاقتصار على بسائط الاشياء ولما توارى الامام معاد الامراء الى معسكرهم وفي مقدمتهم ابو عبيدة فانتظر حماد وسلمان ريثما خلا بنفسه فسارا اليه واستأذناه بالانصراف

فقال الى اين .

قال حماد اننا سائرون الى العراق لعلنا نلتقي بالذي فقد طال غيبته قال ثنوا بسلامته وصحبه فانه مقيم على الرحب والسعة وهل سمعتم خبراً عن جيلة قال لم نسمع خبراً بعد ولعلنا نعرف عنه شيئاً هناك ( قال ذلك وهو يعلم ان ابا عبيدة اذا علم بمكانه بعث من يقبض عليه عملاً بارادة الامام عمر فانكر مكانه )

فقال ابو عبيدة اظنكما نعترا ن عليو في العراق فقد سمعت من بعض الناس انه سار الى هناك وربما يقيم في دير هند الكبرى خارج الحيرة فلما سمع حماد ذلك اجفل ولكنه تجلد وتحامل وقال ستبحث عنه جهد الاستطاعة وهل تظن عليو بأساً اذا عرف مكانه .

قال ان امير المؤمنين كتب الى عماله في الشام وفلسطين والعراق كافة ان يقبضوا على الرجل حيثما وجدوه لانه اسلم وارثه وخرج من المدينة فاراً فشكر حماد لنفسه لانه لم يبع بمكان جيلة ولكنه خاف عليو من الرقباء ومال الى العجلة في المسير الى العراق فاستأذن ابا عبيدة وودعه سلمان وسارا الى خالد وغيره من الامراء ودعاهم وخرجوا يتأهبان للمسير



## الفصل التاسع والتسعون

### ❦ وادي الفرات ❦

وبعد بضعة ايام حملا ما استطاعا حملته من المتاع وخرجا من بيت المقدس وفيما هما في الطريق قال حماد لانتظما اذا اتينا العراق عائدین الى هذه البلاد فلنأخذ امتعتنا التي تركناها في بصرى وخصوصاً الدرع فانها كثر غنمين عندي وقد احتاج اليها في دفاع او هجوم . فمراً ببصرى فتزلا البيت حملا منه ما طاب لهما من خفيف الحمل وغالي الثمن وخرجا الى دير بجهرا ودخلا الصومعة قبلاً ابنتواتها فتذكر حماد اياماً مرت به هناك فهاجت فيه ذكرى هند وتنهت اشجاءه وتاقت نفسه الى العراق للقاءة حبيبته قل ان يصيبها سوء ولقيا في دير بجهراء خادمة هند فسألاها عن حالها فقالت انها ستسير في اثرهما مع قافلة من قوافل العراق

اما هما فاصطحبا خادماً او دليلاً يسوس الخيل ويدهلها على الطريق وسارا وهما نارة بمران بغياض وطوراً برمال وآونة بجبال وادوية ونارة بصخور وعرة وكانت اكثر البقاع مشقة عليها صحراء الشام وفيها بقايا مدينة تدمر العظيمة وبعد بضعة عشر يوماً اطلأ على وادي الفرات من اكمة مرتفعة فاذا هو سهل منبسطة يجترقها الفرات وفيها القنوتات والجحيرات بينها المغارس واليساتين . والمزارع وكان وصولهم الى هناك قبل الغروب فوقنا والخادم ينصب الخيمة على نية المبيت فوق ذلك النل اما حماد فوقف وهو على متن جواده والفتى الى تلك السهول الخصبه وما يتخللها من القرى والمدن وفيها الماشية عن بعد وشجر النخل كأنه جند واقف لائقاء النخلة فتذكر والدك النعمان وقال في نفسه هذه هي البلاد التي كان يحكمها والدي . ومررت بذاكرته خيالات جمه اكثرها مخيف ولكن صورة هند كانت تظللها كلها فتزبل المخاوف على انه ما لبث ان تصورها في حال الضيق فهب من اعماق تصوراتو وعاد الى قلنو

أما سلمان فكان يساعد الخادم في نصب الخيمة وإعداد معدات الراحة فلما فرغ من ذلك جاء الى سيدك وطلب اليه ان يترجل فتزجل فساق الخادم الفرس ووقف حماد وسلمان ينظران معاً الى وادي الفرات

فقال حماد وابن موقع الحيرة يا سلمان  
قال ان الحيرة اول مدينة تستقبلك قبل وصولك الفرات واظننا نشرف عليها  
غداً وبينها وبين القادسية بضعة عشر ميلاً

ثم جلسا للعشاء وانصرفا بعد الرقاد لان التعب اخذ منها مأخذاً عظيماً . وفي  
الصباح التالي بكرأوركما وحماد لا يصدق انه بشرف على الحيرة ويرى دبر هند ولو  
عن بعد . وبعد ظهر ذلك اليوم اشرفا على بحيرة من الماء كبيرة ظنها حماد لاول  
وهلة بمرأفقال ما هذا يا سلمان قال هذه بحيرة الخيف بامولاي وعلى ضفافها جرت واقعة  
القادسية التي سمعنا خبرها في معسكر ابي عبيد . ووراء هذه البحيرة شمالاً مدينة الحيرة مقام  
المناذرة اجدادك ووراء الحيرة شرقاً نهر الفرات . ولما دبر هند فهو خارج الحيرة وربما  
أطللنا عليه بعد قليل . ولا يخفى عليك ان معظم الكروم والبساتين المجاورة للدبر في  
ضواحي الحيرة هي من املك الامير عبدالله ولا تدري ماذا جرى فيها بعد واقعة  
القادسية واذا كان مولاي الامير من شهدوا الواقعة فاطنة بتدبر في حنظها وحماتها

فقال حماد الان نرى اذا اطللنا على الحيرة الآن ان نبيت في الدبر الليلة  
قال لا اظننا نستطيع ذلك والمسافة بعيدة ولا تدري ما هنالك من العقبات  
فقد ببيت الليلة في مكان على مقربة من الحيرة وفي الغد نسير الى الدبر

قال حسناً . وفي الغروب ظهرت لها الحيرة بانيتهما ولكن الضلام غشيها قبل ان  
يتبينها فباتا تلك الليلة واضحا وحماد لم يمت الا قليلاً لانه قلق وشوق فكان كلما تصور  
ملاقاة هنداً اغتمح قلبه فوصلا ضواحي الحيرة عند الظهر فاطلاً على دبر هند فلما رآه  
حماد تذكر انه يعرفه من ذي قبل ولكنه لم يدخله فمشيا بين الكروم ومغارس الفاكهة  
والزيتون وسلمان بدله على ما يملكه الامير عبدالله منها وحماد يزيد استئناساً ولكنه  
ما زال هاجساً بهند لا صبر له على لفاتها ثم وصلوا الى قناة من الماء نظلها شجر عظيمة  
وحولها الاشجار بانعة يثر بها النسيم اللطيف فتسمع لاوراقها حفيفاً يطرب السمع بما يمازجه  
من خرير الماء الجاري فوق الحصاة . فتقدم سلمان الى حماد ان يستريحاً هناك ويتناولوا  
الغداء وفي الاصيل يدخلوا الدبر

فقال حماد لا صبر لي على ذلك كيف نكون بقرب الدبر ولا تسرع اليه  
قال سلمان اري والامر لمولاي ان تستريح انت هنا والخادم يدبر لك الطعام  
واذهب انا الى الدبر ابحث عن هند واعود اليك بالخبر

قال لا اراني قادراً على ذلك ولا بد لي من المسير معك فلنترك احمالنا تحت  
هذه الشجرة مع الخادم ونذهب الى الدير  
قال افعل ما بدا لك فشرنا وغسلنا ايديهما ووجهيهما من الغبار وهما بالمسير



## الفصل المئة

### ❁ الفصل ❁

ركبا وسارا بين الاشجار والشمس فوق الرؤوس فلم يقنم ظلي الاغصان الا  
قليلاً حتى انتهيا الى باب الدير ومحمد قد نندصبه . وكان سلمان عارفاً بالجرس المعاني  
هناك فاجذب الحبل فدق الجرس ودق قلب حماد معه فوقنا رمة لم يتغ لها احد فاعاد  
الدق وبعد قليل اطل من فوق الباب راهب وقال مستغها . من انتم

قال سلمان زوار للدير

قال من اين انتم قادمون

قال من جهات الشام

فقال الراهب للهيئة النور « لا محل للزيارة عندنا » وتحوّل الى داخل الدير  
فناداه سلمان فلم يجب فكلمه بلسان اهل الحيرة فعاد الراهب وقد تذكر انه يعرف  
ذلك الصوت فاطل ثانية من اعلى الباب وقال من انتم

قال سلمان لسنا من اهل الشام واما نحن عراقيون مثلكم افتحوا لنا فتنفس الراهب  
في وجه سلمان برهة ثم جذب سلسلة مشدودة بالنافذة ففتح الباب فدخل حماد وسلمان  
وفرساها وراهما فاخذ الراهب برحب بهما وينظر الى سلمان لعله يعرفه

فقال له سلمان اتعرف هذا الشاب يا حضرة الاب . وأشار الى حماد

فالتفت اليه وقال اليس هو الامير حماد بن الامير عبد الله

قال بلى هو فهل رأيت والدني في هذه الاثناء

قال رأيت مراراً وهو الآن مع جند المسلمين في خيبر ولولاه لأصابنا ضحك وربما

قتلنا فقد كان لنا عوناً ومجئاً نورك فيه ومرحاً بابو  
وما زالوا سائرين حتى اتوا دار الضيافة وحماد ينظر يمنة ويسرة وقد شاعت  
عيناه لعله يرى شيئاً ينسم منه رائحة هد فلم يرَ إلا رهيباً وفعله فدخلوا دار الضيافة  
وتناول الفرسين بعض الخدم فساقوها الى الاسطبل وبعثوا من يدعو الخادم  
لبائى بالاحمال.

اما حماد فنعاطم قلقة ولم يعد يستطيع صبراً فادرك سلمان فيه ذلك فابتدر  
الراهب بالاستنهام عما معه من فتح الباب لها حلاً وما الذي يخافوه من اهل الشام  
فقال نلتس من الامير حماد عذراً على توقفنا عن استقبالو برهة وما ذلك الا  
لأننا وقعنا منذ ايام في ورطة بسبب ضياف زلوا عندنا وكأنا قادمين من الشام  
فقال سلمان ومن هم اولئك الاضياف

قال جاءنا جماعة نزلوا في هذا الدير شهراً ونحن نخشىهم من اعيان الشام فما لبثنا  
ان عرفنا انهم جيلة بن الابهيم وامرأته واسنة وبعض خدمه  
فلما ذكر جيلة واهله خفق قلب حماد وخاف ان يسمع خبراً يسوءه وقد عودته  
حوادث الايام ان يسيء المال في كل مستقبل فاصاح بسمعه ليرى ما تم لهم واكتفى  
باصغافه حاناً للراهب على اتمام حديثه . وكان بعض الرهبان قد جاؤا بالموايعين  
فيها الماء ليغتسل الضيفان فلم يفت احد منها اليها وظلاً مصغيين

قال الراهب : فاقام الملك جيلة بيننا اياماً على الرحب والسعة ونحن لا نحسبه الا  
من بعض امراء الشام . على اننا كنا نعجب لاحتجابه في الدير واحداً من العيون  
ونحن نتوسم من خبوه وخدامه انه محب للصيد والفروسية . ولكن الامر انكشف لنا  
بغثة فجاءنا جماعة من جند المسلمين في عشارى بعض الايام وفيهم الفرسان والمشاة  
وقرعو الباب فتحنا لهم ونحن غير خائفين لما نعلمه من العهود التي خصلوا الديور  
والكنائس بها . فخرج الرئيس المحترم لاستقبالهم فقالوا لا خوف عليكم ولكن عندكم  
عدوٌّ فرٌّ منا في حرب الشام وكان قد اسلم ثم ارتد فلا بد من القبض عليه وسوقه  
الى الامير سعد بن مالك

فسأله الرئيس عن ذلك العدو فقال انه جيلة بن الابهيم ملك غسان وكان جيلة  
قد رأى الرجال وعلم انهم قادمون للقبض عليه فترى ولو كان وحده لتمكن من

الفرار ولكنه لم يجد اليه سبيلاً . ففضوا عليه وساقوه حالاً ولم يهلوه ريثما يلتفت وراءه .  
فقطع سلمان الحديث قائلاً هل ساقوه وحنّ  
قال ساقوا معه امرأته والخدم

قال حماد وماذا جرى لابنته . قال ذلك وهو مضطرب الحواس  
قال الراهب اما انتي هند فكانت قد خرجت في صباح ذلك اليوم لزيارة دير  
هند الصغرى في الحيرة على ان تنضي نهارها هناك وتعود في المساء . فلما أخذ والداهما  
لم تكن في هنا فلما جاءت في المساء اخبرناهما بما كان فاجلت ولطمت خديها  
وندبت والداهما ثم وقفت تبكي تارة وتفكر أخرى حتى قاربت الشمس الزوال  
ونحن نختف عنها فسلنا عما قاله لنا والداهما قبل ذهابه فاعذرننا بأنه لم يستطع كلاماً  
لفرط ما الحوا عليه بالذهاب . فاسرعت الى جواد لها كان باقياً معنا فركبت وتزملت  
بعيامة من الحرير المزركش كأنها فارس مغوار واستنهمت عن الجهة التي ساروا فيها  
بوالدها فاشرنا اليها فمزت الفرس وخرجت تنهب الارض نهباً ونحن لا نهتد مثل  
ذلك في البنات . ثم لم نعد نعلم عنها خبراً

فما اتى الراهب على تمام الحديث حتى انقبضت نفس حماد وانقدت الغيرة في قلبه  
وتولاه اليأس فابت صامتاً كأنه اصاب بصدمة ثم التفت الى سلمان فاذا هو صامت يفكر  
فاستغرب الراهب . الما بينهما من البغنة وعهد بالخبيين يسرون بما يسوء الغساسنة  
لما بينهما من الضغائن القديمة فقال لهما ما بالي ارى حديث جيلة قد همكما الى هذا الحد  
وهو غساني العلكان من غسان

فقال سلمان لم يهنا حديثه ولا يهنا امر الغساسنة كلهم ولكننا نتكر في تلك النناة  
المسكينة . فهل مضى على ذهابهم منذ طويلة

قال لا تزيد على بضعة عشر يوماً

قال وهل سمعتم عنهم شيئاً بعد ذلك

قال سمعنا اخباراً متضاربة فمن قائل ان سعداً امير جند المسلمين قتلهم حالاً  
وقائل انهم قتلوا قبل وصولهم اليه وقائل انهم لا يزالون احياء

فازداد اضطراب قلب حماد وممّ بالنهوض فاقعد سلمان وقال للراهب متجاهلاً  
وماذا سمعتم عن ابنتي المسكينة



قال لم نسمع شيئاً عنها منذ خروجها ولعلها اقتضت آثارهم الى معسكر المسلمين فلم يعد حماد يستطيع صبراً فنبض الى جواده وتبعه سلمان . وكان خادم حماد قد وصل الدبر بما معه من الامتعة وجعلها في مأ من . فاعتردا في مكان

فلما خلقا قال حماد دعني يا سلمان اقضي اثر جملته فقد ضاق صدري وتجدثني نفسي بسوء اصليهم جميعاً . اذن نهاية آمالي ونتيجة اتعالي . قال ذلك وحرق اسنانه وتلاآت الدموع في عينيه ولكنه تجلد تجلد الرجال وقال علينا السعي يا سلمان وعلى الله التدبير . فما الرأي

قال الرأي ان نقصد معسكر المسلمين ويدخل على سعد بن مالك اميرهم فنسأله عن مولاي الامير عبدالله وهو عندك من كبار المشيرين كما نعلم فاذا لقيناه اعاننا في البحث عن جيلة واهله واذا كان جيلة لا يزال حياً وسقطنا الامير عبد الله بالعنوة عنه فقال نعم الرأي رأيتك ولكن هتدا أين هي

قال نظنهما معهم وهب ان والدها قتل فهي لا تقتل لان المسلمين لا يؤذون النساء فقد تكون عندهم في حفظ وخصوصاً اذا كان سيدي الامير عبدالله قد رآها او عرف مقرها

فقال حماد الا نظنهم يتخذونها سيبة . . اعوذ بالله قال ذلك وهم بالجواد بركبة فقال سلمان نهبل يا مولاي ربنا نلاقي رئيس الدبر ونسأله عن معسكر المسلمين لنلا نذل السعي والوقت عبثاً . قال حسناً وتجدا ودخلا على الرئيس وكان قد عرف قدمهما فرحب بهما وقبل حماداً وامرهما بمائدة فقالا لا نستطيع طعاماً لاننا خارجان على عجل لامرهم لنا وقد جئنا لوداعك . قال انودعاني قبل ان يلتقي قال كذلك قضى علينا وانتم تعلمون ان سيدي الامير عبد الله في معسكر المسلمين وفي نيتنا ان نذهب اليه فابن هو معسكرهم

قال ان المسلمين معسكرون الآن تجاه المداين في بهرشير <sup>(١)</sup> وانظنكم تعرفونها وهي بالحقيقة قسم من المداين فانها في الغرب والمداين في الشرق وبينهما دجلة . فقد نزل المسلمون على بهرشير وحاصروها شهرين ورموها بالنبال والحمايق حتي فطحت . فاحتلوها وهم عاملون على فتح المداين <sup>(٢)</sup>

فقال سلمان اني أعرف بهر شير جيداً ويسهل علينا الوصول اليها اذ لا يحول بيننا وبينها الا الفرات وبعض السهل

## الفصل الحادي بعد المئة

### \* فتح المدائن \*

فودع الرئيس وزلا الى الغرفة التي أودعها الامتعة فيها فلبس حماد درعه ورداء والد الملك النعمان وجعل خاتمه بين اثوابه وسلمان ينظر اليه فسأله عن سبب لبسه ذلك الرداء فنهذه وقال . السنا ذاهبين الى المدينة التي قتل فيها والذي النعمان

قال بلى

قال أسنا في شك من لقاء هذ حية

قال الله اعلم

قال حماد ونحن نعلم ايضاً انها قد تكون حية او مينة اذ لا يعرف احد مكانها وقد سبق والدها الى القتل لا محالة فاذا كانت لحقت به فلا يحلو امرها من احد خطر بين اما ان تكون سبيّة او قتيلة وكلاهما موت . فهل أطمع بعد ذلك في الحياة وقد آن الوقت الذي يجب عليّ ان اتقم فيه لوالدي وهذه جنود المسلمين على ابواب المدائن فاني محاربٌ معهم حتى ادخل الابواب منسي فاقتل كسرى بيدي فاذا قُلت فما انا خير من هند ولا عيش لي بعدها . واذا حبيت فذلك امر الله بقدره لحكمة لا نعلمها . قال ذلك وقد علاه الغضب وتجلت في وجهه مهابة الملك فاقطع اسرته وما زال يلبس درعه وصليل حديد مسموع الى الخارج . فتهيب سلمان من منظره ولت صامتاً لا بدري ما يقول . ثم قال الا ترى يا مولاي ان تتنكر بزي المسلمين لئلا يستغشونا في وسط المعركة فيجسبونا من الفرس او من عرب الحيرة احلافهم

قال لقد رأيت حسناً . وكان بين ثياب سلمان كثير من تلك الانواب لما كان يحتاج اليه من التنكر فاستخرج ثوبين لبس كل منهما ثوباً ونعماً بعمامة امل المحجاز حتى لا يشك الناظر اليها في انها محجازيان

وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل وهم اهل الدبر بنمئة طعام المساء فشاهدوا جماعات منهم عائدتين باحمال الاثثار والاشخاب من بساتين الدبر ثم ركبا واطلنا الاعنة للجوادين ففضيا مدة صامتين وافكارها ساجدة في ما سمعناه يستوقف مجاريها اصوات حوافر الخيل والغام وقعها بين قرقة على الحجارة وهمس على الرمال وهما لا يتكلمان . فامسى عليهما المساء وراء الحيرة فباننا في كبسة هناك واصبحا راكبين فمرّا بجيف بعضها رمم خيول وجمال والبعض الآخر جثث آدميين مبعثرين في تلك السهول لم يبق منها غير اعظام الضخمة التي لم تقدر على قضها السور فتذكرا ما وقع هناك من الحروب الهائلة بين المسلمين والفرس . ثم قطعنا الفرات على جسر من السنن وفي اليوم التالي اشرفا على المدائن وقصورها عن بعد فرأيا فوقها ضباباً كثيفاً يكاد يحجبها عن الابصار فقال سلمان لقد همني امر هذا الضباب فاني اظنه غبار الحرب ويخال لي ان المسلمين يهاجمون المدينة في هذا الصباح . ثم وخرنا الجوادين حتى وصلنا بهرشير فاذا هي في هرج والناس فيها بين فارس وماش يهرعون نحو النهر فسألنا عن سعد بن مالك فقيل لهما انه يخوض النهر يجيشه لتفخ المدائن والمسلمون يقتنون اثره ففتشنا عن الامير عبد الله فلم يبقها بجيشه احد فصعدا الى اكمة اشرفا منها على المدائن ودجلة فرأيا المسلمين يقطعون النهر بافراسهم والرماح مشرعة في ايديهم<sup>(١)</sup> وبعضهم قد بلغوا الضفة الاخرى يحملون الاعلام . ونظرا الى المدائن فاذا بعض حاميتها قد خرجوا من الاسوار فاقبلهم وافراسهم واعلامهم يتأهبون للقاء المسلمين وقد علا الضجيج حتى استككت المسامع وتساعد الغبار حتى حجب السماء . فهاجت عواطف حماد وجرى دم الملوك في عروقه ونارت الحمية في رأسه فنظر سلمان اليه فرأه قد احمرت عيناه وهو يفرس في ساحة القتال كأنه بهم بالوثوب اليها فقال له ما بال سيدي في شغل .

« فنظر حماد اليه وقال « اراني يا سلمان راغماً في نزول هذه الساحة فقد آنت ساعة الانقاص لوالدي . هؤلاء هم قتلة النعمان المندرد قد زلوا لقتال المسلمين فلا اراني صابراً عن منازلهم ووصية والدي خارجة من ظلمات القبر . ولا ريب عندي يا سلمان ان نقاعدي عن القيام بتلك الوصية من اول الامر هو الذي عرقل مساعي »

وحرمني من هند لان طاعة الوالدين واجبة وقد تنهاملنا في هذا الواجب فجوزينا بالنعب والشفاء والفشل والفنوط . الم تكن هـد طوع ارادتنا الم يكن والدها راضياً بي ينتظر ساعة القرار . فما باله اجمم وتغير من يوم قرأنا تلك الوصية المقدسة وعولنا على اغتيالها . ذلك اول قصاص نلناه وما زالت تتوالى علينا الاحن ونقف في سبيلنا العقبات من ذلك الحين حتى خرج النصب من ايدينا او كاد وكان الله سبحانه وتعالى قد جرنا الى هذه الساحة ايزكرنا بما ارنكبناه لعلمنا سرعوي وضدع بالامر وكأني بوالدي يناديني باعلى صوته من اعماق قبره واطنه ما انتك بفعل ذلك منذ اعوام ولكننا كنا بعيدين عن مدفوه فلم نسمع الداء . وتحدثني نسي يا سلمان ان انازل هؤلاء الفرس في جملة المنازلين وعليّ برد النعان من المنذر ويدي خاتمة فاما ان اُقتل شهيد النار المقدس واما ان احيا بعد النصر واطنر بخطابتي فيطيب لي القرآن عملاً وصية والذي فقد اوصاني ان لا اقضي امراً مثل هذا الا بعد الانتقام له » وما اتى حماد على آخر كلامه حتى ارتعشت انامله وثارت عواطفه ولم يتالك عن ان همز جواده نحو النهر فحاض الماء وخاضه وبهلمان في ائرع حتى اتيا الضفة الاخرى فرأيا المسلمين يطاردون الفرس حتى دخلوا المداين فدخلوها في اثرهم . واوغل المسلمون في المداين وحماد في جملتهم حتى اتوا ابوان كسرى فدخلوا حديقته وخبوهم تدوس الازهار والرباحين ورماحهم تخترق اغصان الليمون والازدرخت حتى وصلوا باب الابوان فكان حماد اول داخل وقد عول ان يقتل كسرى يده . والابوان قاعة كبيرة <sup>(١)</sup> طولها مئة ذراع وعرضها خمسون مبنية بالاجر والجص سقفها عقد واحد قائم على عمد من الرخام المنقوش وفي صدر الابوان عرش يجلس عليه كسرى تعلوه قبة مرصعة في داخلها مروحة من ريش العمام والى جانبي العرش مجالس الاعوان والوزراء من المرازبة والكهنة وجدران الابوان وسقفه مزينة بالرسوم وفي جملة ذلك رسم كسرى انوشروان وغيره من الاكاسرة العظام وايات من الشعر الفارسي مكتوبة بالحرف الكداني وفي سقف الابوان رسوم الافلاك والاجرام فلما رأى حماد نفسه في وسط الابوان ووقع نظره على ذلك العرش اسرع نحوه وهو يحسب كسرى جالساً عليه فاذا هو خالٍ وليس في المكان احد من الفرس لفرارهم

جميعاً الى حالوان<sup>(١)</sup> ولم تنض لحظات حتى امتلأ الابوان بالمسلمين وقد اخذوا في تكسير التانيل وتمزيق الثوب وكان النرس قبل خروجهم قد حملوا معهم ما خف حملة وغلا ثمنه وبقي مع ذلك ما لا تفتقر قيمته من الذهب وأحجار الكريمة والثياب المزركشة والاسلحة المذهبة والتيجان المرصعة

اما حماد فحالما تحقق سقوط المدابن لم يعد يشغله شاغل عن الناس الامير عبد الله فلم يره بين الهاجين فانشغل باله عليه فاعز الى سلمان ان يساعده في طلبه وكان سلمان اكثر قلقاً عليه من حماد . فقال لحما لا تبعد انت عن هذا الابوان فاني ذاهب الى سعد بن مالك امير هذا الجند لعلني اسمع منه خبراً عن سيدي الامير قال حسناً وبني حماد في جملة الجند لا يستغشه احد حتى سكنت الغوغاء . وهو ينظر الى ما يجمله انفتحون من الخف الغربية وفيها التيجان والسيوف المرصعة فسمع قائلاً يقول هذا هو سيف النعمان فلما سمع ذلك خفق قلبه وود لو يناله هو ولكنه لم يجسر على التماسه . فقال في باطن سره هذا هو سيف النعمان وهذا ابن النعمان وهذا رد النعمان وهذا خاتمه قد شهدوا حرب الفرس معاً ورأوا سقوط دولتهم رأوا العين وذلك ما تمناه والدي ولم يبق لي في الحياة مأرب الا اذا ظفرت بمنيتي ومنيتي اري . ولم يكذب تذكر هذا حتى عادت اليو اشجاناً وسي موقفه والناس في شاغل عنه فهمز جواده واخذ في البحث عن عبدالله فتذكر موعد مع سلمان فوقف حتى عاد سلمان فاذا هو منفض الوجود فقال له حماد ما وراءك قال لثيت بض حاشية سعد من مالك وسألتهم عن الامير عبدالله فقالوا انه كان معهم ولكنه خرج من المعسكر اول البارحة ولم يعد

فقال هل سألتهم عن جبلة

قال سألتهم فقالوا ان سعداً امر بقتله منذ قبض عليه

فقال هل علمت اذا كانت هند معه عند قتله وما ذا جرى لها

قال علمت انها لم تكن معه ويظهر انها لم تصل اليو فقد قال لي مخبر ان جبلة سبق اسيراً ومعه امرأته فقط وعلى كل حال لا نفلتنا تبين الحقيقة الا من سيدي الامير عبد الله

وتركا المدينة والمسلمون يحسبونها من جملة جندهم لما تنكروا به من الزي الحجازي حتى اذا صارا خارج المدائن قال حماد لقد قضي الامر يا سلمان وسقطت عاصمة الفرس وان يكن ملكها يزدد فرّاً ولم يقتل بعد ولكم مقتول لاحالة فيها قد اغدنا وصية والدي ولكننا ما لبثنا ان سمعنا بمقتل جلة ونحن في ريب من امر اهل ولا نعلم مقرّ هند . قال ذاك وحرق اسنانه واطرق

فقال سلمان لا اظن هنداً الا في بعض الدبور وعلى كل حال انا لانستطيع امراً قبل مواجهة الامير عبد الله

قال حماد وما العمل

قال ارى ان نفتش عنه

قال اخاف ان يكون قد اصاب حنثه ايضاً

قال لا اظن ذلك لانه لم يكن في المعركة وقد علمنا انه كان في المعسكر قبل الهجوم فلعلة التجأ الى مزرعة من مزارعو خوقا من الحرب  
قال أنعرف له مزرعة قريبة من هذا المكان

قال اعرف مزرعة له على بضعة اميال منا فلنذهب اليها لعلنا نقف على خبره من بعض الفلاحين هناك

قال حماد سر انت في هذه المهمة ودعني اعود الى الحيرة اجدد البحث عن هند لعل احداً من اهل الدبر يبينني بخبرها ولنضرب موعداً نلتقي فيه بمكان نعينه

قال لقد رأيت رأياً حسناً وأرى ان نلتقي في دبر هند الصغرى في الحيرة بعد ثلاثة ايام فمن استطاع خيراً قصة على الآخر . وافترقا



## الفصل الثاني بعد المئة

### \* أين هند \*

فاطلق حماد لجواده العنان وعاد فحاض دجلة واغرب يلتمس الفرات فقطعه وسار فاصداً دبر هند الكبرى وبات في الطريق ليلة ونزل على الدبر في اصيل اليوم التالي ففرع الجرس فتخلوا له وهم يحسونه مسلماً لتكنه بلباس الحجازيين فرحبوا به ولشوا ينتظرون ما يبعثه فلم يكلمهم وظل فاصداً الرئيس وقد عرف غرفته فاستقبله احسن استقبال وبالغ في اكرامه فلم يصبر على تكنه فاطلمه على حقيقته فسأله عما لقيه فقص عليه خبر المداين وفخما فذكر الله وقال لقد توسمنا قرب ستوط الفرس منذ اشهر لانه سبحانه وتعالى لا يبق على عدة النار فان هؤلاء الفانحين وان لم يكونوا نصارى فهم يعبدون الله وبوجوده ويؤمنون بالانبياء والرسل ويذكرون عيسى ومريم بالخير فني اتصارهم نصره للدين القويم

ولم يكن هذا الحديث لهم حماداً ولكنه صبر حتى فرغ الرئيس من كلامه فقال له هل سمعتم شيئاً عن جيلة بعد ذهاني

قال لم نسمع عنه شيئاً ولكننا سمعنا خبراً عن ابتوه


قال وماذا سمعتم عنها

قال ان بعض رهباننا ينزلون الحيرة مرتين في الاسوع يحضرون سوفها يستبدلون ما يفضل عندنا من غلات ارضنا بما نحتاج اليه من الانسجة او الآنية او نحوها فاتفق للذين نزلوا على اثر خروج جيلة واهل انهم رأوا تلك الفتاة في بعض طرق الحيرة على انهم اختلفوا في حقيقتها فاكبرها بعضهم واصراً الاخرون على انها هي هي بعينها فلا ندري ايها مصيباً

فلما سمع حماد ذلك قال لا يتنازل حضرة المهترم لاستقدام اولئك الرهبان لعلني اتحقق الامر بنسبي

قال حباً وكرامة . وصنف فجاء راهب فامر ان يدعوا راهبين سماها وبعد هنيهة جاء الراهبان فسألهما حماد عن تلك الفتاة فقال احدها رأيناها قبل ان ندخل الحيرة

بقرب بحيرة هناك وبخال لي انها ابنة جيلة ولكن اخي هذا ينكر علي ذلك فقال الآخر لا اظنها هي لاني لم اتوسم فيها ما عهدناه من الالفة والعزق فقد عرفناها هنا وفي وجهها مهابة الملوك وفارقتنا على جواد كأنها من امهر الفرسان والفتاة التي شاهدناها لا اقول انها لا تشبهها ولكنها اشبه بعامة الناس منها بالملوك او الامراء

فلما سمع حماد كلامها تحير في امره ومال بكليته للمسير الى الحيرة يتفقد هنداً بنفسه فتظاهر بالاكتماء بما سمعه  بالتهوض فدعاه رئيس الدبر للمبيت عندهم تلك الليلة فاعتذر بما يدعوه الى سرعة المسير وودعه وخرج والشمس قد مالت نحو المغيب وجعل الحيرة وجهته ولم يك يتوارى عن الدبر حتى اشرف على الحيرة ورأى غدبرها المتصل بالبحيرة وقد غابت الشمس واخذت الكواكب في الظهور فاطلمت الدنيا في عينيه فالتفت فاذا هو على ميل وبعض الميل من المدينة ثم اشتد الظلام ولم يعد يرى الطريق فتبين له عن بعد نور مزدوج عرف من خفافته انه وقود عند الشاطئ انعكس نوره في الماء فظهر مزدوجاً فقصه وقبل ان يصله سمع صوتاً يناديه بلغة العراق « من انت »

فقال غريب لا اعرف الطريق ومن أنت

فقال يا هلا بالضيف يا هلا بالفارس

ثم رأى حماد الرجل قادماً ويده خشية مشتعلة يستضي بها فتفرس فيه فاذا هو شيخ طاعن في السن قد استرسلت لحيته وشاب شعره ولكنه لا يزال في نشاط الشباب عليه عباءة خلقة ويده عصا كبيرة فعرف حماد من مجمل منظره انه راع على انه ما لبث ان شم رائحة الزريبة وسمع معاء الماعز فتحقق ظنه ولكنه لم ير حوله بناءً ولا خيمة فترجل وسلم والراعي يتفرس فيه وينظر تارة الى وجهه وطوراً الى لباسه ثم قال له ما لي ارى لباسك حجازياً وكلامك عراقياً

قال لي من كليهما وقطع الكلام فسكت الراعي ونقدم الى الدرس فقاده بعناؤه وليس في ذلك المكان غيرها فمشيا لا يسمعان صوتاً غير معاء الماعز وتبقى الضفادع حتى انتهيا الى كوخ صغير مبني من سعف النخل وقد ربض عند بابو كلب كبير الجثة ظل رابضاً هادئاً كأنه ادرك ان النازل ضيف لا خوف منه على القطيع



## الفصل الثالث بعد المئة

### ❁ ابن الشجي من الحلي ❁

اما حماد فلما وصل الكوخ واشتم رائحة الرعاة استنكف من الدخول اليه فقال  
 الشيخ دعنا نجلس ههنا فان ذلك افرج لنا  
 قال مرحباً بك حيثما جلست . وانا بهنود من جلد الماعز جلس عليه وذهب الشيخ  
 بالفرس الى عمود وراء الكوخ شدة اليه واخذ في نزع السرج . وفيما هو يفعل ذلك  
 سمعه حماد يتمتم ويقول اقولا لم ينهها

فناداه فلم يجبه فاعاد النداء فجاء الشيخ والجام يبع فنظر حماد اليه فاذا هو يتبسم  
 فباتت لثته ولم يبق فيها الا سن بارزة الى الاعلى  
 فقال له حماد ما يضحكك يا اخا لحم

قال انما اضحكك ما رأيت في عنة هذا الجواد ما يشبه عنة فرس تعودت ان اراه  
 كل ليلة من ليالي الاسبوع الماضي بركة فارس قد اعجبني فيه ما اعجبني فيك  
 قال من هو ذلك الفارس وما الذي اعجبك فينا

قال لقد اعجبني فيكما التكر فان ذاك كان يا تبني في كل صباح ملثماً وعليه  
 عباءة من الحرير فيكلمني بصوت النساء وعليه رداء الرجال . وانت جئتني بلباس  
 الحجاز وكلام العزاق فلا ادري تغيرت الارض واخطط الناس ام كيف

فتذكر حماد هنداً وما سمعه من تزلزلها بالعباءة يوم خروجهما من الديار فاستأنس  
 بحديث الرجل فهم باستيضاحه فاذا هو قد تركه وتحول نحو الزريبة فاستقدمه  
 فاجاب انه آت على عجل فثبت حماد كأنه على مقالي الجحر حتى عاد الراعي وفي يده  
 فصعة من الحشب قد أكد لونها من توالي السنين على استخدامها بلا غسل وفيها لبن حلبة  
 من ماعزه وقدمها له ليشرب

فاعذر حماد بانه لا يجتاج الى طعام

فقال الشيخ لقد نزلت ضيفاً فما عليك الا ان تناول الطعام واذا كنت ملائ  
 الجوف تمهل ربنا آتيك ببعض الخبز قال ذلك وتحول نحو الكوخ وعاد بقصعة فيها

خمر فقدمها لحماذ وهو يقول اليك هنك الخمر فانها من غلة كرمنا هذا العام . فتناول حماد القصة لا رغبة في الشرب ولكنه خاف اذا اعتذر ان يأتية الشيخ بشئ آخر ثم جلس الراعي بجانب كلبه ويده على رأس الكلب يلعب ناصيته بين اصابعه وهو ينظر الى حماد

فابتدرة حماد قائلاً ذكرت لي الفارس المتكروم ثم حديثك  
قال هذا هو كل حديثي عنه . فانه انما منذ بضعة عشر يوماً فاوقف جواده عند هذا الكوخ وسألني الذهاب الى دير هدا لاسئتهم له على اناس قادمين من الشام هل نزلوا الدير ام لا . وكنت اذا نظرت اليه رأيتُهُ فارساً مثلاً فاذا تكلم خلته امرأة فسألته ان يحسر اللثام عن وجهه فأبى ودفع اليّ ديناراً فاطعت امره ووعدته بالجواب في المساء فعاد في المساء وهو يظني ذهب لانه لم يدركني فاستطيع التخلي عن ماشيتي وليس عندي من اعهد امرها اليه . فلما سألني اجبتُهُ اني سألت اهل الدير فقالوا انه لم يأتهم احد . وما زال يكرر زيارته ودفع الدنانير وانا اجبته جواباً متشاكها حتى اذا كان منذ بضعة ايام استخفني بدرّ الماشية والسيدة مريم ان آتية بالخبر اليقين . فسرت الى الدير فسألتهم فقالوا انهم لم يأتهم احد وهب ان احداً من اهل الشام جاءهم فلا يقبلون زيارته . فلما اجبت الفارس هذا الجواب غضب وغم وكاني سمعته يلطم ثم يحول عني ولم اعد اراه من ذلك اليوم فندمت لاخلاص الخدمة ولفاذ المهمة بالصدقة . فلما رأيتك ولأنت ما آسسته من المشابهة بينكما ضحكتم وعولت على ان لا اصدق في خدمتك

فلما سمع حماد ذلك تحقق ان السائل هند بعينها فقال للشيخ ألم نعلم الجهة التي سار فيها ذلك الفارس

قال لا . وهب اني اعلم فانا صادقك

فد حماد به واستخرج دينارين دفعهما اليه فتناول الشيخ القدين وهو يفرس فيها ويضحك ثم قال اما اذا شئت ان اصدقك الخبر فاعلم ان الفارس سار محاذياً لهذا الشاطئ قاصداً الحيرة فلما بعد عني وصار على مقربة من المدينة رأيتُهُ نرجل ووقف مدة فظننته عائداً اليّ فانشغلت عنه برهة ثم التفت فلم أره

فاستولى القلق على حماد وعجب لترجلها ووقوفها ولبث صامتاً يفكر ثم قال ومتى

حدث ذلك

قال حدث منذ اسبوع

اما الشيخ فلما آتس من حماد بذلاً حاول المبالغة في اكرامه فجعل يقدم له الخمر واللبن فلما رآه لا يشرب شيئاً وقد مضى بعض الليل دعاه للرفاد في الكوخ فقال حماد لا احتاج الى رقاد

فقال اذا كنت تحقر كوخى وقد تعودت المنام على الاسنة فاني معذ لك فراشاً من الحرير . ودخل الكوخ ثم عاد وفي يده ملاءة فرشها له فعجب حماد لوجود تلك الملاءة عند ففرس فيها فاذا هي عباءة مزركشة فأجل لرؤيتها ومد يده فتناولها ونظر اليها بضوء القمر فاذا هي عباءة هند وكان كثيراً ما يراها عليها اذا ركبت فصاح في الرجل وأنى لك هذه العباءة . فضحك الراعي ضحكة يمازجها خوف ولم يجب فندم حماد على ما باداه به من الجناء وقال بهدوء لقد اعجبني لطفك وحسن وفادتك فاني باعماه لا استطيع القيام بحق شكرك على هذا الاكرام الا تخبرني ممن ابتعت هذه العباءة

فسكن روع الشيخ واثار الى كلبه وقال انها من صيد هذا الكلب  
قال وكيف ذلك

قال افتقدته ذات صباح فلم اجده وكان قد تعود السرح في بعض الايام ثم ما لبث ان عاد وقد عض على هذا الرداء بفيه وجاء يجع وراه  
فازداد قلبي حماد وقال ومن اي جهة قدم به

قال من جهة الشاطئ

فقال الا تظنها العباءة التي كان ذلك الفارس ملتجئاً بها  
فتفخخ وتشاغل عن الجواب وحرك حاجبيه وكنفه كأنه يقول لا اعلم



## الفصل الرابع بعد المئة

### ﴿ المناجاة ﴾

فتحنق حماد انها عباءة هند فخاف ان يكون لوجودها هناك سبب محزن فتحقق قلبه ونشأتم وحدته نفسه ان يتنعم الشاطئ لعله يقف على اثر آخر ثم تردد مخافة ان يته عن الطريق والوقت ليل فحاول الانتظار الى الصباح ولكنه نظر الى السماء وتأمل مواضع الابراج فعلم انه في نصف الليل فاستبعد الأجل . وكان الفرق قد طلع حتى تكبد السماء فانار البجينة وشاطئها وأنبية الحيرة . وفي اول تلك الانبية قصر الخورنق الشهير . فعول على مغافلة الراعي والمسير على الشاطئ فنظرا بالضجر والقلق وقال له اراني لا استطيع رقاداً الآن فاحفظ بالفرس ربها أتمشى على هذا الشاطئ وبرهة لعل النعاس ان يأتيني واعطي العباءة الثمن فتعني من العدة

فقال افعل ما بدا لك

فتناول حماد العباءة ونزل بها وسينها الى جنبه ورفعها وعلقها بمنطفتها لئلا يطرق الارض فيحدث صوتاً يعترض مجاري تصوراتو وسار الهوبنا محاذياً للشاطئ وقد سكن الهولاء واوت الطيور الى اوكارها . فبعد ان مشى برهة وقف والتفت ورائه فاذا بالزربية قد توارت عنه فنظر الى ما حوله فعلم انه على مفترق من الحيرة وبينه وبينها المغارس والكروم وامامة البجينة وقد هدأ ماؤها ونور القمر ينعكس عن سطحها فيتأللاً كالزجاج والطبيعة هادئة ساكنة لا يتخلل سكونها الا نقيق الضفادع . فجلس على صخر هناك واطلق لصوره العنان ففكر في ما هو فيه من الهواجس ونصور هنداً وعباءتها وما الذي اوصل ذلك الكلب اليها . فاعترضه فكر اقشعر منه بدمه وخيل له ان هنداً لما يئست من لقاء الفت بنفسها في ذلك الماء فبقيت العباءة على الشاطئ حتى حملها الكلب الى الزريبة ولما تصور ذلك انقبضت نفسه واحس كأنك صبت عليه ماء بارداً وهم بالعباءة بقبلها ويتنسم رائحة هند منها فغلب عليه الوجد فاخذ في البكاء وجعل يخاطب العباءة وهو يبكي ويتندد ويقول

اخبريني يا عباءة هند اين تركت هنداً هل انت خلعتها ام هي خلعتك وقد غرقت في هذا الماء وتركتك نذيراً بمصيرها آه من طواري الجذنان آه من ثقلات

الزمان ابن هند الآن ألعها لا تزال في قيد الحياة ام هي غارقة في هذا الماء وقد أكلت لحمها الاساك ... كيف تموت هند وحماذ جي برزق .. وسكت رهة ثم قال العلي قصرت في البحث عنك حتى بئست من لقائي من يخبرني ابن انت ... هند هند ... ابن انت أألسني درعا لنفسي ونقتلي نفسك قبح الله رأيي والدك وضعف عزيمتي لقد جرّ علينا الشفاء سامحة الله اذا كان لا يزال بين الاحياء . من يخبرني ان هدا حبة او مينة فاذا تحففت موتها استودعت الدنيا ولحفت بها لعننا نلتقي في ظلمة الابدية ... ثم سكت رهة ومسح دموعه ونظر الى ما حوله فاذا هو منفرد ليس من يسمعه او يراه فاطلق لنفسه عنان البكاء وعاد الى العباءة فلف بها وجهه وجعل يشمها ويقبلها ويشفق في البكاء حتى كاد يغى عليه

ثم رفع العباءة عن وجهه ووقف بغنة والتفت نحو الحجرة فاذا بيوتها ساكنة هادئة فقال ... هؤلاء اهل الحجرة نيام لا يرعهم طيف ولا يقلقهم خيال . هل يعلمون ان على شاطئ بحيرتهم ملكا يبكي كالطبل هل يعلمون ان ان ملكهم النعمان صب هائم يبحث عن حبيبته في اكافهم هبوا ايها الرافدون اخبروني ابن هي هند ابن انت يا هند ابن قامتك ابن عينك ابن انت احبيبي فاخبرك ان دولة الفرس قد سقطت وانتقمتم لوالدي تعالي نجتمع ونسي الاحزان والانعاب لقد آن زمن الراحة ...

ولكن آه ابن الراحة من فتى مات والد قبل ان يولد هو وانقضت زهرة عمره وهو لا يعرف سبه حتى اذا عرفه وأن له ان يستريح نكبة الزمان بضياح حبيبته آه — يا ليتني لم اعرف ذلك النسب فان معرفته جرت علي كل هذا البلاء — ما احلى الحب وما اسعد الحبيبين اذا التقيا ولو عاشا في كوخ مثل كوخ هذا الراعي واوغل في البكاء وهو يقبل العباءة بين يديه ويقبلها ويشم رائحتها حتى لها وقد تعب وخارت عزيمته فانكأ على الصخر ففزع الدرع فتوسد الثرى واتى رأسه على حجر فغلب عليه النعمان والنعمان فغضت اجنانه وهو بين البقطة والمنام

ثم استيقظ مذعورا كأنه سمع صوتا يناديه فنظر الى ما حوله فلم ير احدا فعلم انها احلام اقتضتها هواجسه وشكوكه . ولكن ذلك الصوت ما زال يرن في اذنيه وقد اضطربت حواسه وخيل له هدر المكان وسكون الطبيعة انه في عالم الارواح وان ذلك الصوت خارج من القبور فافتحرج جسمه

وكان البرد قد فرسه والتعب انهكه على اثر ما فاساه من الركوب نهاره كله مع ما لم يره من التهج والكد في ذلك الليل فالف بالعباءة جيداً ونهض ومشى بالشاطئ وهو يجاذران تسبع خطوانه كأنه يخاف احداً . ثم رأى النجوم تتواري رويداً رويداً حتى لم يبق منها الا القليل وقد تضاءل ضوءها فعلم ان الفجر قريب . ثم بدا الشفق من وراء الافق بطارد اشعة القمر وهو ساج في النضاء كأنه يودع الليل على موعد . ورأى الاطيار خارجة من اوكارها بين مغرد ومرغم ومصفق ومرفرف ومحلّق فمشى حماد والعمامة على رأسه وقد فسد هندامها لما فاسته من صدمات العباءة . اما العباءة فجعلها على كتفيه وشدها على صدره يتقي البرد بها ولم تقص برهة حتى سمع دق الاجراس من كنائس الحيرة وادبرتها فاخذ يتفرس في الشاطئ لعله ينفق على اثر آخر من آثار هند ثم خاف ان ينزل احد من اهل الحيرة ليغتسل او يستقي فيهاء في تلك الحال فهم بالرجوع وفيما هو يتحوّل سمع وقع حوافر فأجفل والنفت فرأى فارساً خارجاً من سور الحيرة كأنه يطلب الهجرة ولم يقع نظره على الفرس حتى خنق قلبه لانه يشبه فرس هند ولكنه لم يره فوقه سرجاً وقد ركبه غلام يشبه ان يكون خادماً فوقف حتى دما الفرس منه فتأمل فاذا هو فرس هند بعينه فبغت واستبشر وصاح في الغلام فوقف

فقال له اليّ يا غلام

فحالما رأى الغلام العمامة المجازية خاف واسرع نحوه

..

فقال له لمن هذا الفرس

قال هو للامير فلان

•

قال ومتى اقتناه

••

قال اول البارحة

•

قال ومن اشتراه

قال من بعض الرهبان عرضه للبيع في سوق الاربعاء

فقال وانى للرهبان مثل هذا الفرس وهو من خيول الشام

قال لقد نعدونا مشاهدة مثل هذه الخيول يا سيدي منذ قامت الحرب فكل

قتيل لم يكن له وارث وُهِبَت امنتعته واسلابه للادبقة تنفثها في سبيل البر فكم من

فارس قتل وظل فرسه تائماً فاستولت عليه الديبور وباعته  
فلما سمع حماد ذلك ايقن بموت هند غرقاً في تلك البحيرة ونحوّل عن الغلام خشية  
ان يرى بكاءه واطلق لدموعه العنان والشمس لم تشرق بعد . اما الغلام فلم يصدق  
انه نجى من ذلك النجاسي فحوّل عنان الفرس وكان قادماً ليسقيه فعاد ولم يسفه  
فلما خلا حماد بنفسه وقف عند الماء والعباءة تظللّه ونظر الى السماء وتنهّد وقال  
أطع بعد ذلك بالبقاء . . . لمن احيا وقد فقدت حياتي أشرب الماء وقد غرقت  
فيه حييتي . . . ما الذي حملك على الانحار يا هند أيا سك من لقائي فضلت اللعاق  
بي الى دار الابدية وقد ظننت اني سبقتك اليها . فمجن على كل حال لاحق انرساق  
ولكن وبلاءه انترق اعياماً ونحن في جهاد وشقاء فاذا آن اللقاء وزالت العراقل  
امتنعت علينا الحياة . . . ثم سكّت ونظر نحو الشمس فاذا هي لم تطل بعد فقال أأنظر  
شروقك لعلك تاتي بي ببشارة ام انت لا تحمّلين الاّ البلاء والشقاء . دعيني اتوسد  
الماء قبل ان ارى وجهك . ونظر الى الماء امامه فاذا هو رقيق لا يفرقه فحوّل الى  
صخر رآه تائماً فوق الماء على مقربة منه وقال الاولى بي ان التي تنسي من فوق ذلك  
الصخر فمشى نحوه وفيما هو ذاهب شعر بجاذب في نفسه بمسكه عن الانحار فاعبر ذلك  
من قيل الضعف الذي يتولى الانسان اذا تحقق دنوا الاجل

## الفصل الخامس بعد المئة

### لقاء هائل

فلما وصل الصخر صعد اليه ومشى نحو حافيه فزلّت قدمه وتعثّر باذياله فوقع وفيما هو  
يتجملز للنهوض حاس منه الفتاة فرأى اشباحاً خارجة من ضواحي الحيرة تطلب البحيرة فقال  
في نفسه فلا عجلان الاجل قبل وصولهم فتقدّم فاحسّ بما يمكنه عن ذلك العمل واستولى  
عليه الضعف الطبيعي فتجلّد ونظر الى تلك الاشباح فراها تقرب نحو الشاطئ فتأملها  
فاذا هي اشباح نسوة احداهن تحمل جرة والاخرى سلاً واخرى تسوق بغيراً وكلهن في  
زّي واحد فاستغرب البسنتن المتشابهة وكلها سوداء وعلى رؤوسن اغطية سوداء فهمة  
امرهن ويعلم ان تلك الالبسة لا تكون الاّ في الديبور . فقبل له اهن راهبات خرجن قبل

النجر للاستقاء وقطاف الاثمار والبقول من مزروعات الدير فحسدهن على سذاجتهن وخلو قلوبهن من لواجم الحب ورأى حاملة الحجر تقترب نحو الشاطئ، ثم ما لبثت ان دنت منه حتى كرت راجعة كأن احداً بطاردها فاستأنس بخطواتها لمشابهتها خطوات هند ولكنها أضعف منها كثيراً فعلق ذهنه بتلك الفتاة وود لو انه يراها لحظة اخرى فظل يتبعها بنظره حتى رآها وقفت الى رجل يحطب فحاطبته واشهرت الى حماد فانشغل بال حماد ومال الى معرفة سر ذلك الخطاب ثم رآها آتية معاً الفتاة يجريها والرجل بفاسه

فلبت ينتظر وصولها فتقدم الرجل اولاً وحباً حماداً وتلطف في السلام عليه وحماد ينظر الى الفتاة وهي منصرفة نحو الشاطئ، لئلا جريها فقال الرجل لحماد انا ذن لي بسؤال . قال قل . قال مع اين اشتريت هذه العباءة

قال وما يعينك من امرها

قال لانها مسروقة من صاحبها فاذا اخبرتنا عن باعك اياها طالناه بها

قال وما ادراك ان هذه هي بعينها ان العبي قد تنفاه

قال ان صاحبها رآها بعيو وعرفها وله فيها علامات

قال ومن هو صاحبها

قال الفتاة التي رأيتها الآن فانها حالما رأتك عادت اليّ بالخبر وقد كنا قضينا ثلاثة ايام ونحن نبحث عنها

فلما سمع ذلك الكلام ظن نفسه في منام فمسح عينيه والتفت الى ما حوله واستشهد وجدانه فتحقق انه في بقطة فنظر الى حاملة الحجر فرآها قد ملأت جريتها وعادت الى رفاقها فجعل يتأمل خطواتها فاذا هي خطوات هند ولكن الجسم نحيل . فقال للرجل ما بال صاحب العباءة لا يطالب بها بنفسه

قال لان صاحبها من راهبات دير هند الصغرى ولا يؤذن لمن بمخاطبة الرجال .

واما انا فمن خدمة الدير المكلفين بمثل ذلك

فقال حماد ( وقلبة يكاد يطير من الفرح وهو يسلك نفسه ويخجل ) وهل صاحبة

هذه العباءة قديمة في سلك الراهبة

قال لا تزال حديثة وقد دخلت في طور الابتداء فاذا مضى عليها بضعة اشهر



نحت الاخبار رسموها ولذلك فقد وهبت الدبر كل ما كان معها من الثياب والمصاغ والدواب فايقن حماد انها هند ولولا عامته ولداة المجازي لعرفته لاول نظرة وهي لولا ثوبها الاسود ونحوها لعرفها . فلما ايقن انها هي بنفسها ارتعدت فرائضه لما كان فيه من الخطر وحمد الله لتجاوزه على هذه الكيفية وحدثته نفسه ان يسرع الى هند فيطلبها على حقيقته فحاف عليها من البغته مع ما آتته من ضعفها فصبر نفسه . وخاف من الجهة الثانية ان تكون قد نذرت العفة فلا يبقى له اليها سبيل فقال للرجل وهل نذرت العفة قال لا تنذرها قبل ان تنقضي مدة الابتداء

فاطمًا باله ونظر فاذا بالفتيات لايزلن في شوارعهن بعيدات لا يسمعن ولا يرين وصاحبة الحج قد وضعت جرتها على الارض وجالست على حجر منفردة تنتظر رفيقاتها ليرجعن الى الدبر معاً فقال حماد للرجل اذهب الى صاحبة العباءة وقل لها اني لا اعطي العباءة الا تسليماً بيدها

قال قلت لك يا مولاي انها لا تستطيع ذلك قال اليك هذا البرد . وخلع برد النعمان عنه من العباءة ادفعه اليها بدلاً وقال فنناول البرد وتأملته فاذا هو انمن من العباءة كثيراً فاسرع به حتى أتى الفتاة وهي لا تزال جالسة وحدها فادفعه اليها وقال لم يعطني العباءة ولكنه دفع اليّ هذا البرد . فحالما رآته صاحت للعال حماد حماد . . . وتركته الحج وأسهرت نحوه وكان هو يراقبها ليرى ما يدومنها فلما رآها نهضت وأسهرت نحوه لم يبق عنده ريب بشأنها فاسرع للملاقاة وقد نزع العامية عن رأسه فلما التقيا وقعت هند مغيباً عليها فاستلقت على جنب حماد فانفضها وكان خادم الدبر قد رآها تسرع نحو حماد فلما اغي عليها اسرع بالماء ورشها فأفاقت وهي تقول حماد حماد حماد . . . وهو يقول هند هند حبيبي هند أنت حبة وانا احسك غريبة في هذا الماء . ولو تأخر قدومك لحظة اخرى لذهب حماد طعاماً للاسماك

قالت حماك الله يا حبيبي . ثم غلب عليها الحياء فغطت رأسها بالنقاب الاسود وجلست منأدبة وقد امتنع لونها وتولاها الهزال . فقال لها ابن والدك يا هند . قالت اما سمعتم خبري انهم قتلوا واطنهم قتلوا والدتي آه من نقابات الايام . واوغلت في البكاء .

قال هل تحققت مقتله

فالت لم أراه ولكنني سمعت به ولولا ذلك لرأيتني معه حينما كان لاني لما فبصلا عليه وعلى والدتي امتطيت جنادي وتعقت اثرها فوصلت الحيرة فبت في هذا الدبر وقد كنت انردد اليه قبلاً فاشارت عليّ الرئيسة ان ابقى عندها وابعث من يستطلع الخبر فعاد الخبرون وقد اكدوا مقتلها فلم يبق لي نصير الا حبيبي حماد ومن يخبرني بقدموه فان الخادمة التي كنت ارسلتها للبحث عك في بيت المقدس لم تعد بعد فاستخدمت راعياً بالقرب من هذه المدينة كنت انردد اليه متنكرة ليسأل عن قدموك الى الدبر ففطع املي من دخولك الدبر لان اهله لا يقبلون فيه واحداً من الشام فضقت ذرعاً واستولى عليّ اليأس ولم يبق لي في الدنيا مطع بعد فقد والدي وضياح حبيبي وزوال عز الملك وخسارة الاموال والعقار ولا انكر عليك اني هممت بالانتحار غير مرة ولكن قلبي لم يطاوعني لاني لم اياس من لقاءك بعد فلم اجد وسيلة غير التهرب في دبر اعرف رئيسه وبعض راهباته فطلبت ذلك فقبلوني مبتدية تحت النجفة فوهبهم كل مالي من الثياب والفرس ولم احفظ شيئاً غير الاساور وهي عربون المحبة بيننا فانها مخبأة بين اثوابي وكنت قد اضعفت عياني في هذه اثناء رجوعي المزمع الاخيرة من عند الراعي لفرط قلقي وهو اجسي على اثر ما انبأ لي به من خبر الدبر فوقعت العباءة عني ولم انتبه فحشنت عنها في اليوم التالي فلم اجدها وهو اليوم الذي طلبت فيه الانضمام الى الراهبة فاخبرتهم اني فقدت هذه العباءة فاذا عنروا بها كانت حلالاً للدبر وهذا هو اليوم الثالث من دخولي وقد كلفوني تجارب كثيرة فحملت الاحمال واستغلت الاشغال الشاقة فزادني ذلك ضعفاً على ضعف

## الفصل السادس بعد المئة

\* دبر هند الصغرى \*

وكان الخادم واقفاً وقد ذهل لما رآه فتقدم الى هند فاوياً اليها ان عملها هذا مخالف لشروط الراهبة فقالت دعنا نذهب الى الرئيسة فنهضت ونهض حماد وميتا لمقابلة الرئيسة وفيما هما في الطريق سأله عن سبب تنكره وما مر به فاحكى لها حكايته

بالاخصصار حتى اتى الى حديث المدائن والبحث عن والدها فلما بلغ الى هناك تنهدت هند وقالت آه يا حبيبي انى سبعة بلقياك ولكن حظي غير تام لما قاسينته من فقد والدي فقال لها اننا لم نتحقق مقتلها وقد كلفت سلمان بالبحث عنها وموعدا الالتقاء في دير هند هذا في الغد وهو اليوم الثالث من افتراقنا ومن عرف خبراً اطلع الآخر عليه فقد فرت بطريقه في فسي هو ان ينوز بمن يبحث عنهم والامير عبد الله معهم وكانا ماشيين في وسط المدينة لايهمهما استغراب الناس لمسيرهما معاً بل كانا في شغل من تجاذب القلوب لا يكادان يريان الطريق فلما وصلا الدير اسرع الخادم الى الرئيسة فانباها بما شاهدت من جرأة ذلك المحجزي على الراهبة المتبتية مما يخالف العهود المعطاة من المسلمين فاطلت الرئيسة من باب الدير فرأت هنداً وحامداً قادمين وكان حماد قد نزع عمامته فعرفت من ملامح وجهه انه عراقي فارادت استطلاع السر فدخلت بهما الى غرفة منفردة فهم حماد فقبل يد الرئيسة فعرفت انه مسيحي فسألته عن امره

فقال اذا اذنت فاخبرك ان هذه الفتاة خطبتي منذ اعوام وقضت حروب الشام بافتراقنا لا يعلم احداً مكان الآخر حتى اذن الله باجتماعنا على يدك ونأملت الرئيسة بوجه حماد وهو يكلمها فآسست في وجهه هيبة وجلالاً فقالت الست عراقياً

قال نعم ومن بني لحم  
قالت وبخالد لي ان هنداً شامية من غسان

قال نعم  
فقال وكيف اجتمعنا  
قال كذلك قدر الله

اما هند فنذكرت اول معرفتها حماداً وتذكرت والدها وياسها من حياتها فترقرقت الدموع في عينيها

فلحظت الرئيسة فيها ذلك فقالت لها ما بالك تبكين يا ابنتي وكان حماد قد ادرك سبب بكائها فقال اظنها تبكي لضياح بعض اقاربها في اثناء حرب الشام فجعلت تخنف عنها وتعزبها وتذكر حماد الامير عبد الله وسلمان فصبر نفسه ليرى

ما يأتي به الغد وقال للرئيسة على ترين ما يمنع خروج هند من سلك الرهينة  
 قالت لا ارى مانعاً لانها لم تنذر العفة بعد  
 قال فلتنقِ اذاً يوماً آخر في ضيافتك لاني على موعد مع خادمي باللقاء هنا  
 غداً وقد ذهب للتنشيس عن ضائع لنا فاحفظني بها ريثما اعود فاني ذاهب الى راعٍ  
 في ضاحية المحبة تركت فرسي عند البارحة  
 ثم نهض فلبس العامة اثلاً بئركم الراعي وترك العباءة عند هند وهم بالخروج  
 فامسكتها قائلة لا تذهب فاني لست ناركك لحظة بعد هذا اللقاء فقد كداني ما فاسيته  
 فلا يفرق بيني وبينك الا الموت

قال والفرس

قالت دعنا من الافراس او ارسل من يأتي به فما انا راضية بذهابك ولا نخرج  
 من هذا الدبر الا معاً اما الى القتل واما الى الحياة  
 فعذرهما والتفت الى الرئيسة فطلب اليها ان تنفذ رسولاً من قبلها يستجلب الفرس  
 فبعثت واحداً يعرفه الراعي وينقِ به واطلمعه حماد على علامة يتقدم اليها وبعث اليه  
 دينارين ولبث ينتظر عودته

اما الرئيسة فقالت لحامد لا يحني عليك يا سيدي اننا في دبر اراحيات لا يؤذن  
 للرجال دخوله الا اذا نزلوا في دار الاضياف واما اجتماعهم بالاراحيات فمحظور فاذا  
 رأتك الراحيات مع هند وهن لا يعرفن علاقتكما ساءوا الظن فهل تنفضل فتتزل في دار  
 الاضياف ريثما يأتي الغد

قال أفعل ما تأمرين . وودع هنداً ونزل يصحبهُ الخادم الى دار الاضياف  
 فمرّاً ببربط الخيول فرأى افراساً شاهد فيها فرساً يشبه فرس سلمان فاستبشر واسرع  
 الى الدار فلقبه سلمان فهم احدها بالآخر وهما بينهما فاستبشرا معاً فقال سلمان هل  
 ظفر سيدي بهند

قال نعم ولكنها راحية في هذا الدبر

قال وهل نذرت العفة . فضحك حماد وقال لا وانت هل ظفرت بالامير عبد الله  
 قال ظفرت به وبجيلة وامرأته

قال ابن م

قال سيصلون الينا الليلة او غداً وسيأتون متكرين لانهم كانوا مغنبيين عند سيدي الامير عبدالله ولولاه لكان حموك جلة في عالم الاموات ولكن الامير عبدالله حالما علم بالقبض عليه استرضى الذين امسكوه واطهر للناس انه قتل وخبأه في منزله بتلك المزرعة ربما يتمكن من العثور على هـد او الاجتماع بك فلما وصلت اليهم وأنبأهم بخبرك انفذني لإحضارك واساعدك في البحث عن هند ربما يقدمون هم الينا

فاشرح صدر حماد ايما اشراج وحمد الله على انتضاء الازمة بالتي هي احسن ولم يملك صبراً عن تبشير هند ببقاء والدها حياً

وهم بالرجوع الى الدبر فرأى هدا واقفة في الشرفة تطل على دار الضيافة لانها لم بعد برتاج بالها على حماد الا اذا كان امامها فلما رائته عائداً وعليه امارات الدهشة اومأت اليه ف نظر اليها وضحك فضحكت هي وقد اشرق وجهها ونسيت كل مناعها وقالت ما وراءك

قال همساً ان والذك ووالذلك قادمان الينا غداً

فابتعدت سرعتها واسرعت للاقائه عند الباب ولم تعد تعماً بقوانين الدبر . فلما لقيته مدت يدها اليه وصافحته وضغط كل منها على يد الآخر ضغطة ما ادراك ما وراءها . ولا تسئل عن حديث القلوب وجواذب العيون

فقال هند هل انت متحقق قدوم والدي

قال هذا سلمان قد جاء بالخير اليقين ولكنهم قادمون ومعهم الامير عبدالله متكرين فاحذري ان يلحظ احد ما نحن فيه لئلا نقع في شر اعمالنا فتكون البلية الثانية شرّاً من الاولى

قالت وسأخبرك خبراً جديداً حدث ساعة خروجك من غرفة الرئيسة

قال وما ذلك

قالت ان خادمتنا الامينة التي كانت تسعى في اجتماعنا ولولاه لا ادري ما نم لنا قد وصلت الدبر الآن بعد ان قضت اياماً بالبحث والتنشيط ولم تكن عالمة بوجودي هنا ولكنها جاءت تنسم الاخبار من الراهبات فلقيني وسررت بها لانها ذات فضل علينا قال لقد اذكرتني بفضل سلمان الشهم الغيور فلا ادري بماذا اكافئه على مروءته وحسن صنيعه . ثم قال فاذهبي الآن الى الرئيسة ودعيها على ان نناقها غداً بعد

وصول والديك والامير عبدالله واحذري ان تسي اسم احد منهم

قالت لا تخف من ذلك

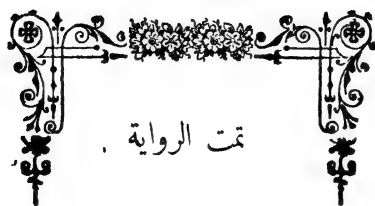
وتحولت وتحول هو الى دار الضيوف ومكث هناك الى صباح اليوم التالي

## الفصل السابع بعد المئة

❖ قرآن سعيد ❖

فاستحسن حماد الخروج للملافاة القادمين في الطريق فخرج وسلمان معه على الخيول وهند لا تعلم وقطعا مسافة حتى وصلا عين ماء لا بد للتقدم من المدائن الى الحيرة من الوقوف عندها فترجلا وجلسا ولم تمض برهة حتى رأيا هندا وخادمتها قادمتين مسرعين على الاقدام وهند بثوبها الاسود الجديد فيهنما وصاح حماد ما الذي اتى بك يا هند . قالت سامحك الله الم اقل لك اني لم اعد استطيع العباد عنك لحظة مخافة ان نعود الى ما كنا عليه من الفراق . فشكرها وجلسوا ولم يكذب يستنب بهم الجالوس حتى رأوا الغبار يصاعد من جهة الفرات فتقدم سلمان لتحقى القادمين فعاد ضاحكا مبشرا فنهضوا جميعا ونهبوا ولا استقبال القادمين ولكن سلمان عاد فاخبر الركب ان حمادا وهندا ينتظرا نكم هنا فقبل وصولهم الى العين ترجلوا جميعا وهم جيلة مسرعا الى حماد فضمه الى صدره وجعل يقبله والدموع تنساقطه من عينيه واسرعت سعدى الى هند وجعلت تقبلها وتبكي ثم تبادل جيلة وسعدى فقبلت سعدى حمادا وجيلة هندا واما عبدالله فظل واقفا يتأمل في ذلك المنظر المؤثر فلما انتهت سعدى من تقبل حماد تقدم اليه وضمه الى صدره وجعل يقبله موبكيا بكاء مرّا ولم يستطع احد ابعاده عنه حتى خافوا عليها وهم لا يعلمون سبب ذلك وبعد برهة انفصل عنه وقد نبالت عيناؤه وقال لا تلوموني على ما رأيتم من شدة عناقتي بحماد وان ما ترونه من دموعي انما هو دموع الفرح فان حمادا ملكي ولدي وصديقي وفخري وسندي وما زادني نعلقا انه قد انتقم لوالده وشهد سقوط دولة الفرس ومحا العار عن لحم ورفع نقلا عن عاتقي حملته منذ نيف وعشرين سنة ثم تقدم عبدالله الى هند فقبلها والجميع يكون بكاء الفرح وسلمان ينظر اليهم وقلبه يكاد يطير فرحا فلما سكث الجميع وهندا روعهم

وقف سلمان وقال اسمحون لي بكلمة اقولها بين ملكين وملاكين . لقد شاركتكم في  
فرحكم بهذا الاجتماع السعيد فشاركوني بفرحي بمقتل ثعلبة الخائن الذي كان سبب كل  
هذه الالاعاب . ثم نهض جيلة والدموع لا تزال في عينيه وقال اما انا فلا اقدر اصف  
خجلي من ولدي حماد لما سبته له من الشفاء وما بذله هو ورفيقه او قل والذ الامير  
عبد الله من الجهد في انقاذنا من الموت فنظر سلمان الى جيلة وقال لا تزال سيدتي  
هند تمنع علي سيدي حماد ومن يا ترى افضل لديك حماد ام ثعلبة . فضحك الجميع  
ثم نهض عبد الله وقال اعلما ايها السادة اننا في خطر عظيم الآن ولم يعد مجلو  
لنا المقام في هذه البلاد لاننا اعداء الفرس بالطبع واعداء المسلمين بالفعل لما ارتكبناه  
من مخالفة اوامر اميرهم فلا شك انهم سيجنون عنا ويذلون كل سعي في القبض علينا  
فقال سلمان لقد نطقت بالصواب واريد على ذلك اننا لا نبرح الحيرة قبل ان  
نعقد للعروسين ثم نذهب حيثما نشاءون ولو زعل حماد وهند . . . فضحك الجميع  
فقال جيلة ذلك هو الرأي الصواب واذا استحسنتم فلتكن وجهتنا القسطنطينية  
دار الامبراطور هرقل نقضي بقية العمر هناك اذ لم يبق لنا مقام في الشام ولا العراق  
قالوا حسنا ونهضوا الى كنيسة قرب الدبر عقدوا للعروسين بالاختصار  
ولا يجناح الفاري الى تقدير قيمة تلك الساعة السعيدة فانها من ساعات العمر  
وبعد الاكليل ركب الجميع وساروا متنكرين نحو القسطنطينية فوصلوها بعد بضعة عشر  
يوما واقاموا فيها حتى قضى الله بما شاء .





☆ ضخمة النيل ☆

## إيماننا بالمشيئة

☆ رواية تاريخية غرامية . الطبعة الثانية ☆

« تأليف جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب »

تشمعل على اهم حوادث التاريخ الاسلامي واكثرها تعلقا بالقطر المصري اعني ظهور الاسلام وفتوحاته وخصوصاً فتح مصر وبيان حقيقة اسباب ذلك الفتح وما كان من حال القبط مع الروم وشرح احوالهم وعوائدهم واخلاقهم وملابسهم منذ ثلاثة عشر قرناً او هي عبارة عن تاريخ فتح مصر في صدر الاسلام مع تمثيل حركات الجند وملابسهم وملاولات



القواد في خيامهم وقصورهم وماجال في خواطرم مكتوباً على اسلوب حكاية  
 يقرأها المطالع ولا يل بل يزداد اشتياقاً لمطالعتها وهو يحب ان يقرأ قصة  
 فكاهية فلا يأتي على آخرها الا وقد فهم تاريخ الفتح وحوادثه كأنه شهده  
 بنفسه ومن ابطالها عمر بن العاص والمقوقس حاكم مصر والاعيرج قائد جند  
 الروم فيها وغيرهم وفي هذه الطبعة فضلاً عما في الطبعة الماضية فتح  
 الاسكندرية وخروج الروم من القطر المصري مدحورين ثمنها ١٠ غروش  
 مصرية واجرة البريد غرشان ولا بأس من ارسال القيمة طوابع بواسطة



## اسْتَبْدَأَ الْمَالِكُ

✽ رواية ادبية تاريخية . الطبعة الثانية ✽

( تأليف جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب )

تتضمن هذه الرواية حوادث آخر القرن الماضي وقد مثلت فيها  
 احوال الامراء المماليك ومعاملتهم للرعية وعلاقتهم بالدولة العالية وداخل  
 الروسية ومن ابطالها دلي بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب والشيخ ظاهر  
 العمر وغيرهم ثمنها ٨ غروش مصرية واجرة البوسطة غرش ونصف











